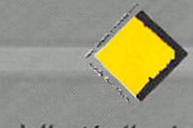




في منطقة الخليج العربي

دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي

الأستاذ الدكتور عبد المالك خلف التميمي

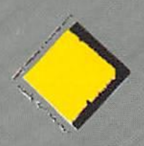


مركز زايد للتراث والتاريخ

هــذا الكتــاب

يتضمن فصولاً عديدة تُعالج كيف حاول الفكر الغربي التسلل إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق البعثات التنصيرية وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية لسكان المنطقة.

ولا يخفى على أحد أن هذه الوسائل كانت تسبق دوماً الوسائل العسكرية التي كانت تستخدمها هذه الدول عند الهيمنة على هذه الأماكن، فكان التبشير هو إحدى الوسائل التي سلكها الغربيون وأقاموا لها المؤسسات التنصيرية لأغراض دينية ولكنها استغلتها واستخدمتها لأغراض سياسية.



مركز زايد للتراث والتاريخ

ZAYED CENTRE FOR HERITAGE AND HISTORY

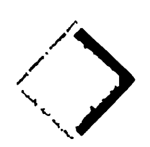
ص.ب: ٢٣٨٨٨ العين – الإمارات العربية المتحدة – هاتف: ٧٦١٥١٦٦ – ٣ – ٩٧١ ، فاكس: ٧٦١٥١٧٧ – ٣ – ٩٧١

P. O. Box: 23888 Al Ain - U. A. E. Tel: 971 - 3 - 7615166 Fax: 971 - 3 - 7615177

التبشير في منطقة الخليج العربي

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م

تم قيد الكتاب في سجل الإيداع النوعي
بقسم الملكية الفكرية وحقوق المؤلف
بوزارة الإعلام والثقافة
تحت رقم أ م ف ٤/٩ / ٢٠٠٠ تاريخ ١٤/٣/٢٠٠٠م



مركز زايد للتراث والتاريخ
ZAYED CENTRE FOR HERITAGE AND HISTORY

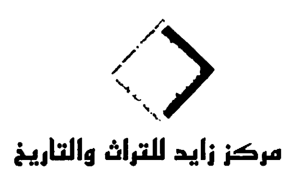
ص.ب: ٢٣٨٨٨ العين - الإمارات العربية المتحدة - هاتف: ٧٦١٥١٦٦ - ٣ - ٩٧١ ، فاكس: ٧٦١٥١٧٧ - ٣ - ٩٧١
P. O. Box: 2388 Al Ain - U. A. E. Tel: 971 - 3 - 7615166 Fax: 971 - 3 - 7615177



التبشـــــير
في منطقة الخليج العربي

دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي

الدكتور عبد المالك خلف التميمـــي



مركز زايد للتراث والتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

يأتي إصدار كتاب التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي للدكتور عبدالمالك التميمي في طبعة جديدة وذلك للأهمية القصوى لهذا الكتاب الذي بذل فيه مؤلفه جهداً لا ينكره أحد من أهل العلم والمختصين. إنّ هذا الكتاب الذي يتضمن فصولاً عديدة تُعالج كيف حاول الفكر الغربي التسلل إلى شبه الجزيرة العربية عن طريق البعثات التنصيرية وتقديم الخدمات الصحية والتعليمية لسكان المنطقة.

ولا يخفى على أحد أن هذه الوسائل كانت تسبق دوماً الوسائل العسكرية التي كانت تستخدمها هذه الدول عند الهيمنة على هذه الأماكن، فكان التبشير هو إحدى الوسائل التي سلكها الغربيون وأقاموا لها المؤسسات التنصيرية لأغراض دينية ولكنها استغلتها واستخدمتها لأغراض سياسية.

والدكتور عبد المالك التميمي، أُستاذ التاريخ في جامعة الكويت، وله سمعة طيبة بين المؤرخين الجادين الذين دأبُوا على استنطاق الوثائق واستخدامها في بحوثه المتميزة.

والمركز إذ يضع هذا الكتاب بين يدي القراء، فإنه ليأمل من الباحثين الآخرين أن يكملوا النهج الذي بدأه الدكتور التميمي في إخراج الإصدارات التي تعالج شؤون الجزيرة العربية بشكل عام ودول الخليج العربي بشكل خاص والاستفادة من الملاحق التي جمعها الباحث.

والله ولي التوفيـــــق

د. حسن محمد النابودة

مدير المركز

تمهيد

لقد تسلل الفكر الغربي الامبريالي الى مجتمعنا العربي بوسائل متعددة ولفترة زمنية طويلة أي منذ أن اتجهت أنظار الدول الاستعمارية للسيطرة على وطننا العربي.

وهذا النوع من التغلغل كان سابقا على السيطرة العسكرية والسياسية ممهداً لها ثم معاضدا لوجودها واستمراره بمواكبته لها. ان الهدف الامبريالي لهذا النشاط كان ولا يزال هو ايجاد القابلية لدى الشعب العربي بقبول سياساته وترويض الناس وتدجينهم بحيث يحقق أهدافه على أرض سهلة بأقل صعوبة وتضحية وأقصر طريق. لقد كان التبشير بمعناه الشامل - ليس فقط الديني بل التبشير للثقافة الغربية الامبريالية - احدى الوسائل التي سلكها الغربيون وأقاموا لها المؤسسات التبشيرية لاغراض دينية ولكنها سرعان ما استغلت واستخدمت لاغراض سياسية.

إنه في الوقت الذي كانت فيه القوى الامبريالية الغربية تتسابق وتتنافس للسيطرة على منطقة الخليج العربي في القرن التاسع عشر كان النشاط التبشيري المسيحي يتهيأ لمواكبتها والتحالف معها.

ولم تأخذ خطط الارساليات التبشيرية دور التنفيذ الفعلي في هذه المنطقة إلا في نهاية القرن التاسع عشر والقرن العشرين. ولقد تركزت نشاطاتها سلميا عن طريق وسائل تقدم بها خدمات انسانية للمواطنين وتمارس من خلالها تأثيرها الثقافي، وبوجود السيطرة الغربية على هذه المنطقة كان المبشرون يشعرون بأنها المظلة الواقية والحامية لنشاطاتهم ولم يكن أوائل المبشرين يرون تناقضاً

بينهم وبين القوى الاستعمارية حيث كان التعاون بين الطرفين طبيعياً في أكثر الأحيان.

لقد بدأ النشاط التبشيري في المنطقة مع السيطرة الغربية فعلياً وانتهى بانتهائها وإن كان له بعض التأثير المحدود بعدها، كما ان نوعية الارساليات التبشيرية هذه مذهبيا كانت البروتستانتية البريطانية والامريكية والتي تنسجم مع كون كل من بريطانيا والولايات المتحدة، دولة بروتستانتية بالدرجة الأولى.

إن الاسئلة التي ستحاول هذه الدراسة الاجابة عنها هي : كيف قامت هذه المؤسسات وما هي الوسائل التي اتبعتها ثم ما هي طبيعة النشاط السياسي للمبشرين، ولماذا فشل العمل التبشيري في هذه المنطقة؟ وليعذرنا القراء لمرورنا في الفصل الأول على قضايا تاريخية هامة مروراً سريعاً، فهي ليست قضيتنا الاساسية التي نعالجها ولكنها خلفية لا بد منها للتعرف الى الظروف والدوافع للعمل التبشيري في هذه المنطقة.

الفصل الأول

المسيحية في شبه الجزيرة العربية

من المبررات التي كان يستند اليها المبشرون للتبشير في هذه المنطقة أن شبه الجزيرة العربية كانت في يوم من الأيام قبل الاسلام متأثرة بالمسيحية ويجب اعادتها اليها، كما رأوا في مكانة المسيح في القرآن وسيلة ومدخلا لإقناع العرب المسلمين بالمسيحية، لذا من الأهمية بمكان أن نبحث الى أي مدى تأثرت المنطقة بالمسيحية، وما هي مكانة المسيح في القرآن وطبيعة المحاولات التبشيرية حتى وقتنا الحاضر.

من الامور المسلَّم بها تاريخياً أنه كان للمسيحية تأثير في سكان هذه المنطقة قبل ظهور الاسلام وبعده. والسؤال الذي يطرح نفسه، هو كيف تم هذا الاتصال وما هي الظروف التي أحاطت به؟

١ – القديس بولس والجزيرة العربية :

لا يزال الاتصال الأول بين المسيحية وشعب الجزيرة العربية مثاراً للجدل، والمصادر التاريخية لا تذكر عن هذا الحدث الهام سوى القليل. ويذهب رايت تومس (Wright Thoms) الى القول: إن المسيحية قد دخلت البلاد العربية للمرة الأولى على يدي القديس بولس الذي أقام بهذه البلاد ثم عاد الى دمشق. ويرى تومس أن المسيحية قد أحرزت تقدما على يديه[١].

وإضافة إلى هذا، فقد ورد في الإنجيل، أن القديس بولس نفسه – كما يظهر من رسالته (للخلقدونيين) Galatians – قد ذهب إلى البلاد العربية وعاد بعدها إلى دمشق[٢].

وبالرغم من زيارة القديس بولس للبلاد العربية، واشارة تومس الى التقدم الذي أحرزته هذه الزيارة، فإنه من الصعب، بل يكاد يكون من المستحيل إثبات ما إذا كانت المسيحية قد دخلت الجزيرة العربية على يدي القديس بولس أم لا. فأولا وقبل كل شيء، فإن المنطقة التي أشار اليها القديس بولس باسم البلاد العربية يصعب تحديدها جغرافياً. فقد ذكر أنه عاد الى دمشق بعد زيارة البلاد العربية.

ونقطة الخلاف هي الآتية:

ما الذي يعنيه القديس بولس بالبلاد العربية بالمعنى الجغرافي؟

ومن سوء الحظ أن المصادر المسيحية قد أخفقت في تعريف أو تحديد البلاد العربية التي قام القديس بولس بزيارتها.

والحقيقة أن الكتّاب المسيحيين لم يكونوا متأكدين من ذلك وقد كانوا يخلطون بين ما كان يعرف عادة ببلاد العرب وبين شبه الجزيرة العربية بمعناها الضيق. فستورم (Storm) – على سبيل المثال – يعرّف الجزيرة العربية بقوله: إنها احدى بلاد التوراة الكبرى. ومن المحتمل جدا ان تكون البلاد العربية التي زارها القديس بولس هي المناطق الشمالية لشبه الجزيرة العربية الواقعة في سوريا والتي كان العرب يقطنونها.

والسؤال الثاني هو: هل أدخل القديس بولس المسيحية أو بشّر بها حقاً بطريقة أو بأخرى بين العرب القاطنين في شمال الجزيرة العربية؟

والإجابة عن هذا السؤال أيضا تفتقر إلى الوضوح. ولكن جميع الدلائل تشير إلى العكس. وقد انتهى ريتشارد بِل Richard Bell إلى ان طبيعة زيارة القديس بولس ذاتها تفتقر إلى الوضوح، كما أن مدتها أيضا غير واضحة. وقد قام « بِل » بتفسير هام فيما يتعلق بطول الزيارة حيث قال:

«إن السنوات الثلاث التي يذكرها القديس بولس لا تشير الى مدة اقامته

في البلاد العربية، ولكنها تشير الى المدة التي انقضت بين اعتناقه للمسيحية وذهابه الى القدس بما في ذلك فترة من النشاط في دمشق»[٣].

ومن هنا يتضح أن النتائج التي استخلصها « بِل » تشير الى أن زيارة القديس بولس لا تعتبر دليلا على قيامه بأي نشاط تبشيري، وعلى هذا فإن الزيارة لم تكن تهدف إلى نشر المسيحية بين العرب.

ويرى «بل» أن زيارة القديس بولس كانت ترمي الى توضيح الطبيعة المستقلة لمعتقداته الدينية والى تحديد سياسته المقبلة[٤].

وليس هناك أية مؤشرات محددة تساعد على تحديد أي أثر للقديس بولس في ذلك الجزء الذي قام بزيارته من البلاد العربية.

واذا نظرنا الى النتيجة التي استخلصها «بل» بعين الاعتبار، فإننا نستطيع على أساسها أن ننفي احتمال قيام القديس بولس بأي نشاط تبشيري.

وعلى أية حال فان الحقيقة المؤكدة هي ان زيارة القديس بولس جاءت بعد اعتناقه للمسيحية، ولكننا لا نستطيع ان ننفي مع ذلك احتمال مشاركته في الأفكار التي يحملها عن السيد المسيح والمسيحية مع بعض أهالي ذلك الجزء من البلاد العربية، فهذا الاحتمال قوي ومقبول ويصعب انكاره. وهكذا فإننا نستطيع أن نقول إن القديس بولس لم يُدخل المسيحية الى البلاد العربية ولم يأتِ على ذكر الجزيرة العربية، ولكن من المؤكد أنه قد شارك سكان تلك المنطقة من الشام بعض المبادىء الاساسية للفكر المسيحي، وبهذا يكون قد هيأهم لقدوم المسيحية فيما بعد.

٢ - دخول المسيحية الى شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام:

يمكن أن نعزو دخول المسيحية الى الجزيرة العربية بعد القديس بولس وقبل الاسلام الى مصدرين رئيسين :

أ – المصدر الأول وهو الحركة النسطورية التي دخلت الى الجزيرة العربية عن طريق فارس.

ب – والمصدر الثاني أتى عن طريق الأحباش الذين احتلوا جنوب الجزيرة العربية وحكموها قبل الاسلام.

أ – النســـطورية :

في الواقع ان بداية القرن الرابع يعد مرحلة حاسمة في تاريخ المسيحية. فقد حصلت في الكنيسة انشقاقات مذهبية أدت الى انقسام الكنيسة الى شطرين: تزعم أولهما سيرل Cyrul في الاسكندرية. وتزعم ثانيهما نسطوريوس في سوريا، وكان محور الخلاف بينهما حول طبيعة السيد المسيح والعلاقة بين الطبيعة الالهية والطبيعة الانسانية في شخصه. وقد أكدت مدرسة سيرل الاسكندري الطبيعة الالهية الخالصة للسيد المسيح أي وحدة الطبيعة الالهية الخالصة.

والمدرسة الثانية، والتي كان يتزعمها نسطوريوس الانطاكي والتي هي موضوع بحثنا، فقد كانت تعتقد أن الطبيعة الالهية والطبيعة الانسانية للسيد المسيح كانتا تتمثلان في جانبين مختلفين، وقد اعترض دعاة هذه المدرسة على تسمية مريم العذراء بوالدة الاله[٥].

وكان نسطوريوس، الذي عين سنة ٤٢٨ ب.م. بطريركا للقسطنطينية، يظهر حماسا شديدا ضد الهراطقة. وكان يتحدث عن الطبيعة المزدوجة للسيد المسيح من إلهية وانسانية واتحاد هاتين الطبيعتين معا[٦].

وقد أدت هذه المعتقدات الى نبذهم ومعاداتهم من قبل جماعة سيرل الاسكندري التي كانت تنادي بالطبيعة الالهية الخاصة للسيد المسيح، ولذلك فانهم أدينوا وحرموا من مجمع افسوس Ephesus ومجمع خلقيدونه Chalecedon في سنتي ٤٣١ و ٤٥١م. [٧].

وبالرغم من الاجراءات التي اتخذت ضده فقد استمر نسطوريوس في وعظه ونشر معتقداته التي لاقت قبولا واسعا في موطنه انطاكية Antioch وانتشرت الى الشرق في فارس وبلاد ما بين النهرين وامتد تأثيره حتى وصل الى الجزيرة العربية [٨] :

وقد تمسك النسطوريون بمعتقداتهم عن طبيعة السيد المسيح بشدة. ويقول عزيز عطية:

«لقد تحاشى النسطوريون الفيليوك* Filioque في العقيدة، واعتبروا فكرة انبثاق الروح القدس من الأب والابن بدعة**. ومن ناحية أخرى، فان النسطوريين بالرغم من تقديسهم للسيدة العذراء والصليب يعترضون على تسمية السيدة العذراء بوالدة الإله ويمتنعون عن إقامة الصلبان في كنائسهم[٩].

وآراء نسطوريوس مبنية على قناعته بأن طبيعتي السيد المسيح الالهية والانسانية يجب أن تكونا متميزتين ولكنهما متحدتان. وفي حين كان يؤمن بأن السيد المسيح قد عاش حياة انسانية حقة فان خصمه سيرل كان يعتقد بأنه ليس هناك انفصال في طبيعة المسيح الالهية والانسانية وأن الطبيعتين كانتا متحدتين في واحدة[١٠].

وفيما يتعلق بمعتقدات النسطوريين يقول كيلي J.N.A.Kelly

« ان انسانية السيد المسيح هي Bypostasis Prospon.

ولم يكن المقصود أن تعني ضمناً أنها شخص متميز، ولكن مجرد أنه كان انسانا حقيقيا على نحو موضوعي. وتأكيد نسطوريوس على الناحية الأخيرة يجب أن تعتبر فضلا له لأن دافعه الى ذلك هو انصاف تجربة

---

* تعني كلمة Filioque الأب والابن معاً.

** لأنهم يعتقدون أن الروح القدس The Holy Ghost قد انبثقت عن الابن فقط.

المسيح الانسانية» (١١) .

ولا يقتصر الخلاف بين اتباع نسطوريوس وأتباع سيرل على العقيد فقط، بل يمتد ليشمل الطقوس الدينية. فقد أولى النسطوريون العبادة والطقوس الدينية أهمية كبيرة. ويبدو أنهم قد طوروا طقوسهم الدينية الخاصة منذ السنوات الأولى من انفصالهم عن الكنيسة الام. والنسطوريون يلتقون للصلاة في الصباح الباكر وفي المساء.

وهم لا يحتفلون كثيرا بالعشاء الرباني والذي يعتبرونه مناسبة خاصة ليست مرتبطة بالضرورة بالطقوس الدينية لجميع أيام الآحاد.

ويرى النسطوريون أن الاعتراف ليس من الأمور الهامة ويعتبرون الخميرة المقدسة أو الخبز المقدس Holy Leonen واحدا من المقدسات السبعة (١٢)* . والتي تعتبر تكملة لازمة للعشاء الأخير(١٣).

ونظراً للمصاعب التي لاقتها هذه الحركة في نشر تعاليمها في موطنها في الشام فقد اضطر اتباعها للهجرة الى بلاد فارس والتي كانت في ذلك العصر في صراع مع الامبراطورية البيزنطية، وهكذا فقد أصبحت بلاد فارس هي الملجأ الوحيد لهم.

وقد استفادت هذه الحركة من لجوئها الى فارس فأقامت عدداً من الكنائس، واستطاع اتباعها ان يحملوا البعض من عرب الحيرة على اعتناق عقيدتهم.

وعلى أية حال فان حماستهم ونجاحهم النسبي في دعوتهم أثار المخاوف في نفوس ملوك فارس الذين أصبحوا يشعرون بأنهم يجب ألا

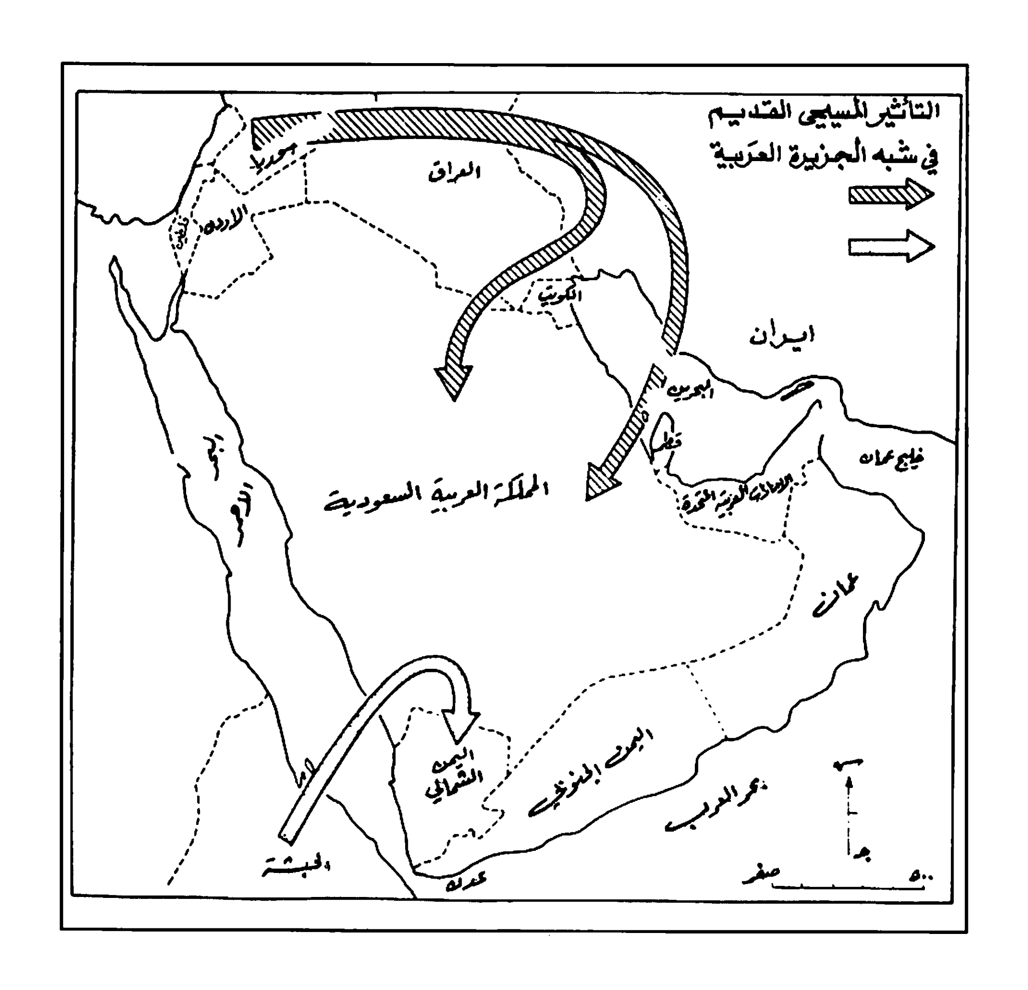
* والنسطوريون يؤمنون بسبعة مراسم أساسية Sacrments هي: الكهنوت، التعميد، المسح بالزيت، قربان جسم ودم المسيح، الغفران، الخميرة المقدسة وعلامة الصليب.

يسمحوا لهذه الحركة الدينية أن تنتشر بين اتباعهم. وفي عهد شابور الثاني Shapore 11 سنة ٣٧٩ ب . م . تعرضت الحركة النسطورية للاضطهاد [١٤] مما اضطرها للهجرة مرة أخرى. وكان الطريق المفتوح أمامها هو الهجرة الى شبه الجزيرة العربية عن طريق الخليج العربي فاستقروا في بداية الأمر في عمان ثم بدأوا ينتشرون الى الاحساء على السواحل الشرقية لشبه الجزيرة [١٥].

وهناك احتمال أن تكون هذه الحركة قد استخدمت الطرق التجارية في شمال شبه الجزيرة في هجرتها من بلاد فارس. وما ان جاء عام ٣٢٥ ب.م. حتى أصبح للجزيرة العربية أساقفة في مجمع نيقيا [١٦] ويقال إن قطر قد أصبحت أسقفية سنة ٢٢٥ ب.م[١٧].

ولم يعترض أحد من سكان الجزيرة العربية على هجرتهم. ومع مرور الايام اعتنق الديانة المسيحية عدد قليل من سكان المنطقة. وكان الساحل الشرقي للجزيرة العربية ملجأ ممتازاً لهم لعدم وجود حركة دينية مناوئة لهم في ذلك الحين. وقد ازدهرت الحركة النسطورية في شرقي الجزيرة العربية [١٨] ، واستطاعت الوصول عبر الطرق التجارية التقليدية باتجاه الشمال الغربي حتى المدينة، دون أن يكون لها تأثير يذكر. وفيما عدا الكنائس القليلة التي أقاموها في بعض الأجزاء الشرقية من الجزيرة العربية فان حركتهم لم يكتب لها البقاء طويلا بسبب التطورات الهامة غير المتوقعة التي حدثت في المنطقة وأدت الى توقف حركتهم: اولهما دخول الاحباش الذين كانوا ينتمون الى مدرسة سيرل Cyrul، والثاني ظهور الاسلام.

وسوف نعرض لهذين التطورين الهامين باعتبارهما أهم العوامل تأثيرا على المسيحية في الجزيرة العربية.


التأثير المسيحي القديم
في شبه الجزيرة العربية
سوريا
العراق
الأردن
فلسطين
الكويت
ايران
البحرين
قطر
الإمارات العربية المتحدة
خليج عمان
عمان
المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر
اليمن الشمالي
اليمن الجنوبي
بحر العرب
الحبشة
عدن
صفر
٥٠٠

ب - الأحبـــــــاش :

تقع الحبشة (إثيوبيا) عبر الزاوية الجنوبية للبحر الأحمر في الجهة المقابلة لشبه الجزيرةالعربية، وكان لها علاقات تجارية وسياسية وثيقة مع شبه الجزيرة العربية وبخاصة جنوب شبه الجزيرة. وكانت الحبشة أحد معاقل المسيحية منذ السنوات الأولى لانتشار الدين المسيحي* .

لقد دخلت المسيحية الى جنوب الجزيرة العربية عن طريق الحبشة . ويمكن ان نرجع الاتصال الاول لجنوب الجزيرة بالديانة المسيحية الى ٣٥٦ ب.م. عندما أرسل الامبراطور الروماني قسطنطين اول وفد الى المنطقة وبدأت المسيحية نتيجة لذلك بالانتشار، وأقيمت ثلاث كنائس من خزينة ملوك حمير في اليمن.

وعلى اية حال يمكننا أن نعزو القوة التي وصلت اليها المسيحية في جنوب الجزيرة بدرجة كبيرة الى الصراع بين الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الفارسية [٢٠]. حيث كانت الامبراطورية الرومانية تسعى دوماً لأن تفرض سلطتها السياسية وسيطرتها على المراكز الاستراتيجية الحساسة بالسيطرة على الحبشة، وكذلك على جنوب الجزيرة العربية، ولهذا فان المسيحية انتشرت في المنطقة لكونها الدين الرسمي للامبراطورية الرومانية، وتمكن مسيحيو الحبشة من تأسيس سلطتهم على جانبي النهاية الجنوبية للبحر الاحمر.

وبحلول القرن الرابع لم يكن للمسيحية تأثير يذكر في الجزء الشرقي من

---

* دخلت المسيحية الى الحبشة عن طريق مصر، وقد كان هنالك في الأساس اعداد كبيرة من اليهود في الاسكندرية وفي وادي النيل، وقد وصل المسيحيون الى تلك البقاع منذ بدأوا بالتبشير بين اليهود. ومن هناك انتشرت المسيحية الى إفريقيا والى الحبشة بشكل خاص عن طريق نهر النيل حيث انتقلوا من مصر العليا الى النوبة ثم الى الحبشة وقد اعتنق المسيحية عدد كبير من اليهود القاطنين في تلك المناطق[١٩].

الجزيرة العربية، وكانت تتركز في الجزء الجنوبي الشرقي لشبه الجزيرة الواقع تحت سيطرة الاحباش حيث استخدموا القوة لإخضاع اليمن.

ويمكن ان نستنتج من هذا ان المسيحية قد ازدهرت في المنطقة منذ القرن الميلادي الرابع، وبدأت تتوسع في الانتشار. والى جانب المسيحية كانت هناك ديانتان لهما تأثير هام رغم اقتصارهما على مناطق محددة وهما اليهود في المدينة وخيبر وبعض المناطق في اليمن، والوثنية في معظم أجزاء الجزيرة الشمالية والوسطى.

والوقع أن الحكم المسيحي لم يكن مستقرا في اليمن، وكانت تتخلله الثورات وعلى الأخص في النصف الأول من القرن السادس. وقد أقام أبرهة أحد الحكام الاحباش كنيسة في عاصمته صنعاء، وأراد أن يحج اليها أهالي الجزيرة، بدلا من الكعبة في مكة. فجمع جيشا عظيما وسار به الى مكة لهدم الكعبة ولإرغام القبائل التي تعيش في الشمال على اعتناق المسيحية، ولكن الحملة منيت بالفشل وقد اشتهرت هذه الحملة وجاء ذكرها في القرآن الكريم [٢١].

وكانت حملة أبرهة محاولة لإرغام شمال شبه الجزيرة العربية على اعتناق المسيحية بالقوة، ولكن الحملة لم تفلح في تحقيق هدفها ولم يكن للمسيحية في الشمال وجود يذكر، وهي حقيقة يثبتها الوضع الديني الحالي في المنطقة حيث عجزت المسيحية عن تثبيت جذورها. وقد أكد ريتشارد بل ذلك:

> «اننا لا نملك دليلا قويا على وجود أي مركز للمسيحية في الحجاز او المناطق المجاورة لمكة أو حتى المدينة» [٢٢] .

وإضافة الى ذلك فان الأدب، وهو في غالبيته من الشعر في ذلك الجزء من الجزيرة العربية، لم يذكر الكثير عن وجود المسيحية. أما عيسى فهو

الاسم الشائع في الاسلام، وقد ورد كثيرا في القرآن الكريم. والاسم مشتق من الكلمة السريانية «يشو» والمشتقة بدورها من الكلمة العبرانية «يشوعا».

ويعتقد الباحثون المسلمون ان هذا الاسم ربما يكون قد انتقل الى الجزيرة العربية عن طريق المسيحيين النسطوريين الذين وصلوا الجزيرة، كما سبق ان أوضحنا ذلك.

وعندما ترد كلمة «عيسى» في القرآن تسبقها دوماً كلمة نبي وكثيراً ما يلحقها عبارة «ابن مريم». ومن المحتمل أيضا أن يكون المقصود باضافة عبارة» «ابن مريم» الاشارة الى أنه كان انسانا كغيره من انبياء اللّه أو لمجرد الاشارة الى انسانيته [٢٣].

أما في المسيحية فان استخدام العبارة «ابن مريم» نادرة جدا ولكنها مذكورة في العهد الجديد مرقص ٦/٣.

«أليس هذا هو ابن النجار؟ أليس هو «ابن مريم»؟ [٢٤] .

إن عبارة «ابن مريم» وردت مرة واحدة في الانجيل. ويظهر انها لم تكن تستخدم في الكنيسة القديمة، ولا وجود لهذا اللقب في الكتابات المسيحية [٢٥].

٣ - معجزات المسيح :

ان المعجزة الكبرى المميزة لعيسى هي «شفاء المرضى». وقد أكد عليها القرآن الكريم في السورتين ٣/٤٩ و ٥/١١٠.

وما من شك ان هذه المعجزات كانت تعتبر علامة من علامات النبوة.

والانجيل أيضا يولي هذه الناحية اهتماما كبيرا (انظر انجيل متى ٩/١٢ متى ١١/٥). والسؤال الهام الذي كثر حوله الجدل والخلاف هو ما اذا كانت معجزات الشفاء ذات طبيعة مادية خالصة أم طبيعة روحية.

وأهمية هذه المعجزات كانت اقناع من كانوا يشكّون في رسالة المسيح واقتران هذه المعجزات هو دوماً بشفقته على المحتاجين.

والحق أن ما من أحد من الأنبياء الآخرين قد أتى بمثل هذه المعجزات من مولده حتى مماته، وما من شك أن الظروف الدينية المعاصرة له وغيرها كانت تتطلب هذا الدور وهذه المكانة المنفردة.

٤ – مـوت المســـيح :

ان موت المسيح هو أخطر وأعقد المشكلات، حيث ثار حولها الجدل بين المسلمين والمسيحيين على طول الزمان. ويعتقد المسيحيون ان عيسى قد صلب، ولكن المسلمين يخالفونهم الرأي ويؤمنون بأن تدخل اللّه قد حال دون ذلك، وأول ذكر لموته في القرآن يظهر في سورة ١٩/١٤ وسورة النساء الآية ١٥٧ والآية الأخيرة هي أهم هذه الآيات وتفسر ما حدث من وجهة نظر الاسلام.

«وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم» [٢٦] .

والمشكلة الكبرى هي الطريقة التي مات فيها وهل الموت موت مادي حقيقي أم لا؟ هل حقا أنه مات صلبا؟ وهل رافق موته أي عذاب؟

والاناجيل الأربعة تجمع على أن المسيح مات فعلا على الصليب. والدين المسيحي قائم على تضحية المسيح تكفيراً لذنوب بني الانسان. والقرآن ينفي هذا الرأي ويشير الى أن اليهود يعتقدون بأنهم قد صلبوا المسيح ولم يقتلوه حقا وعبارة «شبه لهم» تستخدم لوصف ما حدث [٢٧].

وهكذا، فبالرغم من أن المسيح قد حكم عليه بالموت، ودبر اليهود موته على الصليب إلا أن اللّه تعالى أحبط خطتهم وأنقذه من بين أيديهم بأن يكون بيت الشعر التالي من الأمثلة النادرة التي تشير الى وجود المسيحية والذي يذكره ريتشارد بل بقوله :

«وكأس كعين الديك باكرت حدّها

بفتيان صدق والنواقيس تضرب» [٢٨] .

ولذا يمكن القول: إن التأثير المسيحي في شمال الجزيرة العربية يكاد يكون معدوما [٢٩] . وفي النصف الأول من القرن السابع ظهر الاسلام في مكة والمدينة، وكان هو الدين الذي أدى الى تغيير الصورة الدينية في شبه الجزيرة العربية.

٥ - المسيح والاسلام :

ان الاسلام هو الدين الوحيد فيما عدا المسيحية الذي أعطى المسيح مكانة ذات أهمية كبيرة. فالقرآن يعترف بأنه نبي من أنبياء اللّه والقرآن يمجده ويحوي العديد من السور التي تتحدث عن قصة حياته ورسالته. وقد كان المسلمون دوما يكرمون عيسى ويضيفون عبارة «عليه السلام» كلما ذكر اسمه، وقد وردت هذه العبارة في القرآن: «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا» [٣٠] . إن موقف الاسلام من المسيح والمسيحية يقوم على ذكر القرآن عن مولده، وأسمائه، ومعجزاته، ورسالته وموته، وفيما يلي محاولة موجزة لتوضيح مكانة المسيح في القرآن لنعرف الى أي مدى ساعدت المبشرين في نشر المسيحية بين المسلمين.

١ - مولده :

نظراً لأن مولد المسيح لم يكن مولدا طبيعيا كسائر بني الانسان، فان هذا الموضوع كان ولا يزال مثاراً للجدل والنزاع. وردت قصة مولده بالتفصيل مرتين في القرآن:

«إذ قالت الملائكة يا مريم إنّ اللّه يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم» [٣١].

وقد أوضح القرآن الكريم ان اللّه تعالى اراد أن يكون مولد عيسى معجزة ليكون دليلا على قدرته على السيطرة على أي شيء يحدث في الحياة الواقعية. وقد اكتمل هذا الدليل بمعجزة المسيح عندما كلم الناس وهو لا يزال طفلا في المهد : «ويكلم الناس في المهد» [٣٢].

٢ - أسـماؤه :

وللمسيح ثلاثة اسماء رئيسة في القرآن : المسيح وعيسى وابن مريم [٣٣].

وهنالك تفسيرات عديدة لسبب تسميته بالمسيح فالبعض كانوا يعتقدون ان اسمه مشتق من العبرية ويعني «المبارك» [٣٤] ، في حين يعتقد آخرون ان اسمه - والذي يطلق عادة على من كان كثير الترحال - أطلق على السيد المسيح لكثرة ما كان يقوم به من أسفار الى الشرق [٣٥].

والتفسير الآخر لاسم المسيح هو «خادم اللّه» [٣٦]. وكلمة «مسيح» في العربية الدارجة معناها «السيد» وتستخدم دلالة على التعظيم [٣٧]. وكلمة مسيح أيضا من المسح بالزيت والتي هي أحد المراسم الدينية للمسيحية.

ويقول كوبيت دون Cuppit Don :

« إن عيسى والمسيح هما اسمان لشيء واحد وهو الأساس الذي تقوم عليه الكنيسة [٣٨]» .

وهذه التفسيرات المختلفة لكلمة مسيح كلها تدل على التمجيد سواء في المسيحية او الاسلام. وقد ورد هذا الاسم مرات عدة في القرآن.

رفعه الى السماء [٣٩] لهذا فان موته كان معجزة كمولده. وموت المسيح هو أحد أهم موضوعات الخلاف بين المسيحية والاسلام، وهذا الخلاف هو من الصعوبات التي تقف عقبه أمام اية محاولة للحوار بين أهل الديانتين.

٣ - الثالوث المقدس :

ينكر القرآن تعاليم المسيحية بشأن الثالوث المقدس. فالقول بأن اللّه حل في المسيح أمر يرفضه الاسلام، والقرآن يوضح ذلك بجلاء عندما يقول:

«لقد كفر الذين قالوا إن اللّه ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد[٤٠].

وهذا الرأي لا يقتصر على المسلمين، اذ في الواقع أن بعض المسيحيين يؤمنون بذلك، وقد كان موضوعا للخلاف والجدل منذ القرن الرابع عندما أصبح رأي النسطوريين في انسانية المسيح مسموعا. ويؤكد القرآن على أن المسيح ليس سوى رسول من عند اللّه[٤١].

واعتقاد المسيحية الرسمي هو أن هناك ثلاثة أقانيم في إله واحد وهي الاب والابن والروح القدس.

ويقول كينيث كراج في شرحه العقيدة المسيحية للمسلمين:

«على المسيحيين ان يبدأوا من منطلق
أن المسلمين لا يعتقدون ان الثالوث
المسيحي طعن في وحدانية اللّه بل
شكل من أشكال التعبير عن هذه الوحدانية.
ولا يمكننا أن نبدأ بالتبشير الا بالاتفاق
على أننا واياهم نحمل ايمانا لا يتزعزع
بأن اللّه واحد» [٤٢].

الآن وقد علمنا المكانة السامية التي للمسيح في القرآن، فالسؤال هو : إلى أي مدى تمكن العاملون في مجال التبشير المسيحي من الاستفادة من هذه المكانة في التبشير بين المسلمين؟

إن المسلمين يعتقدون أن المسيحية هي أقرب الديانات الى الاسلام، ومع وجود نقاط للخلاف بين الديانتين الا ان هناك ايضا نقاطاً للالتقاء والمكانة إلرفيعة التي يتمتع بها المسيح في القرآن فتحت الطريق أمام المبشرين وأعطتهم المفتاح الذي يمهد طريق الحوار بينهم وبين المسلمين.

والمبشرون عادة يبدأون الحوار بالاستشهاد ببعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن المسيح ثم يوجهون الحوار بالتدريج الى المفاهيم والمعتقدات المسيحية. وحتى الآيات التي كانت ترفض المعتقدات المسيحية كانت تفسر بطريقة مغايرة لموقف الاسلام من هذه القضايا. لقد كان المبشرون يلجأون لأمثال هذه الطرق عندما تعترضهم صعوبات تتعلق بالتوفيق بين المعتقدات الاسلامية والمسيحية حول دور السيد المسيح (٤٣) . ومثال على ذلك رفض الاسلام للاعتقاد القائل بأن المسيح ابن اللّه والذي كان المبشرون يفسرونه بقولهم ان المسيح هو ابن اللّه روحيا وليس ماديا. أما فيما يتعلق بموت المسيح فقد كانوا يقللون من شأن هذا الخلاف بقولهم إنه مجرد اختلاف في التفسير وهو أمر يحدث في كل مجتمع، ولكن المهم هو أن الديانتين متفقتان على أنه قد رفع الى السماء.

هذه فكرة موجزة لمكانة المسيح في الاسلام ولو أنها قضية عقائدية لا تبدو متصلة عضويا بالموضوع، ولكن فقط لمعرفة الكيفية التي استخدم المبشرون هذه المكانة في نشاطهم بين المسلمين.

٦ - الأوضاع السياسية :

كانت الأوضاع السياسية في الجزيرة العربية في بداية الاسلام غير مستقرة، ولم يكن هناك سلطة مركزية قوية. والسلطتان اللتان كانتا

تتمتعان بتأثير يذكرهما: الامبراطورية البيزنطية في الشمال (سوريا)، والامبراطورية الفارسية في الشرق. وكان نفوذ الامبراطوريتين ضعيفاً جداً في شبه الجزيرة العربية. أضف الى ذلك أن الخلافات المستمرة بين الامبراطوريتين قد أنهكت قواهما وجعلتهما عاجزتين عن مواجهة قوة محاربة فتية كالمسلمين.

وكانت القبائل هي مراكز القوة الرئيسة في الجزيرة، والتركيب السياسي الوحيد في الجزيرة هو النظام القبلي. وكانت الجزيرة مقسمة الى مناطق صغيرة خاضعة للنفوذ القبلي، لكل واحدة من هذه المناطق شخصية سياسية متميزة، ولهذا فقد كانت الحروب مستمرة بين القبائل. فالجزيرة العربية اذن لم تعرف حكومة محلية قوية في كل تاريخها باستثناء اليمن. وكانت هذه الاوضاع السياسية وخلو الجزيرة من حكومة قوية مناخا مثاليا لتوسع حركة نشطة كالاسلام. ولم يجد جيش الاسلام الطموح مقاومة تذكر، وفي كثير من المناطق قوبلت الجيوش الاسلامية وقوادها بالترحيب، حيث كانت هذه المناطق تعيش أوضاعا سيئة.

ومنذ بداية التوسع الاسلامي الذي لم يقتصر على الجزيرة العربية، بل شمل بلاداً أخرى أيضا، فقدت المسيحية حقاً كل نفوذ لها في الشرق، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. ولكن هذا لا يعني أن المسيحية قد استسلمت ولم تحاول استرجاع نفوذها، فقد كانت هناك محاولات، وبعض هذه المحاولات كادت أن تنجح، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك الحروب الصليبية التي بدأت سنة ١٠٩٦ ب.م. [٤٤] عند توقف الزحف الاسلامي الذي اعترضته فترة من الأزمات في أواخر عهد الخلفاء العباسيين.

الحـروب الصليبيـة :

كتب بعض الكتّاب المسيحيين عن الحروب الصليبية أو عن الاسلام

معتبرين الفتوح الاسلامية غزوا دينيا لا يختلف عن الغزو الصليبي[٤٥].

ومن هؤلاء الكتاب أشخاص بارزون مثل ويلسون كاش Wilson Cash الذي كان سكرتيرا لـ .C.M.S، وزويمر S.M.Zwemer أحد زعماء الارسالية العربية، ودنكان ب. ماكدونالد Duncan B. Macdonald وبالمقابل فان بعض الكتّاب العرب بنوا مواقفهم من المسيحية والعلاقة بين المسلمين والمسيحيين على ردود فعلهم تجاه الحروب الصليبية.

وكانت للحروب الصليبية بواعث دينية وسياسية واقتصادية، وكانت البواعث السياسية والاقتصادية مرتبطة بمصالح المدينتين التجاريتين الايطاليتين البندقية وجنوا. وكانت المدينتان واقعتين في شمال ايطاليا، وكانتا تطمعان باقامة مراكز لهما في شرق البحر الأبيض المتوسط لخدمة مصالحهما التجارية، ولذلك فقد كانت لديهما رغبة كبيرة بتوجيه الحملات الصليبية الى تلك الجهات، في حين أن النورمان في جنوب ايطاليا كانوا يقدمون العون للحملات الصليبية لأنهم كانوا يتطلعون الى مغامرات جديدة والى احتلال بلاد جديدة[٤٦].

وادّعى بعض الكتّاب المسيحيين أن السبب الرئيسي لهذه الحروب هو الغزو السلجوقي الذي أدى الى احتلال القدس في ١٠٧٦، والصعوبات التي يلقاها الحجاج المسيحيون للأماكن المقدسة على أيدي هؤلاء الغزاة، حيث استمر الامبراطور الكسيوس كومينيوس بالالحاح طوال خمس سنوات على البابا وعلى ملوك أوروبا الغربية لمساعدته ضد المسلمين [٤٧]. واتفاق السلطتين الدينية والزمنية على هذه الحروب يدل بوضوح على أن البواعث من ورائها لم تكن دينية محضة. وقد ظهر هذا بجلاء عندما قام الصليبيون بتأسيس ممالك لهم في الشرق أثناء محاولاتهم لاسترجاع القدس.

«تلقى البابا اربان الثاني الرسالة من الامبراطور البيزنطي بحماسة شديدة فقد كان يريد استرجاع المدينة المقدسة القدس من أيدي «الكفار» ويجعل المدينة آمنة للحجاج المسيحيين، وكان يريد أيضا أن يضع حدا للنزاعات التي تنشب بين المسيحيين في الغرب» (٤٨) .

وكان هذا الدافع في نظر المسيحيين الأوروبيين هو الدافع الأساسي للحروب الصليبية. والسؤال المهم هو من هم ضحايا الحرب في كلا الجانبين؟ ففي الغرب كان الفقراء هم الذين يدفعون للاشتراك في هذه الحروب، وقد التحقوا بالجيش لأن البابا أعلن في مجمع كليرمونت في سنة ١٠٩٥:

«... ستغفر ذنوب كل من يموت في الحروب، أو في طريق الرحلة» (٤٩).

وكان ضحايا الحرب في الجانب الآخر أيضا من الفقراء. وبما أن أهداف الحملات لم تكن دينية فحسب، فان بعض المشتركين فيها كانوا يسعون وراء المكاسب الفردية. وكانوا يظنون أن هذه الحروب ستحقق لهم ما عجزوا عن تحقيقه في بلادهم من الطموحات. وما من شك أن الحصول على المغانم كان من الحوافز الأساسية للكثير من الصليبيين(٥٠).

وما قام به الصليبيون عند وصولهم الى الشرق كان بعيدا كل البعد عن المثل المسيحية. وقد كتبت آن ويليامز Ann Williams تقول: إن الصليبيين عند احتلالهم انطاكية ذبحوا السكان .. وأضافت ان هذه المذبحة قد أثارت اشمئزاز المسيحيين في أوروبا (٥١) .

ولتبرير ما حدث في الحروب الصليبية دأبت الكنيسة على القول إنه لم يكن هناك بديل عن حج مسلح، وهو تفسير كان يلقى الكثير من القبول لدى الناس ابان الحروب الصليبية، فهذا الجيش لم يكن ذاهبا للاعتداء

وانما للدفاع عن النفس[٥٢].

والواقع ان هذا كان بعيدا عن الواقع لأن الهدف منها كان محاربة المسلمين واسترجاع الأراضي المقدسة.

وقد لخص الأستاذ H.E.Mayer أهداف الصليبيين كما يلي :

«حب المغامرة، شهوة الحصول على المغانم – وهذه من الصفات التي كانت تميز الأفراد المشتركين في هذه الحروب»[٥٣].

كان مسيحيو القرن الحادي عشر ينظرون الى الحروب الصليبية على أنها حروب مقدسة معتقدين أن الايمان يجب أن يعتمد على القوة لحمايته، وقد بقي المسيحيون يؤمنون بذلك عبر القرون حتى القرن التاسع عشر، وكانوا يعتبرون المسلمين كفارا، وهذا الموقف ولد الحقد وسوء التفاهم وفقدان الثقة بين الفريقين[٥٤].

لقد كان مبشرو القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين يعتمدون على القوى الامبريالية لحماية نشاطهم خارج البلاد المسيحية، ومساعدتهم على تحقيق أهدافهم لأنهم كانوا يعتقدون أن القوة السياسية والعسكرية ضرورية لمساندة نشاطهم، ولهذا السبب تورط بعضهم في القضايا السياسية. ومع أنهم كانوا يعرفون أن الأهداف الحقيقية لهذه القوى الاستعمارية هي اقتصادية وسياسية الا أنهم كانوا يعتقدون أن من البدهي أن تعمل الدول المسيحية على مساعدتهم، وهذا هو ما حدث فعلا–كما سيتضح لنا ذلك في فصل قادم.

العصر الحديث :

ومهما يكن من أمر، فان المحاولات لإدخال المسيحية الى شبه الجزيرة العربية لم تنقطع. وأهم هذه المحاولات هو الاتجاه التبشيري مع ان الأعمال التبشيرية لنشر الكتاب المقدس كانت دوما موجودة

بصورة أو بأخرى.

ان العمل التبشيري بأحدث أشكاله هو شكل متأخر من أشكال النشاط المسيحي، والذي بدأ في القرن الثامن عشر عندما أصبح مؤسسة تبشيرية تنظمها وتدعمها الهيئات الدينية العالمية.

وبالتأكيد فان الاتجاه التبشيري هو تطور حديث، وقد استطاع أن يدخل أو يعيد المسيحية الى عدد كبير من البلاد الجديدة وبخاصة في افريقيا وأمريكا الجنوبية والهند.

ان تطور هذه المؤسسات التبشيرية وتأثيرها الواسع في الموقف الديني هو أمر بالغ الأثر، والأسباب التي دعت الى قيام هذه المؤسسات ومهدت لها كثيرة. والعوامل الثلاثة الرئيسة التي تضافرت بشكل مباشر أو غير مباشر في قيام العمل التبشيري هي : عصر النهضة وحركة الاصلاح والتوسع الأوروبي.

وهذه الحركات تمثل ثلاثاً من التطورات الكبرى في الغرب في القرون القليلة الماضية، وكان لها تأثير كبير في تكوين المجتمع العالمي الحالي، ولكن عصر النهضة وحركة الاصلاح لا تدخلان في نطاق بحثنا هذا.

وكان للانقسام الذي وقع في الكنيسة والجهود التي قام بها الكاثوليكيون وخصومهم الجدد من البروتستانتيين لنشر أفكارهم وتقوية كنائسهم أثر كبير في جميع الاتجاهات الدينية بما في ذلك العمل التبشيري. وما من شك أن التبشير في شكله المبسط وهو نشر الكتاب المقدس قديم قدم المسيحية ذاتها، ولكن التحوّل الذي طرأ على العمل التبشيري أثناء حركة الاصلاح وبعدها كان تحوّلاً رئيساً بعيد الأثر، وكان لكلّ من الكنيستين موقف خاص في معالجة الأعمال التبشيرية.

والحقيقة المؤكدة هي أن أساليب التبشير منذ حركة الاصلاح قد تحولت من الاعتماد بشكل رئيسي على الاتصال الشخصي الى التأكيد على الخدمات الانسانية. ولم يكن هناك تنسيق أو تكامل في العلاقات بين الكنيستين، وأحيانا كانت كل من الكنيستين تعمل على تحويل اتباع الكنيسة الأخرى الى معتقداتها. ويقول جورج انطونيوس ان الارسالية البروتستانية في سوريا نجحت في تحويل عدد من اتباع الكنيسة الكاثوليكية [٥٥] مما أدى الى قيام التنافس بين البروتستانتيين والكاثوليكيين هناك.

الاختلاف في العمل التبشيري بين الكاثوليك والبروتستانت:

أ - اتساع العمل التبشيري :

كان المبشرون البروتستانت أكثر نشاطا في مواقفهم التبشيرية، ويستخدمون مناهج متنوعة في أعمالهم. وقد شجعهم بالاضافة الى ذلك على نشر الانجيل عن طريق جمعيات الانجيل والمكتبات وغيرها من أماكن التوزيع والراديو، كما وسّعوا استخدام دورات المراسلة لتعليم الانجيل. ومن المؤكد أن الكنيسة الكاثوليكية قد تعلمت بعض هذه الأساليب الجديدة منذ حركة الاصلاح واستخدمتها في أعمالها التبشيرية، ولكن ليس بالدرجة نفسها التي استخدمها بها البروتستانت. والكاثوليك يميلون الى الأساليب التقليدية كما ان الهيكل التنظيمي للكنيستين يختلف في بعض الجوانب اختلافا كبيرا. فالكنيسة الكاثوليكية في أعمالها التبشيرية تعمل ضمن هيكل تنظيمي واسع ومعقد يتطلب ضبطا، وفي بعض الأحيان فرضا لأنواع معينة من السلوك والمسؤوليات والواجبات على أفرادها، وهذه القيود تحرم المبشرين الكاثوليك من قدر كبير من المرونة التي يتمتع بها المبشرون

البروتستانت، كما ان عدد أفراد الكنيسة البروتستانتية كبير جدا ويتمتع هؤلاء الأفراد بقدر كبير من اللامركزية كما يؤكد القس يونج Rev. Young:

«عندما يفقد أحد أجزاء الكنيسة حيويته يقام جزء آخر مفعم بالحيوية في مكان آخر»(٥٦).

ب – الاتجاهات المنظمة والفردية :

كانت الكنيسة الكاثوليكية بتنظيمها التقليدي المعقد تركز على وانتشارها، واقامة الكنيسة في كل مكان تذهب اليه، فوجود الكنيسة الكاثوليكية وتأسيسها في نظر المبشر الكاثوليكي أهم من نشر الانجيل. أما البروتستانت فقد أكدوا على الانجيل ونشره. وبمعنى آخر فان البروتستانت يكافحون بعناد في سبيل تحقيق هدف معين وهو تحول أكبر عدد من الناس الى اعتناق المسيحية مستخدمين أنسب الطرق لتحقيق هذا الهدف. ومن هذا نرى ان الاختلاف الرئيس بين الكنيستين هو مسألة الكمية والكيفية، ففي حين أكّد الكاثوليك على أهمية ادخال الكنيسة الكاثوليكية بهيئاتها وتنظيماتها في المناطق التي يعملون بها وهو أمر يستغرق زمنا طويلا، فان البروتستانت يفضلون أن يقوموا بتغطية أكبر قدر ممكن من المساحة وينتقلون الى بلاد أكثر، وهكذا نجد أن توزعهم أقل كثافة من الكاثوليك ولهم وجود في عدد أكبر من البلاد ومؤسسات تبشيرية أكثر.

التوسع الأوروبي والتبشير

إن التطور الحديث في العمل التبشيري يدين بالفضل الى عصر النهضة وعصر الاصلاح الديني، سواء على نحو مباشر أو غير مباشر. فقد هيأ الاثنان الجو الصالح لتحديث العمل التبشيري. وعلى أية حال فهناك عامل ثالث كان له دور هام في الوصول بالعمل التبشيري الى ما هو

عليه اليوم ألا وهو التوسع الأوروبي. واذا كانت حركة الاصلاح تعتبر العامل الرئيس في تنشيط العمل التبشيري، فان التوسع الأوروبي يجب أن يعتبر العامل الذي أكسب العمل التبشيري طابعا عالميا. فحركة الاصلاح عالجت المحتوى الديني للعمل التبشيري في حين حمل التوسع الأوروبي الرسالة الى العالم. وفي الواقع إن الحاجة الى اكتشاف ما كان يعرف يومئذ بالعالم المجهول للحصول على المواد الخام هي التي دفعت الى التوسع الغربي وأدت الى التعجيل به.

وفي نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر فتح عصر الاكتشافات الجغرافية العالم على مصراعيه أمام الأوروبيين، وكان الهدف من وراء هذه الاكتشافات، الرغبة في العثور على طرق بحرية جديدة أقل كلفة لنقل منتجات الشرق الى الغرب. وقد جرى البحث في اتجاهين : الطريق الشرقي عبر افريقيا والطريق الغربي عبر المحيط الأطلسي. وكانت نتائج هذه الرحلات هي اكتشاف أمريكا. ثم تلا ذلك التوسع في الشرق وأمريكا. ولم يكن التوسع الغربي مجرد توسع للقوة أو النفوذ إذ إن أهم ما نتج عنه هو انشاء الثقافة الغربية. والتوسع الغربي الذي كان من أهم الاحداث في تاريخنا الحديث والمعاصر وأبعدها أثراً لا يدخل أيضا في نطاق هذه الدراسة، ولكنه مع ذلك يتصل بها اتصالاً مباشراً، ولهذا فسنركز عليه نظراً للدور الهام الذي لعبه في العمل التبشيري اذ لولاه لما رأت الحركة التبشيرية التي نراها اليوم النور.

فقد كان التوسع الغربي هو العربة التي حملت رجال الكنيسة المسيحية وأفكارها ورسالتها الى جميع اطراف الارض.

وأول النتائج الهامة التي تمخّض عنها هذا التوسّع كانت انتشار الثقافة الغربية والسلوك الغربي في الحياة، وأهم من ذلك كله الدين.

وقد نقلت المسيحية قاعدتها تدريجيا عبر السنين من الشرق – حيث نشأت وترعرعت – الى الغرب، فأصبحت مؤسسة غربية.

ان المؤسسات المسيحية وزعامة العالم المسيحي في يومنا هذا ليست في القدس أو أي جزء آخر من فلسطين أو الشرق الأوسط، بل توجد في اماكن مثل روما والعالم الغربي عامة.

وعندما بدأ التوسع الغربي يبسط نفوذه في عالمنا الحديث والمعاصر، كانت المسيحية واحدة من السلع الثقافية التي صدّرها، أما فيما يختص بالبلاد العربية، فقد قامت الارساليات الغربية بادخال المسيحية الى بلادنا ثانية في العصر الحديث، ولكن بوسائل جديدة.

النشاط التبشيري في البلاد العربية

وكما هو الحال في افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية، فقد قام التوسع الغربي باعادة المسيحية الى بلاد العرب. وقد شعر مسيحيو الغرب ابّان التوسع الغربي بأنّهم كانوا في مركز يسمح لهم بأن يبدأوا نشاطهم الديني في بلاد العرب. وقد بدأت الارساليات الغربية عملياتها في هذه المنطقة منذ مطلع القرن الثامن عشر في الشام [٥٧] * .

وكان نشاطهم فيها محدوداً، حيث اقتصر على مدارس متفرقة قليلة وبعض معاهد اللاهوت ونشر الكتب الدينية. وكان جميع المبشرين كاثوليك وغالبيتهم من الفرنسيين.

وأول ارسالية أمريكية بروتستانتية وصلت الى سوريا في سنة ١٨٣٠ [٥٨]. وكان اعضاؤها يتبعون الهيئة الأمريكية للارساليات العربية

* كانت سوريا ولبنان وفلسطين والاردن جميعا تدعى الشام قبل ان يقوم الاستعمار بتجزئتها الى مناطق عدة.

والتي سبق أن أنشأت محطة لها في مالطا. وشعروا بضرورة نقل نشاطهم التبشيري والتوغّل في الشرق، وحطّوا رحالهم في بيروت التي كانت أولى محطاتهم، وجعلوا منها أهم مركز لهم، وبدأ المبشرون الأمريكيون نشاطهم التعليمي هناك متخذين منه وسيلة لتحقيق أهدافهم، وأدّى ذلك في الواقع الى تطور ملموس في سوريا في ذلك الوقت (٥٩). وقد استطاعوا التأثير في الناس عن طريق التعليم والطب. وعندما بدأوا يحسّون بالاستقرار شعروا ان الوقت قد حان لفتح ميادين جديدة. والواقع ان جهود الارساليات المسيحية للانتقال الى شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي بدأت مع هنري مارتن سنة ١٨١١، وكان أهم ما قام به من أعمال ترجمة الكتاب المقدس الى اللغة العربية، والمحاولة التي قام بها لبيع بعض النسخ منه. وفي سنة ١٨٢٤ ذهب جون ويلسون ليقوم بعملية استكشافية لشبه الجزيرة العربية تمهيدا للبدء بأعمال التبشير، ولكنه لم يمكث هناك طويلا. وفي عام ١٨٢٩ ذهب طبيب أسنان من اكستر في بريطانيا اسمه انتوني ن. جروفي (N. Groves Anthony) الى بغداد في العراق، وقام ببيع بعض الكتب الدينية هناك، وهكذا بدأ محاولته بالعمل التبشيري في تلك البلاد. والعمل التبشيري الوحيد الذي جرى في منطقة الخليج العربي في النصف الاول من القرن التاسع عشر كان على يد الدكتور جون ويلسون من بومباي (John Wilson) الذي قام بارسال بائع متجول للكتاب المقدّس الى هذه المنطقة في عام ١٨٣٤(٦٠). وكان ينتمي الى الكنيسة الاسكتلندية. وفي سنة ١٨٤٨ بدأت الهيئة الأمريكية للارساليات الأجنبية بترجمة عربية جديدة للكتاب المقدس (٦١)، ثم قام القس ستيرن (Rev. Stren) برحلة تبشيرية عام ١٨٥٦ الى صنعاء في اليمن وبغداد واجزاء أخرى من بلاد العرب وهو يحمل الكتاب المقدس معه. وفي عام ١٨٨٤ قام السيد وليام ليثالي (William Lethaly) من

انجلترا بصحبة زوجته وبدأ حملة تبشيرية في المدينة في شبه الجزيرة العربية ثم تبعته ارسالية إيان كيث فالكونر (I an Keith Falconer) من كنيسة اسكتلندا الحرّة والتي بدأت عملها التبشيري في عدن في جنوب اليمن عام ١٨٨٥. وفي بداية العام التالي حاولت ارسالية شمال افريقيا (North Africa Mission) الوصول الى القبائل البدوية في شمال الجزيرة دون ان يحالفها النجاح [٦٢].

ثم جاءت محاولة «الارسالية العربية» التي بدأت عملياتها على الشاطىء الشرقي للجزيرة العربية (الخليج العربي) في عام ١٨٨٩.

وهذه الدراسة تهدف الى تقويم وتحليل أعمال هذه المنظمة التبشيرية التي حاولت ادخال المسيحية الى بلاد العرب من جديد، واتخذت من النشاط الطبي والتعليمي وسائل أساسية لها، كما كان لكثير من أعضائها نشاطات سياسية في المنطقة.

الهوامـــــش:

1 - Wright, Thomas, Early Christianity in Arabia, London 1855, pp. 72 - 73.
2 - New English Bible, New Testament, G.B., 1961, Oxford University Press and Cambridge University Press, THE Letter of Paul to the Galatians, 1,2,p. 308.
3 - Bell, Richard, The Origin of Islam in its Christian Environment, London, 1968, pp. 15 - 16.
4 - Ibid., p. 15.
5 - Barteld, V.V., Mussulman Culture, Translated from the Russian by Suhrawardy, S., Calcutta, 1934, pp. 4 - 5.
6 - Smart, N., The Religious Experience of Mankind, N.Y., 1969 G.B., 1970, pp. 448 - 49.
7 - Bartold, V.V., op. cit., pp. 10 - 11.
8 - Betts, B.R., Christians in the Arab East, Athens 1975, pp. 3 - 4.
9 - Atiya Aziz, A., A History of Eastern Christianity, London 1968, pp. 294 - 5.
10 - Kelly, D.N.J., Early Christian Doctrines, London, 1958, 1960, 1968, pp. 312 - 14.
11 - ibid., p. 317.
12 - Atiya Aziz, op. cit., pp. 295.
13 - ibid., p. 295 - 6.
14 - Bartold, V.V., pp. 4 - 6.
See also Atiya Aziz, op. cit., pp. 252 - 56.
15 - Storm, H., op. cit., p. 33.
16 - Kelly, D.N.J., Early Christian Creeds, London 1960, 1972, p. 208.
17 - Storm, H., op. cit., p. 32.
18 - Atiya Aziz, op. cit., pp. 258 - 59.
19 - Bell, Richard, op. cit., pp 34 - 35.
20 - Graves, p. Ci., The Planting of Christianity in Africa, Vol. 1, London, 1948, 1964, pp. 36 - 47.
21 - Koran, CV, Cairo edition, 1342 A.H.

22 - Bell, Richard, op.cit. p. 136
See also, Betts, B.R., op. cit. p. 1.

23 - Bell, Richard, op. cit., p. 42.

24 - Betts. B.R., op. cit., p. 42.

25 - Koran, IXIX : 34, Arberry, op. cit., p. 333.

26 - Koran, III : 40, Arberry, p. 79.

27 - Koran, III : 40, Arberry, p. 79.

28 - Koran, IV : 170, Cairo edition, 1342 H.

29 - الحداد، الانجيل في القرآن، القاهرة، ص ٣٨٥ (بدون تاريخ)

30 - Ali, M.M., The Holy Quran, Containing the Arabic Text with English transelation and Commentary, Lahore, India, 192, p. 154.

31 - Zwemer, M.S., The Moslem Christ, Edinburgh and London 1912, p. 24.

32 - See also, Parrinder, G., M.S., The Moslem Christ, Edinburgh and London 1912, p. 24.
See also Parrinder, G., Jesus in the Quran, London 1965, p. 33.

33 - Cuppit, Don, The Times (new paper) Sept, 17, 1977, p. 16.

34 - Parrinder, G., op. cit., pp. 16 - 17.
See also, Ali, M.M.op. cit., pp. 154 - 55.

35 - The New English Bible, op. cit., Mark 6:3.

36 - Parrinder, G., op. cit., p. 26.

37 - Koran, Sura IV : 155, Arberry, op. cit., p. 123.

38 - Parrinder, G., op, cit., pp. 105 - 109.

39 - Ali, M.M., op. cit., p. 159.
See also, Waddy Charis, op. cit., p. 119.

40 - Koran, V : 77, Arberry, op. cit., p. 140.

41 - Koran, IV : 171, Cairo edition 1342 H. (1923).

42 - Cragg. K., The Call of the Minaret, N.Y., 1956, p. 308.

43 - مقابلة أجراها المؤلف مع بعض المواطنين يوليو ١٩٧٧

44 - Mayer, E.H., The Crusades, Stuttgart, Germany 1965, Oxford 1972, pp. 42 - 44.

45 - Macdonald, B.D., Aspects of Islam, 1911, U.S.A., pp. 252 - 62.

213 - 16, 243 - 46. See also, Cash, W., op. cit., pp. 109 - 114. See also, Zwemer, M.S., and Cantine, J., **The Golden Milestone,** N.Y., p. 141.

46 - Williams, Ann., **The Crusades,** Hong Kong 1975, p. 8.

47 - ibid., pp. 11 - 13.

48 - ibid., pp. 14.

49 - ibid., pp. 14 - 15.

50 - ibid., pp. 18 - 19.

51 - ibid., pp. 23 - 24.

52 - Mayer, E.H., op.cit., pp. 1 - 16.

53 - Ibid., p. 22.

54 - Cash, W., op. cit., 39.

55 - Antonius, **The Arab Awakening,** Beirut, 1969, pp. 35 - 36.

56 - مقابلة اجراها المؤلف القس هـ. يونج، يونيو ١٩٧٥، برمنجهام، بريطانيا

57 - Antonius, G.op. cit., p. 35.

58 - Tibawi, L.A., American Interests in Syria, 1800 - 1901, Oxford 1966, printed in the University of Aberdeen, p. 20.

59 - Samra Mahmud, **Christian Missions and Western Ideas in Syrian Muslims writers (1906 - 1918),** Ph. D. Thesis 1958, University of London, S.O.A.S., P. 35.

60 - Zwemer M.S., **Arabia : The Cradle of Islam,** N.Y. Edinburgh and London 1900, pp. 307 - 20.

61 - Storm, H., op. cit., p. 119.

62 - **Zwemer, s., Op.cit., pp. 344 - 48.**

الفصل الثاني

الإرسالية العربية الأمريكية

الخليـــج العــــــربي:

١) الموقــع والمنـــــاخ:

يقع الخليج العربي على الحدود الشرقية للوطن العربي وفي الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية، ويمتد باتجاه جنوب شرقي من العراق إلى بحر العرب والمحيط الهندي. لقد كان ممراً للتجارة بين مراكز الحضارة القديمة منذ فجر التاريخ بسبب موقعه الذي يسيطر على الطريق الرئيس بين الشرق والغرب، ولا يزال يتمتع بأهمية تجارية خاصة حتى عصرنا الحاضر مما جعله ميداناً للتنافس الدولي.

يبلغ طول طريقه المائي من أقصى الجنوب إلى أعلاه في الشمال ثمانمئة ميل، ويتراوح عرضه بين ١٨٠ ميلاً في أعرض أجزائه إلى عرض أدنى لا يتجاوز ثمانية وعشرين ميلاً فقط عند مضيق هرمز، وتقع على جانبيه هضبتان عظيمتان هما هضبة إيران وهضبة الجزيرة العربية[١].

ومن الناحية الطبيعية فإن منطقة الخليج تتكون في غالبيتها من صحارى أو سهوب صحراوية، فيما عدا عُمان التي تتمتع بتربة خصبة صالحة للزراعة، والجبال وأعلى قمة فيها الجبل الأخضر ومنطقة الأحساء من المملكة العربية السعودية.

ويتأثر مناخ منطقة الخليج بالمناطق المحيطة به، فالجبال في الشمال والشمال الغربي تسمح بمرور الرياح المعتدلة الجافة، وهي رياح حارة وصحية. وتهب الرياح الجنوبية الشرقية في أواخر الصيف وفي

الخريف وأحياناً في فصل الشتاء فتزيد من رطوبة الجو صيفاً والأمطار شتاء[٢].

ومناخ الخليج بشكل عام ذو صيف طويل حار، وشتاء بارد تتخلله الأمطار القليلة فيما عدا مناخ جنوب عُمان الذي يتعرض لهطول الأمطار الغزيرة في فصل الخريف.

ب) السـكان:

الواقع أن معظم سكان منطقة الخليج قد هاجروا إليها من شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة. ويبلغ عدد هؤلاء السكان حسب إحصاء ١٩٧٥ ثلاثة ملايين نسمة تقريباً[٣]. ويتوزعون على النحو التالي:

عمان (١،٧٥٠،٠٠٠)، والكويت (٨٥٠،٠٠٠)، البحرين (١٥٠،٠٠٠)، قطر (١٠٠،٠٠٠)، الإمارات العربية المتحدة (١٠٠،٠٠٠)، ولكن مؤشرات الاحصاء الذي جرى في المنطقة العام ١٩٨٠ يدل على أن عدد السكان قد تضاعف تقريباً. وكان معظم سكان المنطقة يحصلون على ضرورات معيشتهم من الزراعة وتجارة اللؤلؤ وصيد الأسماك، أما سكان عُمان والبصرة فيعتمدون في معيشتهم بشكل أساس على الزراعة، ولكن المناطق الأخرى كالكويت والبحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة كانت تعتمد على صيد الأسماك وتجارة اللؤلؤ والرعي. هذه هي الصورة الاقتصادية للمنطقة في الماضي، ولكنها تغيرت فجأة بعد اكتشاف النفط، وبشكل خاص بعد إنتاجه بكميات اقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية. ونتيجة لذلك هجر سكان المنطقة البحر واتجهوا إلى التنمية الداخلية. وأصبحوا يعملون منذ ذلك الحين موظفين في مؤسسات الحكومة المختلفة وفي التجارة مع العالم الخارجي.

جـ) أهمية الخليج العربي:

كان الخليج العربي مهداً للحضارات القديمة، وما نعرفه عن تاريخ الخليج وجغرافيته في القرون التي سبقت العصر المسيحي قليل، وقد وصلنا هذا القليل عن طريق ما كتبه الجغرافيون والمؤرخون الرومانيون، ولكن المنطقة أصبحت معروفة للأوروبيين عندما عثر المكتشفون البرتغاليون على طريق الهند في القرن السادس عشر. فقد وصلوا الخليج العربي حقاً و أقاموا قاعدة لهم في هرمز أحد أهم المناطق الاستراتيجية في الخليج العربي والشرق الأوسط. ثم بدأت القوى الأوروبية الأخرى بالتحرك نحو هذه المنطقة بالتنافس فيما بينها للسيطرة على هذا الممر المائي المهم، وكانت النتيجة أن وضعت بريطانيا حداً لهذه المنافسة الدولية عندما احتكرت السيطرة على المنطقة. إن الأهمية المعاصرة لهذه المنطقة هي أنها منطقة غنية بالثروة النفطية – (٦٠٪) من الكمية التي يستوردها العالم من البترول تعبر مياهه – كما أن المنطقة سوق ممتاز للمنتجات الأوروبية والولايات المتحدة، إضافة إلى أهميتها الاستراتيجية السياسية والعسكرية في الخريطة الدولية. وقد اُختيرت هذه المنطقة لتكون هدفاً للارساليات المسيحية للبدء منها في تحويل المسلمين إلى الدين المسيحي، كما كانت هدفاً للأطماع الاستعمارية للسيطرة عليها، ومن الارساليات التي تحملت المسؤولية للعمل والتأثير في سكان المنطقة هي الارسالية الأمريكية العربية.

الارسالية الأمريكية العربية:

هي ارسالية أمريكية بروتستانتية ذات أهداف تبشيرية في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة.

لقد قام الدكتور لانسنج (Dr. Lansing)* وثلاثة من مساعديه (وهم جيمس كانتين (James Contine) وصموئيل زويمر (Samuel Zwemer) وفيليب فيليبس (Philip Phelps) بتشكيل هذه الارسالية. والدكتور لانسنج كان أستاذاً للغة العربية في معهد اللاهوت** في نيوبرونزويك (New Brunswick) في ولاية نيوجيرسي الأمريكية. وكان اسم الارسالية الأصلي هو «العجلة The Wheell»، وقد أطلق الدكتور لانسنج ومساعدوه الثلاثة هذا الاسم عليها، ولكنه اضطر لتغييره إلى الارسالية الأجنبية» (التابعة لكنيسة الاصلاح الهولندية في أمريكا) للسماح بالقيام بعمل تبشيري في البلاد الناطقة باللغة العربية(٥).

وبدأت الارسالية عملها كمشروع مستقل لاعتقاد مؤسسيها في بادىء الأمر أنه من الصعب أن يحوز رضا الكنيسة، ولكنها في الحقيقة أصبحت وثيقة الارتباط بالكنيسة الاصلاحية وتابعة لها، حيث أصبحت هذه الارسالية عضواً رسمياً بها منذ عام ١٨٩٤(٦).

ولم يكن للكنيسة الأم في الولايات المتحدة سوى سيطرة جزئية على الارسالية العربية، حيث كان يغلب على العلاقة بينهما النظام اللامركزي، ولذا فإن الارسالية العربية كانت تدير شؤونها اليومية مستقلة، ولا ترجع إلى الكنيسة الأم إلاّ لطلب الأموال وتزويدها بأعضاء الهيئة التبشيرية. وكان الهدف الرئيس للارسالية العربية الأمريكية هو القيام بالتبشير في شبه الجزيرة العربية، ولكنها فيما بعد نظراً

* إن ما دفع الدكتور لانسنج إلى انشاء الارسالية للعمل في هذه المنطقة لأن والده كان مبشراً في سوريا لمدة طويلة في النصف الأول من القرن التاسع عشر(٤).

** وقد أُنشىء هذا المعهد اللاهوتي في ١٧٨٤ لتدريب المبشرين التابعين لكنيسة الاصلاح في الولايات المتحدة، وكان مركز المعهد في نيوبرونزويك في ولاية نيوجيرسي حتى عام ١٨١٠ عندما انضم إلى جامعة رتجرز (Rutgers University) .

لافتقادها إلى المبشرين فقد قصرت نشاطها جغرافياً على منطقة الخليج العربي[٧].

والجزيرة العربية هي موطن الدين الإسلامي، حيث كان الإسلام الهدف الرئيس للمسيحية والعقبة الكبرى التي واجهت استراتيجية التبشير في المنطقة، لذا قرر مؤسسو الارسالية أن ينشروا الإنجيل المسيحي في المكان الذي نشأ فيه الإسلام، وحيث كان الأمل في تحويل عدد كبير إلى المسيحية ضعيفاً، وكان مؤسسو الارسالية يدركون تماماً الصعوبات التي تعترض العمل التبشيري هنا، لكنهم مع ذلك كانوا يعتقدون أنه غير مستحيل. لقد كانت المهمة الرئيسة للارسالية هي التبشير الديني والتعليم وتقديم الخدمات الصحية. وكانت عملياتهم اليومية تُدار محلياً عن طريق لجان مشكلة لهذا الغرض[٨].

وقد حذروا مراراً من المصاعب الكبيرة التي سيلاقونها خاصة أنهم سيقومون بالتبشير في جميع أنحاء الجزيرة العربية مهد الإسلام.

وبعبارة أخرى، فإنّ المبشرين الذين يضطلعون بهذه المهمة يجب أن يكونوا من المؤمنين إيماناً عميقاً برسالتهم التبشيرية لأنهم سيذهبون إلى ميدان خاص للتبشير لمسلمين شديدي التمسك بدينهم، والعمل في جو شديد الحرارة، وقبل البدء بالعمل التبشيري وضعت قيادة الارسالية خطة للعمل في عام ١٨٨٩ لتحديد سياسة ومجالات نشاطاتها.

الخطة الأولى للارسالية:

يتضح من قراءة خطة عمل الارسالية ودستورها* أن الهدف الرئيس للارسالية كان تحويل أهالي الجزيرة العربية إلى المسيحية. وكان تركيزها على سياسة الارسالية وتنظيمها. ومهما يكن فإن المصادر

---

* خطة الإرسالية ودستورها بنهاية هذا البحث في الملحق رقم(١).

الأخرى قد أكدت على الجانب التبشيري الديني، فقد ذكرت السيدة آن هاريسون (Ann Harrison): «لقد أرسلنا لتحويل الناس إلى المسيحية والدعوة إلى اللّه»[٩].

وكان هذا هو الأساس الذي سترتكز عليه مشروعات الارسالية في المستقبل حيث إن الهدف الأساس هو تنصير الجزيرة العربية وحمل أهلها على اعتناق المسيحية. إنّ موقف الارسالية الأساس موقف متصلب ضد الإسلام، وكان هدف صموئيل زويمر ورفاقه هو دفع جميع بني الإنسان ليصبحوا أتباعاً للسيد المسيح، وكانت خطة الارسالية تجسيداً لهذه الأفكار.

والنقطة الثانية في مناقشة الخطة هي تسمية المنظمة. فقد اختاروا اسم «الارسالية العربية» نظراً للاعتبارات التالية:

أولاً : إنّ الهدف الأساس لهذه الجمعية كان العمل التبشيري في بلاد عربية وبشكل أساس شبه الجزيرة العربية والتي هي موطن العرب والدين الإسلامي.

ثانياً: إنهم أرادوا أن تكون هذه الارسالية مختلفة ومتميزة عن غيرها من الارساليات المسيحية لكي تستطيع أن تلفت الانتباه لهذا الميدان الجديد والذي كانوا يعتقدون أنه مهيأ لاستقبال أمثال هذه الدعوة.

ثالثاً: إن اختيار هذا الاسم يهدف إلى التغلب على الشكوك التي يحملها الغرب نحو أنشطة الأجانب. وهذه الشكوك كانت طبيعية جداً وخاصة في ذلك الوقت عندما كان الصراع الأجنبي على أشده في منطقة الخليج العربي بشكل خاص.

وقد وضعت الخطة الخطوط العامة لنشاط الارسالية في المرحلة المقبلة واختيرت الجزيرة العربية هدفاً لها.

الأسباب التي دعت لاختيار الجزيرة العربية هدفاً للارسالية:

إنّ لاختيار الجزيرة العربية هدفاً لنشاط الارسالية التبشيري أسباباً عديدة، وأحد هذه الأسباب الرئيسة هو الادعاء بأنه كان في السابق للمسيحية تأثير في هذه المنطقة. وقد سبق أن أشرنا لهذه النقطة في الفصل الأول – ولهذا فقد كانوا يعتقدون أن إرجاع المسيحية إليها غير مستحيل. وقد أكد صموئيل زويمر وجيمس كانتين وهما من رواد هذه الحركة أهمية هذا السبب عندما ذكرا:

«إنّ من بين الدوافع للعمل في (الجزيرة العربية) أولاً، الأسباب التاريخية... ان للمسيح حقاً في استرجاع الجزيرة العربية، وقد أكدت الدلائل التي تجمعت لدينا في الخمسين سنة الأخيرة أن المسيحية كانت منتشرة في هذه البلاد في بداية عهدها. وهناك دلائل أثارية واضحة على وجود الكنيسة المسيحية هناك، ولهذا فإن من واجبنا أن نعيد هذه المنطقة إلى أحضان المسيحية»[١٠].

والسبب الثاني: هو أن النجاح المسيحي في الجزيرة العربية سيكون نقطة تحول في العمل التبشيري المسيحي. وهذه الفكرة كانت تفترض أن نجاحهم سيكون منطلقاً لفتح أبواب المنطقة بأكملها أمام التبشير المسيحي.

وقد أكدت الارسالية على ضرورة التعاون مع المنظمات المشابهة والتي سبق لها العمل داخل المنطقة. ولوضع هذه الفكرة قيد التنفيذ توقف جيمس كانتين في ادنبره في السادس عشر من أكتوبر سنة ١٨٨٩ في طريقه إلى المنطقة ليضع أُسس التعاون مع إرسالية كيث فالكونر (Keith Falconers Mission) في عدن والتابعة إلى كنيسة اسكتلندا الحرة[١١]. وبعد وصوله المنطقة قامت الارسالية العربية بالاتصال

بـارسـالـيـة كيث فـالكونر للـتـعـاون وتـقـديـم الـمـسـاعـدة. والـواقـع ان هـذه الارسـالـيـة قـدمت لـلـمـبـشـريـن الأمـريـكـيـين مـسـاعـدات قـيِّـمـة، وأهـم هـذه الـمـسـاعـدات مـا يـتـعـلق بـتـقـديـم الـمـعـلـومـات عـن أحوال المنطقة وخـاصـة الـجـغـرافـيـة والاجـتـمـاعـيـة والـديـنـيـة. إضـافـة إلى هـذا، فـإن الارسـالـيـة الـعـربـيـة حصلت على تعاون المنظمات المشابهة في العراق – الارسالية المتحدة فـي الـعـراق – الـمـجـلـس الـمـسـيـحـي لـلـشـرق الأوسـط، وجـمـعـيـة الـكـنـيـسـة الـتـبـشـيـريـة.

بدء العمليات الميدانية للارسالية:

وبعد أن أتمت الارسالية العربية وضع تفاصيل خطة العمل بدأت بـالإعـداد لـلـعـمـل الـمـيـدانـي. وفـي بـادئ الأمـر اجـتـمـع الـمـبـشـرون وقـامـوا بـدراسـة كل مـا يـتـصـل بـالـمـنـطـقـة مـن مـعـلـومـات جـغـرافـيـة واجـتـمـاعـيـة واقـتـصـاديـة ودينية وغير ذلك. وقد كـانـوا يعتبرون المنطقة غير مستكشفة في ذلك الوقت، حيث أكد مـاسون (Mason) وبـارنـي (Barny) على هذه النقطة:

«إنّ الـجـزيـرة الـعـربـيـة كـانـت مـن الـنـاحـيـة الـعـمـلـيـة غـيـر مكتشفة وسـكـانـهـا مـجـهـولـون، ولـذا فـإنّ مـن الأهـمـيـة بـمـكـان أن نـكـرس جـزءاً مـن وقـتـنـا لـدراسـة أحـوالـهـا واخـتـيـار الـمـوقـع الـمـنـاسـب لـلـعـمـلـيـات الـمـقـبـلـة قـبـل الـقـيـام بـأيـة مـحـاولات إيـجـابـيـة»[١٢].

والـواقـع ان الـنـقـص فـي الـمـعـلـومـات كـان كـبـيـراً مـمـا أدى إلى وقـوع الارسـالـيـة فـي مـتـاعـب كـثـيـرة. وأهـم هـذه الـمـتـاعـب عـدم تـقـديـرهـم الـصـحـيـح لـمـشـكـلات الـمـنـطـقـة كـالـلـغـة والـطـقـس والـديـن.. إلخ.... وقـد وصـف الـجـنـرال هـيـج (Heig) فـي رحـلـتـه إلـى الـجـزيـرة الـعـربـيـة الأحـوال الـجـغـرافـيـة والاقـتـصـاديـة والـتـجـاريـة والـديـنـيـة لـلـبـلاد والـقـبـائـل الـمـخـتـلـفـة الـتـي قـام

بزيارتها، وقد خرج من جولته بالقناعة التالية:

«إنّ كل الجزيرة العربية بدرجات متفاوتة مهيأة لاستقبال الكتاب المقدس بذراعين مفتوحتين»(١٣).

وقد ثبت أن تنبؤات الجنرال هيج لم تكن صائبة، حيث أخفقت الارسالية في نشر الكتاب المقدس سواء في شبه الجزيرة العربية أو في منطقة الخليج العربي. وسنبحث هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد. ولكن يجدر بنا أن نحاول تقصي الأسباب التي دعته إلى التنبؤ بالنجاح. ومن الأمور التي يمكن أن تكون قد أدت إلى تضليل الجنرال هيج هو أن شبه الجزيرة لم تكن معروفة جيداً في تلك الأيام، وربما حمل جهل سكان الجزيرة بالقراءة والكتابة الجنرال على الاعتقاد بأنهم ليسوا على درجة كبيرة من الإيمان. ومن الأسباب القوية الأخرى التي أدت إلى قناعته تلك أنه ظن أن سيطرة البريطانيين على هذه المنطقة قد مهدت الطريق أمام المسيحية، ولكن لم يحدث في التاريخ أن استطاعت قوى الاستعمار تغيير شخصية وأفكار الناس بالقوة في أي بقعة من بقاع العالم.

والعامل المهم هو أن الارسالية لم تقم بدراسة الإسلام دراسة وافية، فقد كانت مقتنعة من أن المسيحية لن تواجه منافسة دين آخر أكثر ألفة لدى أهل المنطقة منها، وأكثر انسجاماً مع حاجاتهم. وليس أدل على فشلهم في فهم الإسلام وأهميته وتعلّق سكان تلك المناطق به من الانطباعات والقناعات التي خرج بها أحد رواد التبشير في الجزيرة السيد ستون (Stone) * والذي ذهب إلى حد القول:

«إنّ الحاجة إلى المسيحية ليست أمراً مبالغاً به، فالعقيدة المحمدية لا تقل سوءاً عن الصورة التي نحملها عنها، وإنني أعتقد جازماً بأن الإسلام

* السيد ستون هو أحد روّاد الارسالية العربية، وقد عمل في مسقط في سنة ١٨٩٩، ثم تخلّى عن العمل بسبب المرض، ولم يلبث أن مات في السنة التالية.

ليس بالقوة التي نتصورها، وإن الكنيسة إن اقتنعت بأن تلقي بثقلها ضده فإن المعركة ستكون أسهل مما نظن. وإنني أعتقد أن نهاية الإسلام قد أصبحت محتومة»[١٤].

وإضافة إلى هذا العامل المهم فإن الارسالية لم تكن متمكنة من اللغة العربية بحيث تستطيع أن تقيم صلات طبيعية مع الناس، يضاف إلى ذلك أن صلاتهم بالدوائر الحكومية البريطانية والأمريكية أعطت الناس انطباعاً بأن أهداف الارسالية وأهداف السلطات الاستعمارية واحدة. وسنبحث المضامين السياسية للارسالية بالتفصيل في فصل مستقل من هذه الدراسة.

المحطات الميدانية:

كانت العاصمة اللبنانية بيروت أول محطة انتقالية للعمل الميداني للارسالية العربية في المنطقة كلها، فأقام المبشرون هناك شهوراً عدة لجمع المعلومات ودراسة اللغة العربية والتدرب على استخدامها، والنظر إلى ميدان عملهم المقبل للمرة الأولى، والأهم من ذلك كله مقابلة رفيقهم المقبل، كميل عبد المسيح وهو مسيحي سوري أصبح فيما بعد مساعداً للارسالية.

وقد لعب دوراً مهماً ومفيداً في أعمال الارسالية، وقال عنه ماسون (Mason): «إنه واحد من أكثر الشخصيات نفعاً وإثارة للإعجاب (..........) وقد كان شاباً سورياً يسكن في بيروت ويتمتع بطبيعة تواقة للمعرفة وفكر رصين»[١٥].

وقد تلقت الارسالية العون أيضاً من المبشرين الأمريكيين الذين كانوا يزاولون نشاطهم في بيروت قبل أن تولد هذه الارسالية بوقت طويل.

افتتــاح محطـة البصــــرة:

وبعد بيروت ذهبت الارسالية العربية إلى البصرة وبدأت بإقامة أول محطة لها، وقد أصبحت هذه المحطة في السنوات التالية مركزاً وقاعدة لعملياتهم في منطقة الخليج العربي، وكانت بين المناطق المهمة التي كانوا يخططون لاحتلالها [١٦]* .

ولم يكن اختيار البصرة قاعدة ومحطة أولى لعملياتهم أمراً اعتباطياً، بل أمراً مدروساً، فقد كان موقع هذه المدينة يتمتع بأهمية استراتيجية في المنطقة كلها لأنها تسيطر على الرأس الشمالي للخليج العربي. وكانت الحكومة الأمريكية قد سبق أن أنشأت قنصلية هناك واستطاع المبشرون الأمريكيون أن يعيشوا ويعملوا تحت حمايتها. وقد كان في هذا عون كبير لهم خاصة في الوقت الذي كانت فيه تحت سيطرة الدولة العثمانية. وكان صموئيل زويمر (S.M. Zwemer) وجيمس كانتين (James Cantine) أول رائدين للعمل التبشيري في تلك المحطة، ولهذا كانا أول من واجه ردود فعل المواطنين وقيادتهم الدينية إضافة إلى السلطات التركية.

ومن البصرة بدأ عمل الارسالية بتغطية معظم أراضي الخليج وبعض أجزاء شبه الجزيرة العربية، وقد قام المبشرون بزيارة موانىء الخليج والمناطق الداخلية في عُمَان ومناطق أخرى في شبه الجزيرة العربية مبتدئين بمسقط ثم البحرين والأحساء والكويت. وكان المبشرون عندما يرغبون بفتح ميادين جديدة يعتمدون على رحلاتهم الأولية. وكانت هذه الرحلات هي الوسيلة الصحيحة لاكتشاف ودراسة الأوضاع الجغرافية والسياسية عن طريق مباشر. وبعد هذه الرحلات تكون الارسالية قد

---

* إن كلمة «احتلال المنطقة» استخدمها المبشرون في أدبياتهم وهي أقرب إلى اللغة العسكرية منها إلى التبشير السلمي الذي يتبنونه ويعملون من أجله.

تهيأت لبدء عملياتها في المنطقة الجديدة. وكان المبشرون يركزون على تأمين الحاجات الأساسية كالسكن والمستشفى والمكتبة والمدرسة والكنيسة، ويختارون لهذه المنشآت الأحياء التي تمكنهم من الاتصال بالناس بسهولة.

وقد لاقى تأسيسهم لمحطتهم في البصرة عام ١٨٩١ معارضة وعداء شديدين من جانب السلطات التركية وبخاصة فيما يتعلق بالحصول على الأبنية الضرورية. وكان مشروع البناء التبشيري الأول في البصرة مدرسة البنات بحديقتها الواسعة المغروسة بالنخيل. وأقاموا مسكناً قريباً منها لأعضاء الارسالية وأنشأوا مكتبة داخل أسوار مجمع مدرسة البنين في العشارة في وسط مدينة البصرة في الوقت نفسه الذي بنوا فيه مدرسة البنات. وكان لوجود السيد دايكسترا (Dykstra) – وهو أحد رؤساء الارسالية – في البصرة والذي كانت لديه خبرة في هذه الأمور فرصة ثمينة للاستفادة من خدماته في هذا الميدان. وقد تم الانتهاء من المشروعات المختلفة في سنة ١٩٣٠.

ومن المعالم البارزة للنشاطات التبشيرية الأولى في البصرة توزيع الكتب المقدسة على الناس، وأول مؤسسة تبشيرية افتتحت في تلك المنطقة هي مكتبة الكتاب المقدس(١٧). ويدّعي المبشرون بأنهم كانوا يبدأون أولاً ببيع أعداد كبيرة من الكتب الدينية واعتبروا ذلك دليلاً على تأثيرهم على عقول الناس. ولكن الأمر في الحقيقة لم يكن كذلك لأن الناس كانوا متعطشين للقراءة وبخاصة في أمور لم يكونوا يعلمون عنها شيئاً في وقت كانوا لا يزالون يعيشون بعيداً عن الحضارة الحديثة. وسنعود إلى هذه النقطة بالتفصيل في فصل النشاط التبشيري الديني.

ولم يجد المبشرون صعوبة في استئجار المنازل في البصرة في العقد الثاني من نشاط الارسالية؛ فقد تمكنوا من الحصول على مساكن عديدة

وكانت الحاجة إلى التأثير العظيم للخدمات الطبية هي من أهم القضايا التي واجهت الارسالية في عام ١٩٠٨ وفي تلك السنة نفسها تبرع أحد أصدقاء الارسالية بمبلغ ٦٠٠٠ ستة آلاف دولار لبناء مستشفى آخر في المنطقة، وبعد مناقشات طويلة حصلت الارسالية على ترخيص بناء المستشفى الجديد، وهو مستشفى لانسنج التذكاري (Memorial Hospital Lansing)، والذي أُنشىء في سنة ١٩٠٩[١٨].

وهكذا نرى أن العمل التبشيري قد نما بالتدريج بالرغم من الصعوبات التي زادت حدتها بعد الانقلاب التركي في عام ١٩٠٨، واستمر هناك إلى سنة ١٩٥٨ عند قيام الثورة في العراق. ونتيجة للحدث الأخير فقد قررت الارسالية إغلاق هذه المحطة وتسليم مؤسساتها إلى (الارسالية المتحدة في العراق) والتي كانت تعمل في الجزء الشمالي من البلاد[١٩]. وعند استقرار أوضاع الارسالية في البصرة رأى المبشرون أنّ الوقت قد حان لافتتاح محطة جديدة في الخليج ووقع اختيارهم على البحرين.

افتتاح محطة البحرين:

تقع جزيرة البحرين في الخليج العربي. وتأتي أهمية هذه الجزيرة أنها تقع في منتصف الطريق بين البصرة ومسقط وقربها من الأحساء في المملكة العربية السعودية. والواقع ان هذه الجزيرة كانت في أيدي قوى عديدة منذ بداية القرن السادس عشر، فقد احتلها البرتغاليون في عام ١٥٢١، والفرس في عام ١٦٢٢، وسيطرت عليها القبائل العربية في منتصف القرن الثامن عشر، والبريطانيون في عام ١٩٢٠[٢٠].

وصل المبشرون إلى الجزيرة في نهاية القرن التاسع عشر عندما قام القس صموئيل زويمر بزيارة هذه المنطقة مرات عدة لكي يفتتح محطة تبشيرية جديدة هناك، وقد كتب يقول عن زيارته الأولى عام ١٨٩٢:

«إنّ العرب جميعاً يكرمون الغرباء وبوجه العموم فإنّ عرب الساحل العربي.. لابد أن يساورهم الشك عندما يأتيهم مسيحي حاملاً الكتاب المقدس ولكنهم استقبلوني بأقل مضايقة مما توقعت»[٢١].

وفي بداية العام التالي أقام زويمر مكتبة للكتاب المقدس[٢٢] . وخلال عام ١٨٩٣ استمر العمل في إنشاء المحطة في البحرين ببطء بافتتاح مستشفى ومدرسة. ومع أن البحرين كانت تعتبر في أول الأمر محطة تابعة للبصرة إلاّ أنها أصبحت فيما بعد محطة رئيسة ثانية لا بل قاعدة للعمل التبشيري التابع للارسالية العربية بعد الحرب العالمية الأولى عندما لم تعد البصرة قاعدة للارسالية، فقد ظهر بنتيجة التجربة أن النشاط التبشيري في تلك الأنحاء كان محدوداً، كما وجد المبشرون أن العمل في البحرين أسهل من العمل في البصرة بسبب موقعها أولاً ولكونها محمية بريطانية ثانياً، وقد ذكر أحدهم:

«إن وضعها السياسي يعطي قدراً أكبر من الأمان للعمل التبشيري مما هو الحال في البلاد العربية التي تنعم بقسط أكبر من الاستقلال»[٢٣].

وكان العمل الأساسي للمبشرين في البحرين هو الخدمات الطبية، وقد تطور هذا العمل عندما جاء السيد تومس (Thoms) وزوجته من البصرة في سبتمبر سنة ١٩٠٠ (وكانت الحاجة إلى مستشفى ماسة جداً)، ووضع الحجر الأساس لمستشفى ماسون التذكاري (Mason Memorial Hospital). في١٩ آذار (مارس) عام ١٩٠٢ جرى تكريس المستشفى كأول مستشفى تبشيري في منطقة الخليج العربي. وكما هو الحال في المحطة الأخرى فقد أُقيمت مدرسة وكنيسة في الحجرات الأرضية من المسكن. وقد تبرعت عائلة ماسون (Mason) من بروكلين في نيويورك بالأموال اللازمة لبناء هذا المستشفى[٢٤]. وفي عام ١٩٢٦ تم إنشاء مستشفى آخر وهو مستشفى ماريون ويلز تومس التذكاري (Thoms Memorial Hospital

.(Marion Wells

وجرى بعد ذلك تغيير شامل في مساكن المبشرين، فبني منزل كبير بجانب المجمع الصحي، وقد أُعيد تصميم هذا المنزل لتقسيمه إلى شقتين منفصلتين. وقد هدم مسكن الطبيب القريب من المستشفيين بسبب قدمه وأقيم مكانه مسكن جديد. أما البيت الشرقي والذي يتمتع بقيمة تاريخية كبيرة والذي كان يعتبر مكاناً مثالياً للراحة عندما أقيم سنة ١٩٠٨ فقد كان يستعمل على مدى السنين مركزاً للعديد من الأنشطة التبشيرية. وقد بني منزل منفصل بجواره فيما بعد تابع للارسالية.

افتتاح محطة مسقط:

عند استقرار أوضاع الارسالية في البحرين حان الوقت للتحرك إلى منطقة مهمة أخرى ألا وهي مسقط. وكانت مسقط تعتبر موقعاً حساساً لا يقل أهمية عن البصرة، فقد كانت تسيطر على الطرف الجنوبي للخليج العربي، وهو طريق مائي مهم في الشرق. وكان التبشير في تلك المنطقة بالذات على درجة كبيرة من الأهمية. ولأهمية الدور التاريخي الذي لعبه العُمانيون في شرق إفريقيا، فإنه من الأهمية بمكان الحديث عن هذا الدور قبل الدخول في مناقشة نشاطات الارسالية العربية في مسقط.

دور عرب عُمان في إفريقيا:

لقد كانت إفريقيا واحدة من البلاد التي حمل إليها دُعاة الإسلام نشاطهم. وعندما جاء الإسلام كان قد مضى على تأسيس المسيحية هناك زمن طويل وبخاصة في مصر والحبشة[٢٥]. ومنها انتقل إلى بلاد النوبة (السودان). وقد نجح الإسلام هناك بالوسائل السلمية، وقد انتشر نفوذه عن طريق النساك الذين كانوا يقيمون في أماكن منعزلة للانقطاع لعبادة اللّه وتمكنوا بالتدريج من اجتذاب سكان المناطق المجاورة

إليهم[٢٦] . وكان أول من وصل إلى تلك الجهات من الأوروبيين هم البرتغاليون الذين بنوا الكنائس في تلك المناطق في سنة ١٥٠١. ومنذ عام ١٥٦٠ بدأت الارساليات الأوروبية بالوصول والقيام بتحويل الناس إلى المسيحية[٢٧] . وكان العرب يعرفون المناطق الشرقية من إفريقيا منذ وقت طويل، والتجارة بين شواطىء البحر الأحمر كانت مزدهرة قبل مجيء الإسلام، حيث لعبت التجارة بين الجزيرة العربية وإفريقيا دوراً كبيراً في نشر الإسلام في إفريقيا، وخاصة في المناطق المتاخمة للبحر. وكان تأسيس الدول الإسلامية في إفريقيا منذ القرن العاشر لا يشكل خطراً على المملكة المسيحية في الحبشة. ومنذ القرن العاشر إلى القرن السادس عشر، كانت مراكز الدعوة الإسلامية منتشرة في شرق إفريقيا مثلاً في مناطق زيلع (Zaila) وهرر (Harar) واريتريا (Eritrea) [٢٨].

وكان انتشار الإسلام في إفريقيا بطيئاً بالرغم من قربها من الجزيرة العربية، وكانت السفن الشراعية العربية تبحر من جنوب الجزيرة ومناطق الخليج إلى إفريقيا إضافة إلى الهند والصين خلال الأشهر الأربعة من السنة التي يعتدل فيها المناخ وتعود عند تغير اتجاه الريح[٢٩].

وكانت القارة الافريقية معروفة عند الأوروبيين من أيام فاسكو دي جاما الذي وصل إلى مدن شرق إفريقيا في عام ١٤٩٨، ورأى مراكز المسلمين التجارية. وقد قلب وصول البرتغاليين ميزان القوى لأنهم احتلوا أماكن عدة، وسيطروا على الساحل منذ ١٥٣٠، وقد أدى ذلك بطبيعة الحال إلى انهيار السيطرة العربية والنفوذ الفارسي في المنطقة. ولكن في عام ١٦٩٨ طرد عرب عمان البرتغاليين من الشمال واستولوا على زنجبار وكلوا (Kilwa) مما أدى إلى القضاء على نفوذ البرتغاليين في المنطقة. وفي سنة ١٨٤٠ أُنشئت مراكز دائمة للتجارة العربية، ولكن نفوذ الدول الأوروبية الأخرى وبخاصة بريطانيا بدأ يتسلل إلى جنوب

الجزيرة العربية وإلى منطقة الخليج العربي[٣٠].

وفي أثناء سنوات النزاع السياسي والاقتصادي استمر الإسلام بالانتشار على أيدي الدُعاة المستقلين والتجار وعن طريق الصلات الاجتماعية كالزواج. وفي القرن التاسع عشر دخل المبشرون المسيحيون إفريقيا مع توسع الاستعمار الغربي والمشاريع التجارية[٣١]. ولم تفعل الحركات الإسلامية شيئاً لمنع المبشرين المسيحيين من ممارسة نشاطهم هناك. وبدأ المبشرون يعملون بنشاط منذ عام ١٨٥٠. وقد ساعدت العوامل الاجتماعية والسياسية كالنمو الاستعماري والتوسع التجاري وانتشار الخدمات الإنسانية مثل الطب [٣٢] . على تقدم الحركة التبشيرية المسيحية في المنطقة. وقام المبشرون المسيحيون بزيادة نشاطهم زيادة كبيرة في حين استمر تأثير الدعاة المسلمين* في المناطق الساحلية والداخلية من إفريقيا. ونظراً لاستقرار العرب هناك منذ زمن طويل فإنّ التقاليد الاجتماعية العربية كانت مألوفة للسكان، ولذا فقد وجد العرب جواً ملائماً لمزاولة نشاطهم كما أنهم لم يجدوا صعوبة في التكيف مع التقاليد والأعراف الاجتماعية المحلية للأهالي الإفريقيين.

والواقع ان النشاط الإسلامي في إفريقيا ظهر كنتيجة طبيعية للاتصال التجاري والتزاوج بين المسلمين وأهالي البلاد، ولهذا فإن التعاطف بين الداعية المسلم والمواطن الافريقي أقوى من التعاطف بين الزنوج والأوروبيين[٣٣]. ويذكر بارندر (Parrinder) أنه «يوجد اليوم العديد من الارساليات المسيحية في مناطق إسلامية عديدة في خط الاستواء ولكن عددها أقل في الشمال. وعدد من اعتنقوا المسيحية من المسلمين قليل

---

* تختلف الدعوة الإسلامية في إفريقيا عن التبشير المسيحي كثيراً ، فقد كانت تعتمد على جهود فردية غير مرتبطة بدولة أو جماعة منظمة معينة.

جداً في شمال إفريقيا لأن التحول عن الدين الإسلامي أمر يتنافى مع المجتمع كله والذي يفرض على الفرد أن ينفصل عنه، ولكن التأثير غير المباشر للتعليم والنفوذ الغربي كان كبيراً في المئة سنة الأخيرة وتأثير الإسلام على المسيحية أقل وضوحاً(٣٤).

وهناك تنافس اليوم بين الدعاة المسلمين والمبشرين المسيحيين في إفريقيا وإذا أخذنا في الاعتبار المحاولات التي جرت للحوار بين أنصار الديانتين في السنوات الماضية، فإن من المناسب أن نتساءل ما إذا كان هذا سيؤثر في التنافس بينهما أم لا؟ ومن الصعب الإجابة عن هذا السؤال إلى أن يحقق الحوار تقدماً إيجابياً.

وباختصار، فإن العمانيين قد لعبوا دوراً كبيراً في إقامة اتصال بين أهالي الساحل الشرقي لافريقيا وبين أهالي جنوب الجزيرة والخليج العربي في تاريخ مبكر. لقد استغل العرب التجارة في نشر الدين الإسلامي حتى وصل إلى جزر الهند الشرقية. وقد أدت اتصالاتهم مع القبائل الرحّل من الحاميين الذين يعيشون على شواطىء البحر الأحمر والقرن الافريقي الشرقي إلى إسلام السكان، ومع ذلك فإن تأثيرهم في منطقة البانتو (Bantu) خلال قرون من الاتصالات الساحلية المستمرة لا يكاد يذكر(٣٥). وكان الإسلام إذن يحاول أن يحصل على موطىء قدم له بين الشعوب الموزعة على الساحل والذين كوّنوا صلات مع التجار العرب، ولكن تغلغل نفوذهم في أعماق إفريقيا لم يبدأ فعلاً إلاّ في هذا القرن(٣٦).

وكان للعمانيين الذين حاولت الارسالية العربية الأمريكية التأثير فيهم وتحويلهم إلى المسيحية دور كبير في نشر الدين الإسلامي في إفريقيا. ومن الواضح الآن أن كلتا الديانتين الإسلامية والمسيحية تعمل بنجاح في إفريقيا. والسؤال الذي يهمنا في هذا البحث هو: لماذا استطاع التبشير المسيحي النجاح في إفريقيا في حين أنه فشل في الخليج

العربي؟ والحقيقة أن هناك اختلافات عدة بين المجتمع الافريقي ومجتمع الخليج العربي والذي قد يكون السبب المباشر في التأثير هناك وعدمه هنا في الخليج، أولها: أن المسيحية كانت عميقة الجذور في المجتمع الافريقي منذ بداية عهدها وخاصة في مصر والحبشة. وثانيها: أن المبشرين المسيحيين في إفريقيا كانوا يبشرون عامة بين قبائل من الوثنيين، في حين كانوا يعملون في الخليج بين المسلمين. وثالثاً: ان نفوذ الاستعمار الأوروبي في إفريقيا كان أقوى منه في الخليج العربي. وهذه الحقيقة ساعدت المبشرين على التوسع في تبشيرهم بحرية وبدون عراقيل. ورابعاً: أن الارساليات التبشيرية في إفريقيا كانت أقوى من تلك التي عملت في الخليج العربي. فإرسالية الكنيسة التبشيرية، (C.M.S) على سبيل المثال قد قويت بتأثير دعم وحماية السلطات البريطانية. وخامساً: أن استخدام اللغة العربية كان واحداً من أهم الأسباب. إن القرآن قد نزل باللغة العربية، وبما أن اللغة العربية هي اللغة المحلية فلم تكن هناك صعوبة في فهمه. أما فيما يختص بالافريقيين فقد كان الحال يختلف لأن فهمهم للإسلام كان ضعيفاً، ولذا فقد كان من السهل على المبشرين التأثير فيهم. هذه هي الأسباب الرئيسة التي أدت إلى نجاح المسيحية في إفريقيا وعدم نجاحها في الخليج العربي. ومن الجدير بالملاحظة أن الدُعاة المسلمين المستقلين قد نجحوا في إفريقيا بسبب وثنية أهلها، كما أن إقامة الصلات الاجتماعية بينهم سهلت عليهم سبل الاتصال.

إنّ الصلات التي تربط بين عُمان وشرق إفريقيا مكّنت ارسالية الكنيسة التبشيرية الإنجليزية من ارسال أول المبشرين إلى مسقط، وهذه الصلات نفسها هي التي مكنت الإسلام من التغلغل في إفريقيا، والتي كانت فيما عدا ذلك ميداناً مفتوحاً للارساليات المسيحية.

وقد أكد الكسندر ماكي (Alexander Mackay) وهو أحد رواد التبشير في أوغندا مراراً على ضرورة إنشاء مراكز للتبشير في مسقط، وقد انطلق هو نفسه إلى تلك المنطقة في شباط (فبراير) ١٨٩١، ولكنه لم يتمكن من الاستمرار في عمله بسبب مرضه وقد مات في تلك السنة نفسها . تحركت الارسالية العربية التي سبق أن مارست نشاطها في مناطق أخرى من الخليج إلى مسقط سنة ١٨٩٣، وبدأت بإنشاء ثالث محطة مهمة لها في المنطقة[٣٧].

والواقع أن المبشرين عندما كانوا ينوون إقامة محطة جديدة كانوا يقومون عادة برحلات عدة إلى المكان الذي يقررون إقامتها فيه، كما سنرى فيما بعد. وقد قام القس بيتر ج. زويمر أحد رواد الارسالية العربية بزيارة إلى مسقط في كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٩٣ بهدف دراسة إمكانية إدخال العمل التبشيري إلى هناك، ويبدو أن نتائج الزيارة كانت مشجعة فقد كتب يقول في أول رسالة له من الميدان الجديد:

«منذ بعض الوقت ومسقط تقدم فرصة مفتوحة لنشر الانجيل ومزاولة النشاط التبشيري فيها. إن قدومي إلى هنا كان بهدف التعرف إلى أساليب العمل المناسب لهذا المكان. والعرب مستعدون للقدوم إلى منزلي لمناقشة الأمور الدينية إذا دعوتهم. وقد ثبت أن بائع الكتب المقدسة «نعوم» قارىء جيد للإنجيل. وقد قمت بزيارة معظم القرى الواقعة على الممرات الجبلية، والكتب المقدسة تُباع في معظم الأماكن وتُقرأ في السوق أو في المقهى»[٣٨].

لقد حاول القس بيتر زويمر أن يُبيِّن الفرص المفتوحة للعمل أمام الارسالية العربية في ذلك الميدان الجديد. وقد سبق أن ذكرنا بخصوص البصرة أن المبشرين كانوا يعتبرون أن مجرد بيع عدد من الكتب المقدسة دليل على نجاح عملهم التبشيري، ولكن الواقع أن الناس في ذلك الوقت

كانوا على استعداد لقراءة أي شيء يصل إلى أيديهم، علماً بأن عدد الذين يستطيعون القراءة كان محدوداً.

لم يواجه المبشرون أية مقاومة عندما بدأوا يباشرون عملهم في مسقط، ولكنهم واجهوا العديد من المصاعب عندما بدأوا يمدون نشاطهم إلى مطرح التي أصبحت محطة فرعية لهم. وقد جاءت ردود الفعل من جهات عدة: من المواطنين ومن الحكومة المحلية ومن السلطة البريطانية. وفي السنة الأولى من عملهم في مسقط كانوا يركزون اهتمامهم على تأمين المرافق الازمة حتى استطاعوا أخيراً شراء قطعة من الأرض وإقامة الأبنية عليها. وأصبحت هذه نقطة تحول تدل على الاستقرار والإقامة الدائمة في تلك المنطقة. وعندما جاء القس بيتر زويمر إلى تلك الجهات استأجر أحد منازل الأهالي، وكان واحداً من أحسن المنازل في مسقط. وكان وضع زويمر أقل خطورة بسبب وجود القنصل الأمريكي لأنه كان يجد ملجأ له في القنصلية عندما يواجه المتاعب، حيث عاملته القنصلية هو ورفاقه على أنهم رعايا أمريكيون يجب حمايتهم. واستطاع استخدام حمايتها لمتابعة عمله التبشيري - وسنعالج هذه النقطة بتوسع أكبر في الفصل الخاص بالتورط السياسي. وعلى أية حال استطاع المبشرون شراء منزل، وقدم لهم سلطان مسقط قطعة من الأرض لتكون حديقة للمنزل الذي أعادوا بناءه، وبناء مقبرة على بعد قريب منه.

وفي ربيع سنة ١٩٠٨ انتهى بناء مدرسة بيتر زويمر التذكارية، وهي بناية مؤلفة من طابق واحد مساحتها ٦٠٠ قدم مربع. وقد تكلف البناء ١٢٠٠ دولار[٣٩]. وقد استخدمت الارسالية جزءا من هذا البناء كمستشفى، وأُجريت بعض الاصلاحات وأُدخلت بعض التحسينات على المنزل الذي تستخدمه الارسالية من قبل. وقد جرى توسيع كنيسة بيتر زويمر

التذكارية وأصبحت كنيسة لمسقط ومطرح أيضاً.

وعندما أصبح للمبشرين سكن دائم هناك بدأوا يمارسون نشاطهم بحماسة وثقة كبيرتين.

وفي سنة ١٩٠٩ تملّكت الارسالية العربية فدانين من الأرض بغرض المحافظة على الشروط الصحية للمنطقة المحيطة بالمنزل التابع لها.

وهناك حقيقة لابد من ذكرها هنا، وهي أن المبشرين قد قاموا بمحاولات كبيرة لشراء الأرض في كل من المحطتين الأخيرتين بدلاً من استئجار أبنية جاهزة. ويتضح السبب لهذا التصرف هو نصيحة القنصل البريطاني للمبشرين الأمريكان عندما قال لهم:

«إنه من الأفضل أن تسجل الأرض رسمياً باسمكم حتى لا يكون هناك مجال في المستقبل لسحب الامتياز»[٤٠].

وجرى العمل في هذه المحطة بالأسلوب نفسه الذي اتبع في البحرين لأن الموقعين يتمتعان بالأهمية نفسها من حيث الموقع والظروف السياسية. وعندما أصبحت مسقط محطة تبشيرية رسمية تحول الاهتمام إلى منطقة جديدة. وفي إطار سياستهم لنشر عملهم التبشيري في جميع أنحاء الخليج وجد المبشرون أن الكويت هي المكان المناسب لمحطتهم الجديدة.

افتتاح محطة الكويت للعمل التبشيري:

تقع الكويت في الجانب الشمالي الغربي من رأس الخليج العربي، وقد كتب أرنولد ويلسون يقول عن أهميتها:

«إنّ المزايا الاستراتيجية والتجارية لموقعها، وقربها من مدخل دجلة والفرات، واتصالها الوثيق بمملكة ابن سعود في وسط الجزيرة، وكونها تسمح بالعبور إليها بسهولة .. كل هذه الأمور تجعل موقع الكويت ذا

أهمية خاصة»[٤١].

وقد سبق أن قام المبشرون بزيارة للكويت سنة ١٩٠٠ وزاروها للمرة الثانية في ١٩٠٣ عندما فتحوا فيها مكتبة للكتاب المقدس، ولكن الشيخ مبارك حاكم الكويت في ذلك الوقت رفض أن يسمح لهم بإقامة المكتبة أو أية منشأة تبشيرية أخرى في البلاد وأمرهم أن يغلقوا المكتبة وأن يغادروا في الحال. ومن الطبيعي أن يستغرب المبشرون من الشيخ هذا القرار، إذ لم يسبق أن حدث معهم مثل ذلك الإجراء في غيرها من المحطات بعد أن يبدأوا ممارسة نشاطهم فعلاً. ولم يتمكنوا طبعاً من الدخول في جدل مع الحاكم لأسباب متعددة. أولها: أن المبشرين قد افتتحوا مكتبة الكتاب المقدس بدون إذن رسمي. وثانيها: أنهم كانوا في المرحلة الأولى من عملهم التبشيري، ولهذا فإنَّ أوضاعهم لم تكن قد وصلت درجة من الاستقرار تمكنهم من مواجهة مثل هذه الصعوبة. ثالثها: أنه كان من الصعب عليهم المجادلة في مجتمع متمسك بدينه ويستطيع أفراده وقياداته الدينية أن يضغطوا على حاكمهم. وكان رد الفعل الأول للمبشرين على هذا الموقف هو إرسال رسالة إلى المعتمد البريطاني في الكويت وممارسة نشاطهم فيها، وقد أُرسلت هذه الرسالة في السابع عشر من أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٠٤ عن طريق المسؤول عن مكتبة الكتاب المقدس التابعة للارسالية يطلبون المعونة من أجل التفاهم مع الحاكم في هذا الأمر: ونص الرسالة كمايلي:

١٧ أغسطس ١٩٠٤

حضرة صاحب السعادة الكابتن نوكس (Knox) أُقدم لكم تحياتي واحترامي. وأرغب بأن أعلمكم بأنه قد مضى على وجودنا (أي المبشرين) في الكويت ستة أشهر وبترخيص من الشيخ مبارك. وكنا قد تقدمنا بعرض للمجيء من قبل، وكان الشيخ على علم تام بطبيعة عملنا، ولكنه

أمرني منذ يومين بمغادرة البلاد، وأنا لا أعلم حتى الآن سبب هذا القرار، ونحن بانتظار معونتكم.

مـع جـزيل شـكرنا

مسؤول مكتبة الكتاب المقدس في الكويت برئاسة السيد صموئيل زويمر في البحرين»[٤٢].

والواقع أن المعارضة الرسمية للنشاط التبشيري في الكويت استمرت حتى سنة ١٩١٠ عندما طلب الشيخ مبارك أثناء زيارته للبصرة من الدكتور بنيت (Binitt) أحد قادة الارسالية العربية المجيء إلى الكويت لمعالجة ابنته. ولدى نجاح الدكتور (Binitt) في معالجتها طلب منه الشيخ مبارك البقاء في الكويت. وممارسة الطب فيها. فاستشار المبشرون حاكم الكويت بشأن مشروعهم لافتتاح مستشفى في الكويت فوافق الشيخ على الفكرة، ولكن العديد من الرجال البارزين عارضوها لاعتقادهم بأن الخدمات الطبية قد يكون لها تأثير ديني في الناس لأنهم كانوا على علم بما حدث في البحرين. فقد بدأ المبشرون نشاطهم هناك بتقديم الخدمات الطبية ثم انتقلوا إلى النشاط الديني. وقد قاوم الشيخ هذه المعارضة لاقتناعه بأن المستشفى سيوفر الفائدة لعائلته ولشعبه[٤٣]، وبخاصة بعد العملية الناجحة التي أجراها الدكتور بنيت على عين ابنته، إضافة إلى قناعته بأن المبشرين لن يستطيعوا التأثير في شعبه دينياً.

غادر الدكتور بنيت الكويت إلى البصرة وبعد شهر من مغادرته أرسل الشيخ مبارك يستدعيه لمزاولة الطب في الكويت. وعندما عاد مع عدد قليل من مساعديه منحه الشيخ منزلاً كبيراً كان يملكه ابن أخيه، ليكون تحت تصرفهم. وكان المنزل قريباً من قصره[٤٤]، ربما لرغبته بأن يكون نشاط المبشرين تحت مراقبته الشخصية، أو لأنه كان يعتقد بأن قربهم

من قصره سيكون نافعاً إذا احتاج إلى معونتهم الطبية لنفسه أو لعائلته.

ومنذ ذلك التاريخ استمر العمل التبشيري في الكويت بدون انقطاع ، وكان قد بدأ بشكل بسيط ومحدود، ولم يلبث أن أخذ بالنمو تدريجياً. والواقع أن تأسيس فرع الارسالية العربية في الكويت بدأ عندما طلب المبشرون من الحاكم أن يسمح لهم بشراء قطعة من الأرض في غرب مدينة الكويت بثمن معقول ليقيموا عليها الابنية اللازمة لأعضاء الارسالية على غرار محطتهم في البحرين والتي كانت المحطة الثانية من حيث الأهمية للعمليات التبشرية في المنطقة بعد محطة البصرة. ومنذ البداية كان من الواضح أن الشيخ مبارك كان يرغب بقبول عروض الدكتور بنيت لاقتناعه بأن هذا الأمر لن يولد أية تعقيدات سياسية في حين أنه سيضمن لنفسه ولأهله عناية طبية حديثة ومستقلة.

وقد تعهد المبشرون للسلطة البريطانية في المنطقة على النحو التالي:

الارسالية العربية

الكنيسة الاصلاحية في أمريكا

تعهد مع الحكومة البريطانية

١٨ نوفمبر ١٩١٠

نحن ـ الموقعين أدناه، المديرين للارسالية العربية في الخليج (الفارسي) لارسالية الكنيسة الاصلاحية الهولندية في الجزيرة العربية، اعترافاً منّا بالوضع الخاص للحكومة البريطانية في الكويت ـ نتعهد هنا أنه في حال حصولنا من الشيخ مبارك بموافقة الحكومة البريطانية على قطعة أرض في الكويت سواء عن طريق الشراء أو الإيجار لانشاء مركز دائم لارساليتنا لممارسة نشاطنا، فإننا سنعمل على تذليل الصعوبات الصغيرة التي قد تنشأ من وقت لآخر بالاتصال بالشيخ مباشرة. وفي

حال عدم تمكننا من حل خلافاتنا بهذه الطريقة، فإننا سنلجأ إلى تحكيم المساعي الطيبة لممثل الحكومة البريطانية فقط، أو في حال غيابه إلى المقيم البريطاني في الخليج (الفارسي). وستكون الارسالية في الكويت مستقلة كلية عن فرع ارساليتنا في البصرة، ولن نسعى تحت أية ظروف على نحو مباشر أو غير مباشر الاتصال بالسلطات التركية أو موظفي القنصليات المفوضين إلى المناطق التركية»[٤٥].

التوقيع ي. مورداك E. Moerdyk

د. دايكسترا D. Dykstra

وبعد توقيع هذا التعهد من رؤساء الارسالية العربية في البحرين، أصبح من الممكن للمبشرين أن يستمروا في برنامجهم في الكويت - محطتهم الجديدة، وحصلوا على موافقة الشيخ لشراء قطعة أرض لإقامة مستشفى وغيرها من الأبنية اللازمة في مدينة الكويت. وفي سنة ١٩١٣ وضع الحجر الأساس لمستشفى الرجال، وبعد عام أصبح المستشفى جاهزاً للعمل، وكان

الدكتور بنيت قبل ذلك هو والدكتور هاريسون والدكتور ملري يقدمون الخدمات للأهالي في منزل أحد المواطنين. وهكذا فقد كان هذا المشروع خطوة إلى الأمام في تطور الخدمات الإنسانية للارسالية في تلك المنطقة[٤٦].

وقد توقفت هذه الخدمات خلال الحرب العالمية الأولى، وعادت إلى ما كانت عليه بعد انتهاء الحرب. ثم ركزت الهيئة العاملة هناك على مستشفى السيدات، والذي افتتح في سنة ١٩٢٠ تحت اسم مستشفى كيت اولكوت التذكاري (Kate V.S. Olcott Memorial Hospital)، وقد سمي باسم واحدة من أصدقاء الارسالية المخلصين.

وكان أهم ما يميز عمل المبشرين هناك هو تصميمهم على العمل والاستمرار فيه رغم جميع المتاعب التي واجهتهم. وبغض النظر عمّا إذا كان عملهم سيحقق شيئاً ذا قيمة أم لا، فقد كانوا دوماً يتطلعون إلى الأمام بتفاؤل. وقد واجهوا صعوبات في الكويت منذ بداية عملهم من حاكمها أولاً ثم من رجال الدين فيها، وكانوا يتوقفون عن عملهم التبشيري عندما يواجهون موجة من المعارضة ويركزون على الخدمات الصحية، ولكنهم يعودون إلى نشاطهم التبشيري عندما تخف حدة هذه المعارضة. وكانت لديهم المقدرة على تكييف أنفسهم مع جميع الظروف المحيطة بهم، وهذا يفسر قدرتهم على الاستمرار كل هذه الفترة الطويلة رغم عدم نجاح عملهم دينياً بالشكل الذي كانوا يريدونه أو يأملون منه. وفي عام ١٩٦٧ قررت الارسالية أن تتخلّى عن عملها في الكويت بسبب التطور المحلي في المنطقة وبسبب الخلاف بين أعضاء الارسالية وخاصة بين الدكتور سكدر (R. Scudder) والدكتور فل (Fell) في عام ١٩٦٤ إلى ١٩٦٥ وكان لكل منهما رأي مختلف في طريقة التعامل مع الأهالي[٤٧].

لكن يبدو أن السبب الحقيقي هو شعور الارسالية العربية بعدم جدوى العمل في هذه المنطقة من الناحية التبشيرية.

المحطات الفرعية:

أ - العمارة والناصرية:

كان المبشرون يولون المحطات الفرعية اهتماماً خاصاً ويعتبرونها المحطات الرئيسة للمستقبل. وفي نهاية عام ١٨٩٥ بدأ العمل في محطة فرعية في العمارة على نهر دجلة، وفي محطة أخرى حصلوا عليها في الناصرية على نهر الفرات، وفي عام ١٨٩٧ افتتحوا مكتبة للكتاب

المقدس في كل منهما وكلتاهما كانت في جنوب العراق. وكانت نشاطاتهم في العمارة في أول الأمر محدودة. وفي ١٩١٤ أصبحت فرعاً لمحطة البصرة وفي الوقت نفسه كانوا قد أقاموا مستشفى في البصرة وأصبح المرضى من العمارة يأتون إليه للعلاج وبخاصة عند افتتاح مستشفى لانسنج التذكاري هناك في ١٩١١ أولاً برئاسة الدكتور ورال (Worral) ثم الدكتور آرثر بنت (Arthur Binitt)[٤٨].

واستمر العمل التبشيري في النمو في هذه المحطات الفرعية إلى بداية الحرب العالمية الأولى عندما توقف العمل فيها بسبب العمليات الحربية التي عطلت النشاط التبشيري لبعض الوقت، لكن العمل عاد إلى طبيعته بعد الحرب عندما أُعيد افتتاح هاتين المحطتين الفرعيتين في عام ١٩٢٠. وكان العمل آنذاك تحت رعاية القس بيلكر (Bilker) وزوجته وبعدها تحت رعاية السيد والسيدة دايكسترا (Dykstra) لكن العمل بدأ في التدهور تدريجياً في الناصرية وتوقف تماماً مع نهاية الحرب العالمية الثانية. والتفسير الوحيد لذلك هو أن الارسالية بدأت بالتركيز على منطقة الخليج العربي هدفها الرئيس، وكقاعدة تنطلق منها إلى بقية أجزاء شبه الجزيرة العربية. يُضاف إلى ذلك أن الأوضاع السياسية في العراق لم تكن تساعد على خلق مناخ ملائم لنشاطهم، ومع ذلك فإن عملهم في البصرة بقي مستمراً. ومن الجدير بالملاحظة أن الحركة الوطنية قد نمت هناك منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى، حيث قامت انتفاضات عدة ضد الوجود الاستعماري الغربي، وأصبحت الدعوة للتحرر من النفوذ الغربي هي الأمر الذي يشغل أفكار المواطنين[٤٩]. واستمر العمل التبشيري في العمارة حتى عام ١٩٥٩ عندما اعتبرت هذه المحطة مغلقة لأن الارسالية أُجبرت على مغادرة المنطقة بعد ثورة ١٩٥٨.

ب - افتتاح محطة مطرح الفرعية:

أصبحت مطرح، وهي ميناء بحري قريب من مسقط، محطة تابعة لمسقط عندما بدأ المبشرون بتقديم خدماتهم الطبية هناك سنة ١٩١٤، وافتتحوا مستشفى وعيادة للنساء في السنوات التالية. ولم يكن هدف الارسالية عندما بدأت نشاطها في تلك المنطقة محصوراً في المنطقة ذاتها، فقد كان في نيتها الوصول إلى المناطق الداخلية في عُمان وشبه الجزيرة العربية. وكانت مطرح صالحة جداً للقيام بهذا الدور لكونها واقعة على الطريق المؤدية إلى تلك الجهات. وكانت الارسالية تخطط للعمل بين سكان المناطق الداخلية مستخدمة مطرح قاعدة لها. ولكن الارسالية أُصيبت بالصدمة لرفض حاكم مسقط السماح للارسالية بالعمل في تلك الأنحاء، ونتيجة لذلك وجدت الارسالية نفسها في موقف حرج، والذي كان تهديداً في الواقع لجميع أعمال الارسالية التبشيرية في عُمان. ولكن تدخل الحكومة الأمريكية عن طريق قنصليتها في مسقط وضع حداً لهذا النزاع وانتهى بالسماح للارسالية بالبقاء ومزاولة نشاطها . وسنأتي على ذكر التفاصيل المتعلقة بهذا النزاع في الفصل الخاص بالنشاط السياسي .. وقد أدى هذا الموقف إلى التزام الارسالية جانب الحذر في أنشطتها والتركيز على تقديم الخدمات الطبية فقط.

وبعد فترة طويلة من العمل في تلك المنطقة قامت الارسالية ببناء مستشفى جديد في سنة ١٩٣٤، وقد بني مسكن الطبيب في الوقت نفسه وافتتح مستشفى شارون تومس للأمراض المعدية في عام ١٩٤٨، وأضيف إليه مبنى آخر لعلاج المصابين بالجذام[٥٠].

وبعد انتهاء جميع الجهود الأولية للارسالية لفتح منطقة الخليج أمام التبشير وبناء محطاتها الرئيسة والفرعية. بدأ المبشرون عملهم على نحو جاد وفعّال ابتداءً من العقد الثاني من بدء عملياتهم في هذه المنطقة، أي

منذ بداية هذا القرن.

جـ - محاولة فتح محطة قطـر:

وكانت قطر واحدة من المناطق التي استأثرت باهتمام الارسالية وتقع قطر على ساحل الخليج العربي غير بعيدة عن البحرين. ومن الناحية الطبيعية تعتبر امتداداً لصحراء شبه الجزيرة في الخليج. وقد قام مبشرو الارسالية العربية بزيارة المنطقة مرات عدة قبل أن يحصلوا على إذن بالسماح لهم بمزاولة العمل هناك. وهم القس جيريت بنينجز (Gerrit pennings) والدكاترة هاريسون وديم وتومس والآنسة كورنيليا دالينبـرج (Harrison, Dame, Storm, Thoms and Miss Cornelia Dalenbarg). في عام ١٩٤٥ ذهب القس ج فان برسيوم (G.Van Perseum) والدكتور و.هـ. ستورم (W.H.Storm) في رحلة طبية تبشيرية إلى قطر. وقد طلب منهم القيام بفحص ضغط دم الحاكم في قصره، وفي خلال تلك الزيارة طلب الشيخ منهم أن يأتوا إلى بلده لافتتاح مستشفى وبعض العيادات الطبية في مشيخته ووعدهم بأنه سيبني لهم مستشفى ووجدوا في هذا الأمر فرصة جيدة لافتتاح فرع لهم في تلك المنطقة لتكون محطة فرعية تابعة لمحطتهم في البحرين. وطلب منهم الشيخ وضع تصميم للمستشفى ووعد بأن يبدأ العمل فيه بالحال، وعند الانتهاء من البناء سيعهد به إليهم لإدارته.

وفي خريف عام ١٩٤٧ أصبح المستشفى جاهزاً للعمل. وجاء الدكتور ستورم وزوجته مع عدد من أعضاء الهيئة الطبية التي تعمل في مستشفى ماسون التذكاري في البحرين إلى قطر في العشرين من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) لتجهيز المستشفى وإعداده للعمل[٥١]. ولكن الخدمة الطبية في هذه المنطقة لم يكتب لها أن تستمر طويلاً، ففي عام ١٩٥٢ اضطرت الارسالية إلى التوقف عن العمل في قطر بسبب الصعوبات

المتعلقة بتأمين الهيئة الطبية، حيث تم ارجاع المستشفى إلى الحكومة القطرية[٥٢]. وهذا هو ما حصل عندما حاولت الارسالية افتتاح فرع لها في الزبير في جنوب العراق، فسرعان ما تخلت عن عملها هناك للسبب نفسه وهو النقص في أعضاء الهيئة الطبية. وعلى أية حال فإن الرحلات إلى قطر لم تنقطع وبقي هناك بعض النشاط الطبي والتبشيري، ولكن هذا النشاط لم يؤدِ إلى فتح هذه المناطق أمام التبشير أو إقامة محطات رئيسة أو فرعية هناك.

علاقة الارسالية بغيرها من الارساليات العاملة في المنطقة:

كانت الارسالية العربية الأمريكية هي أكبر المؤسسات المسيحية العاملة في المنطقة ولكنها لم تكن الوحيدة إذ كان هناك أربع ارساليات أخرى تعمل. وكان للارسالية العربية نوع من العلاقات مع كل من هذه الارساليات.

وأولى هذه الارساليات كانت ارسالية كيث فالكونر (Keath Falconer) في عدن والتي كانت قائمة قبل أن تبدأ الارسالية العربية نشاطاتها في منطقة الخليج بسنوات عدة. وقد حصلت الارسالية العربية على معونة كبيرة من هذه الارساليات. والارسالية الثانية هي الارسالية المتحدة في العراق وفي سنواتها الأخيرة أيضاً عندما سلمت الارسالية العربية أعمالها إليها بعد أن اضطرت لمغادرة المنطقة بعد ثورة ١٩٥٨. وقبل الانتقال من هذا الموضوع لابد أن نتحدث عن نشاط الارساليات في العراق منذ انهيار الكنيسة النسطورية في الشرق. في القرن الخامس عشر أصبح السكان المسيحيون في العراق في ثلاثة مراكز: الموصل في الشمال وبغداد في الوسط والبصرة في الجنوب. وبعض هؤلاء المسيحيين من النسطوريين الأصليين، وبعضهم الآخر من المبشرين الأوروبيين الذين جاءوا إلى العراق فيما بعد، وبشكل رئيس من جمعية

الكنيسة التبشيرية (C.M.S) * [٥٣]. وقد أصبحوا جميعاً تحت النفوذ البريطاني[٥٤]، بعد الحرب العالمية الأولى إذ إن جميع البلاد أصبحت تخضع للحكم البريطاني.

وكانت الجماعة النسطورية في العراق قائمة على النظام القبلي تحت قيادة رئيس المنطقة وكان جميع الزعماء يدينون له بالولاء في الشؤون الدينية والمدنية، أما في المناطق الكردية في شمال البلاد فإن النسطوريين كانوا يخضعون للزعيم التركي (الأمير) [٥٥]. وعندما بدأت الصراعات السياسية في العراق بعد الحرب العالمية الأولى هرب النسطوريون ونفي البطريرك النسطوري من العراق في عام ١٩٣٩. وبالرغم مما حدث للنسطوريين ولوجود النفوذ الغربي فقد بدأ النشاط التبشيري هناك والذي أدى إلى ازدياد عدد المسيحيين. ومن أهم الارساليات التي عملت هناك وأكثرها نفوذاً هي جمعية الكنيسة التبشيرية (C.M.S). وقد بدأت هذه الارسالية عملياتها عند تثبيت الحكم البريطاني لنفوذه العسكري والسياسي في المنطقة[٥٦]. ولم يكن هذا هو الحال في العراق فقط، بل في كثير من المناطق في الشرق، الواقعة تحت النفوذ البريطاني، نذكر منها عدن على سبيل المثال. وكانت الارسالية تلعب دوراً سياسياً في المنطقة بسبب العلاقات التي تربطها بالسلطات البريطانية[٥٧] إضافة إلى عملها التبشيري.

جاء المبشرون الأمريكيون إلى المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر وكانوا يرجون أن تدعم الكنيسة النسطورية جهودهم التبشيرية[٥٨]. وقد قامت جمعية الكنيسة التبشيرية بتقديم العون لهم في عملهم لأن الارساليتين كانتا مؤسستين بروتستانتيتين. وقد حدث هذا في العراق

* بدأت هذه الإرساليات عملياتها في مالطة في عام ١٨١٥، ثم نقلتها إلى بيروت وغيرها من الأماكن في شرقي البحر الأبيض المتوسط فيما بعد.

وفي عدن[٥٩]، حيث بدأوا التعاون بمساعدة الأمريكيين بدراسة اللغة العربية وطباعة منشوراتهم.

ويقول عبد اللطيف الطيباوي بهذا الخصوص:

«نظراً إلى أن المطبعة الأمريكية لم تكن قد بدأت الطباعة باللغة العربية فقد عُيِّن فاريس (Faris) في مطبعة جمعية الكنيسة التبشيرية معاوناً عاماً في القسم العربي، وقد ذكر بالتحديد أنه قد أنتج لجميع الكنيسة التبشيرية تفسيراً للأمثال وربما يكون قد ساعد سميث (Smith) وغيره من أعضاء الارسالية الأمريكية في دراستهم للغة العربية. وقد مهد بعض أعضاء جمعية الكنيسة التبشيرية، وبخاصة الأعضاء البارزون مثل الأسقف فرنش (French) والجنرال هيج (Haig)، الطريق أمام الارسالية العربية للعمل في منطقة الخليج العربي[٦٠].

وآخر هذه الارساليات هي الارسالية الانجيلية المتحدة والتي يقودها الدكتور كنيدي (Kennedy) في واحة البريمي في العين والتي كان بينها وبين الارسالية الأمريكية علاقات ودية مع أن الروابط لم تكن منتظمة عبر السنين، وكانت لجنتها أعضاء في الارسالية العربية، وقد انفصلت عنها لأن لها رأيها الخاص في التبشير بين العرب. وقد لخص القس لويس سكدر الابن رأيها فيما يلي:

«إنّ العمل التبشيري يجب أن يتوجه بشكل مباشر للتأثير في الناس من خلال جميع مؤسسات الارسالية. وقد كانوا يعتقدون على سبيل المثال أن المريض يجب ألا يترك المستشفى دون التأثير في عقيدته الدينية»[٦١].

ويبدو أن هذه الارسالية لم تستطع تحقيق أية نتيجة ايجابية باتباعها هذه السياسة، وقد قابل مؤلف هذا البحث القس يونج (Rev. Young). وهو أحد أعضاء ارسالية التبشير الانجيلي المتحدة[٦٢]. ولم يلاحظ من مناقشة

معه أن هذا هو سبب الانفصال بين ارساليته وبين الارسالية العربية، ويبدو أن هناك أسباباً أخرى لا تزال مجهولة حتى الآن. والارسالية الرابعة هي «الكنيسة المشيخية»، وكانت هذه الارسالية تعمل في الشرق في لبنان وفارس قبل الارسالية العربية، ولها صلات جيدة مع الارسالية العربية.

نهـــاية الارســالية العربيــة :

بعد خمس وثمانين سنة من النشاط المتواصل للارسالية العربية في الخليج العربي اتخذ مؤتمر الكنيسة الاصلاحية المنعقد في شهر آذار (مارس) في سنة ١٩٧٣ قراراً بوضع حد لعمل الارسالية العربية الأمريكية والمؤسسات التابعة لها. ومنذ ذلك التاريخ والارسالية مغلقة رسمياً وصارت كل واحدة من مؤسساتها تُدار محلياً، وأصبحت علاقتها بالكنيسة الاصلاحية مجرد علاقة أدبية، ولم تعد الكنيسة الأم مسؤولة رسمياً عن تمويلها[٦٣]، وقد أحزن هذا القرار المبشرين العاملين في الميدان، ولكن يبدو أنه أُتخذ لقناعة الكنيسة الأم بعدم جدوى الاستمرار بالعمل في هذه المنطقة، ولم تذكر الكنيسة الاصلاحية علناً السبب الذي دعاها لاتخاذ هذا القرار، ونعتقد أن الأسباب المحتملة هي الآتية:

أ – شعور الكنيسة الاصلاحية بأن تقديم الخدمات الطبية والتعليمية ليس من واجبها، وأن واجبها هو القيام بمهمتها الدينية الأساسية عن طريق مساعدة الكنائس المحلية في نشاطها الديني[٦٤].

ب – لم يحقق استخدام تلك الأساليب في العمل التبشيري في المنطقة الأهداف المرجوة خلال هذه المدة الطويلة من عمل الارسالية في نظرهم.

جـ – التطور السريع الذي حدث في المنطقة في العشرين سنة الأخيرة

جعل من العسير على مؤسسات الارسالية أن تنافس مستشفيات الحكومات المحلية ومدارسها، وبما أن هذه الخدمات قد توفرت هناك فلم يعد هناك مبرر للبقاء مدة أطول.

وبعد هذا التطور الخطير في سياسة الكنيسة الأم تحول أعضاء الهيئات العاملة في الارسالية إلى مؤسسات الحكومة في الكويت ثم في مسقط. أما الحال في البحرين فقد كان مختلفاً ولا تزال مؤسسات الارسالية تعمل والعلاقة بينها وبين الكنيسة الأم أوثق مما هي عليه في المناطق الأخرى.

وهذه هي قصة الارسالية العربية منذ مولدها ووصولها إلى ميدان العمل وافتتاح المحطات الرئيسة والفرعية والصعوبات التي لاقتها. وقد أصبح من الممكن الآن مناقشة نشاطها مبتدئين بالخدمات الطبية.

في الحقيقة عند افتتاح المحطة الرئيسة أو الفرعية، كانت الخدمات الطبيعة أهم جزء في عمل الارسالية، لأن هذا النوع من النشاط في هذه المنطقة وبين هؤلاء الناس في ذلك الوقت هو المجال الوحيد الذي يبرر العمل التبشيري، والسبب الوحيد الذي يسمح لهم بالبقاء والعمل والاستمرار. وستكون الخدمات الطبية هي موضوع الفصل التالي.

• • • • •

الهوامش

1. Wilson, A., The Persian Gulf, G.B., 1928, P. 2.
2. ibid., p. 6.
3. د. الرميحي محمد، الديمقراطية في مجتمعات الخليج المعاصرة، الكويت ١٩٧٧، ص ١٤-١٥ انظر أيضاً مجلة «العربي» يناير ١٩٧٥، الكويت (خريطة ملحقة).
4. Zwemer, S.M., and Cantine, J., The Golden Milestone, N.Y., pp. 19–20. See also, Addison, T.J., The Christian Approach to the Moslem, N.Y. 1966, A.M.S. Press Inc., p. 195 See also, Mason, A.D., and Barny, F. J., The History of Arabian Mission N.Y., 1926, pp. 58 – 62.
5. Zwemer, S.M., and Cantine, J., op.cit., pp. 17 – 20.
6. Richter, J., A History of Protestant Mission in the Near East, London 1910, p. 276.
7. Harrison, p., The Arab at Home, N.Y., 1924, p. 282.
8. Van Ess, D., History of the Arabian Mission 1926 – 1957, N.Y., p. 68. (unpublished).
9. Harrison Ann, A tool in his Hand, N.Y., 1958, P. 126.
10. Zwemer, S.M., and Cantine, J., op. cit., pp. 141 – 2.
11. Zwemer, A.M., op. cit., p. 359
12. Mason, A.D., and Barmy, F.J., op. cit., p. 64.
13. Addison, J.T., F.J., op. cit., p. 195.
14. Mason, A.D., and Barny, F.J., op. cit., pp. 101 – 2.
15. Ibid., p. 69.
16. The Arabian Mission Correspondance 1890 – 1898, Archives No. 753 Box 1. Letter from Rev. J. Cantine to the Board dated May 26, 1892, the Theological seminary, New Brunswick, N.J., U.S.A.
17. Van Ess, D., op. cit., p. 70.
18. Mason, A.D., and Barny, F.J., op. cit., pp. 119 – 120.
19. Arabia Calling, No. 249, March 1960, p. 15.
20. Wilson, A., op. cit., p. 245.
21. Zwemer, S.M. and Cantine, J., op. cit., pp. 108 – 109.
22. Zwemer, S.M., ibid., pp. 362 – 63.

23. Storm, H., op. cit., p. 69
24. Mason, A.D., and Barny, J. F., op. cit., pp. 116 – 118.
25. Parrinder, G., Africa's Three Religions, London 1969, 1979, p. 101.
26. ibid., pp. 108 – 122.
27. ibid., pp. 120 – 122.
28. ibid., p. 193.
29. ibid., p.194.
30. ibid., pp. 196 – 97.
    See also, Phillips, W., Oman: A History, G.B., 1967, pp. 24, 31, 35.
31. Parrinder, G., op. cit., p. 204.
32. Ibid., pp. 197.
33. Blyden, W.E., Christianity and the Negro race, Edinburgh 1967, pp. 19 – 21.
34. Parrinder, G., op. cit., pp. 230 – 31.
35. Trimingham, S.J., Islam in East Africa, Oxford 1964, p. 2.
36. ibid., p. 25.
37. Richter, A.D., op. cit., pp. 275 – 76.
38. N.A., First Quarter 1894, N.Y., p. 8.
39. Masson, A.D., and Barny, J.F., op. cit., pp. 114 – 115.
40. Zwemer, S.M. and Cantine, J., op. cit., p. 105.
41. Wilson, A., op.cit., p. 249.
42. I.O.R., IOR R/15/5/313, London 1904 (Translated from Arabic).
43. Mylrea, G.S.C., M.W. Vol. VII, No. 11, 1917, N.Y., p. 119.
44. ibid., pp. 119 – 22.
45. I.O.R., op. cit. n, 18th Nov. 1910.
46. N.A., No. 160, 1932, p. 8
47. Author's interview with Rev. Scudder, L. Jr., New Brunswick, N.J., U.S.A., Sept. 1976.
48. N.A., No. 160, 1432, p. 8.
49. Van Ess, D., op. cit., p. 73.
50. Arabia Calling, No. 248, March 1960, pp. 13 – 16.
51, Storm, H.W., N.A. No. 212, March 1948n pp. 6 – 7.
52. Arabia Calling, No. 227, Spring 1952, p. 14.

53. Betts, B.R., op. cit, pp. 102 – 105.
54. Atiya Aziz, op. cit., pp. 283.
55. Trimingham, S.J., Islam in East Africa, Oxford, 1964, p. 26.
56. Tibawi, L.A., American Interests in Syria 1800 – 1901, Oxford 1966, p. 12.
57. Author's interview With Rev. Scudder, L. Jr., Kuwait, June 1977. See also, Samra, Mahmud, op. cit., p. 34.
58. Betts, B.R., op. cit., pp. 52 – 3.
59. Author's interview with Rev. Scudder, L. Jr.,Kuwait, June, 1977.
60. Tibawi, L.A., op. cit., pp. 52 – 3.
61. Author's interview with Rev. Scudder, L. Jr., Nov. 1974, Kuwait, and interview with him in Sept. 1976, New Brunswick, N.U., U.S.A.
62. Author's interview with Rev. H. Young, Birmingham, Feb. 1975.
63. Author's interview with Rev. Scudder, L. Jr. Sept. 1976, New Brunswick N.J., U.S.A.
64. ibid.

الفصل الثالث

الخدمة الطبية مدخلاً ووسيلة للتبشير

أهميتهـــــــا:

كانت الخدمة الطبية وسيلة للتبشير تحظى دوماً بالاولوية في مهمات المبشرين، وقد لعبت دوماً الدور الاكبر بين أنشطة الارسالية الاجتماعية – وكان تقديم مثل هذه الخدمة جزءاً من الخلق المسيحي الذي يدعو لمساعدة الناس وشفائهم. وقد قال الدكتور بنينجز (Pennings) في معرض إجابته عن سؤال للباحث عن السبب الذي يدعو الارسالية لاختيار هذه الوسيلة طريقا للتبشير.

«من السهل معرفة السبب بأن المسيح كان معلما ومداويا، وفي الواقع كان طبيبا، ان ما نفعله هو تأثر خطاه»[١] .

ان المداواة في المسيحية نشاط ديني عميق الجذور تبدأ مع بداية معجزات السيد المسيح الذي شفى المرضى. لكن في الحقيقة ان المسيح لم يكن طبيبا أو مداويا بالمعنى الذي نألفه في المستشفيات. فهو لم يستخدم أي نوع من الدواء لشفاء الناس. ان ما فعله المسيح في هذا الميدان هو القيام بالمعجزات.

ان الاولوية التي حظي بها هذا المدخل والاسلوب تعتمد على اشباع حاجة الاهالي الملحة الى العلاج الطبي. ولم يكن مجتمع الخليج في ذلك الحين ينعم بالرعاية الطبية الحديثة، والعلاج الوحيد المتوفر في تلك الايام هو العلاج أو الطب الشعبي، أضف الى ذلك ان العلاج الطبي هو أكثر الوسائل قربا الى النفوس، فقد كان مدخلا واسلوبا انسانيا يحظى بتقدير الشعب العربي ويقف حائلاً أمام ردود الفعل السلبية سواء أكانت دوافعها دينية أم سياسية، لذلك فقد كان أفضل طريق لخلق جو اجتماعي

ودي مـع الـنـاس. وقـد ذكـر ذلك هـ. سـتـورم - (H.Storm) أحد قـادة الإرسالية بقوله: «لقد ثبت أن العمل الطبي هو مفتاح القلوب المغلقة ووسيلة لتوثيق عرى الصداقة وأداة لتحطيم المعارضة»(٢).

لقد كان المبشرون يؤكدون هذا المدخل كوسيلة رئيسة للتبشير، وأسلوب لكسب قلوب الأهالي وخلق جمهور متعاطف معهم، والأهم من ذلك كله تهيئة الفرصة للتبشير بالانجيل، وقد ذهب صموئيل زويمر إلى القول «إنّ جميع العاملين في ميدان التبشير في الجزيرة العربية متفقون على أن الطبيب القدير والجراح الماهر يحمل جوازاً يفتح الأبواب المقفلة، ويغزو القلوب مهما كانت عنيدة. إن المستشفيات في الجزيرة العربية هي مكان تلتقي فيه الرحمة بالخلق ويتعانق فيه الصلاح والسلام»(٣).

إن للمدخل الطبي مزايا عدة أهمها الأثر النفسي الذي يتركه في المجتمع. وإضافة إلى حاجة أهالي البلاد الماسة إليه فقد كانوا أيضاً ينظرون إلى الطبيب القدير نظرتهم إلى إنسان متفوق يستخدم أحدث الوسائل الطبية التي كانت أرقى بكثير من الوسائل التي يملكها المعالجون المحليون. لذا فقد كان الأهالي يرغبون دائماً في الالتصاق به وطلب النصح والمشورة منه. ومن يكون على أية حال أحق بالثقة من مداو قدير؟ كما أن المدخل الطبي يجد قبولاً لدى العربي الذي يحمل اعجاباً كبيراً بالخدمة الطبية. وقد أكد أحد الرحالة وهو وندل فيليبس – (Wendell Phillips) ذلك بقوله:

«في الواقع ان لدى العرب شغفاً كبيراً بالطب والعلاج الطبي»(٤).

وهذا الشغف نفسه هو الذي جعل العرب يساهمون في تقدم الطب في الماضي عن طريق الأطباء العرب المشاهير من أمثال ابن سينا والرازي.

ولكن الإغراق في استخدام الخدمات الطبية مدخلاً للتبشير، على أية حال، لم يحظَ دوماً بالتشجيع من القيادات التبشيرية، وقد نقده البعض

على أنه مغامرة باهظة الكلفة يمكن أن تؤدي إلى انحراف كبير عن أهداف التبشير الأساسية، وهي التبشير بالانجيل ونشر الإيمان المسيحي. ويرى البعض أن الاغراق في الخدمات الطبية يؤدي إلى تورط كبير في إدارة المستشفيات والعيادات المحلية ويتطلب مجهودات جبارة، وهذه المجهودات تستغرق وقتاً وتستنزف طاقة مما يعني الحد من مجهودات المبشر الرامية إلى التبشير بالانجيل. وقد بلغ الأمر بالدكتور بول هاريسون – (P.Harrison) وهو أحد كبار رجال الإرسالية بعد، (صموئيل زويمر – S. Zweme)، أن ذكر: «ان المبشر لا يكتفي بتطوير المستشفيات حتى ولو غطت خدماتها جميع أطراف الإقليم؛ إن الهدف من وجودنا في الجزيرة العربية هو أن نجعل من الرجال والنساء مسيحيين»[٥].

وهذا الخلاف يبين أحد المفاهيم التبشيرية الأساسية وهو أن الانخراط في الخدمات الطبية يجب ألا يكون غاية في حد ذاته بل وسيلة لغاية أسمى.

وقد أكد القس جيرت د. فان برسيوم – (Gerrit D. Van Perseum) ذلك: «إن المبشر الطبيب لا يجب ولا يمكن أن يتخلّى عن العمل التبشيري النشيط فالطب ليس هو غاية الطبيب في حقل العمل التبشيري... بل يجب أن يتضمن العمل التبشيري إضافة إلى غيره من أعمال»[٦].

وهذا الخلاف يشير أيضاً إلى الخوف الذي يساور بعض كبار قادة التبشير من أن الإغراق في النشاط الطبي قد يؤدي إلى موقف تتحول فيه الوسائل إلى غايات وتفقد بذلك الغرض الأساسي منها كوسائل إلى غاية رئيسة وهي التبشير بالإنجيل. وقد عبّر الدكتور (برسيوم) عن ذلك بالقول: «أرجو ألا يعتقد أحد بأنني أقلل من شأن الجوانب الأخرى لنشاطنا عندما أقول بأنها ليست غايات في ذاتها، ولكنها وسائل نبيلة

وتستحق الاعجاب لتحقيق غاية. لقد كان الرب يتنقل لفعل الخير ولكنه نادراً ما كان يبرىء المرض أو يحيي الموتى إلاّ عندما يعود ذلك بالنفع على الجانب الروحي»(٧).

ومن هنا يتبين أن التوازن بين الوسيلة والغاية هو نقطة الخلاف. وهذا الخلاف يبين بوضوح أن الخدمة الطبية كانت دوماً وسيلة تبشيرية وليست خدمة طبية مجردة. ومهما يكن فإن الفكرة التي تقول إن الخدمة الطبية يجب ألا تتجاوز الحد الضروري لتكون وسيلة وليست غاية هي أيضاً موضوع للخلاف. وقد رفض القس لويس سكدر الابن الموقف الذي تنادي به بعض الهيئات التبشيرية والذي يقول إن المستشفيات والمدارس يجب أن تستخدم كشراك لايقاع المسلمين وتحويلهم إلى مسيحيين. وفي رأي القس سكدر أن على هذه العناصر الاعتراف بالفشل لأن دعواهم لا يمكن أن تقبل في أي محكمة دينية، وفي مقابلة له مع الكاتب دافع عن موقف الإرسالية نحو الخدمة الطبية بقوله: إنها كانت تعتبر خدمة إنسانية أكثر منها مدخلاً تبشيرياً(٨).

وحول ضرورة التوازن بين الهدف التبشيري والنشاط الطبي قالت دورثي فان إيس (D. Van Ess) : « الإغراء بتبني خط أكثر فاعلية وأوسع انتشاراً من الأمور التي تدرس بعناية لتحقيق التوازن مع التأكيد على التبشير الذي هو الهدف الحقيقي لوجود الإرسالية». ويعلق أحد أطباء الإرسالية بقوله: (لا بد أن السيد المسيح قد ترك بعض المرضى بدون شفاء ليقوم بعمل ما يعتقد أنه أهم وترك هؤلاء ليقوم أتباعه بمهمة علاجهم).

إنّ العمل في المستشفيات مكرس لجعل من يأتيها من المرضى المسلمين يحسون بوجود حقيقي للسيد المسيح. إنهم يأتون للتحرر من

الآلام الجسدية أو العجز ولكنهم يجب أن يسمعوا عن المسيح الشافي الذي لا يشفي فقط من آلام الجسد، بل من عذاب الروح أيضاً. إننا لسنا هنا لنجعل من الإرسالية مؤسسة محترمة ومفيدة في خدماتها الاجتماعية فقط، ولكن لنقيم كنيسة السيد المسيح في الجزيرة العربية حتى ولو عن طريق الخدمة الطبيةَ»(٩).

ويعتقد المبشرون بأن المستشفيات لا تنفصل عن الكنيسة وليست أهم منها، بل يجب أن تكون امتداداً لها. والمبشرون البروتستانتيون سعوا لاستخدام الوسائل الطبية لكسب غير المسيحيين. والنقطة الأساسية في الجدال هي أن أطباء الإرسالية يعتقدون بأنهم يؤدون واجبهم الديني عن طريق الخدمات الطبية، لأن هذا النوع من النشاط هو جزء من الخلق المسيحي واقتداء بسنة المسيح كشافٍ للأمراض، ويعتقد ف.بارني - (F. Barny) بأن المدخل الطبي في شبه الجزيرة العربية كان هو العمل الوحيد الممكن للوصول إلى الناس والتأثير فيهم(١٠).

ويذكر الدكتور س.ت. تومس - (S.T. Thoms) بأن «طموحهم كان، إضافة إلى شفاء أجساد المرضى العرب إعطاؤهم شيئاً أفضل لحاجاتهم الروحية بإخبارهم عن الطبيب الأعظم»(١١).

والدكتور تومس يربط هنا بين الخدمة الطبية والخدمة الدينية، وهو يعبّر بصراحة عن رأي المبشرين في الإسلام عندما يقول «إنه يستطيع أن يقدم للمسلمين شيئاً أفضل لحاجاتهم الروحية وقد عبّر الدكتور (هاريسون) عن ذلك بقوله: «إننا نأمل أن يكون المستشفى المزدحم والقذر والسعيد وسيلة أفضل لنشر الانجيل من مستشفى نظيف وخال من الناس»(١٢).

والدكتور هاريسون يتفق مع الدكتور (تومس) من أن المستشفى يجب أن يكون مكاناً للتبشير بالانجيل. والشيء الذي كان يقلق المبشرين هو

أن بعض أطباء الإرسالية كانوا يعطون العلاج الطبي أهمية أكبر والذي من شأنه أن يؤدي إلى صراع بين الكنيسة والمستشفى، وهذا حتماً سيؤثر في العمل التبشيري بأكمله.

وقد تحول هذا الجدل إلى حقيقة على يدي أحد أطباء الإرسالية في السنة الأولى من بدء نشاطهم في البصرة. ويمكن اعتبار عام ١٨٩٢ بداية النشاط الطبي الحديث على يد الإرسالية في البصرة ولكن هذه البداية كانت مخيبة للآمال، والسبب ليس من رد فعل المواطنين بل من أول طبيب للإرسالية يبدأ العمل في هذه المنطقة وهو الدكتور ريجز (Dr. Rggs) الذي أرسله مجلس أمناء الإرسالية في الولايات المتحدة في كانون الثاني ١٨٩٢ إلى البصرة.

لقد وصف هذا الطبيب من قبل صموئيل زويمر بأنه يحمل شهادات تثبت كفاءته كطبيب وأنه كان عضواً في الكنيسة التبشيرية. وبعد وصوله بفترة قصيرة أنهت الإرسالية خدمته وعاد إلى أمريكا، ولم يكن هناك أية علاقة بين فصله من العمل ومسلكه كطبيب. فقد كان على درجة عالية من الكفاءة ولكن الفصل كان بسبب موقفه الديني وبخاصة عدم إيمانه بألوهية المسيح، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى إعادته إلى البلاد (بلاده) وقد عرض ماسون وبارني - (Mason and Barny) للمشكلة على النحو التالي:

«لقد ظهر أن آراءه المذهبية حول بعض الموضوعات الرئيسة مثل ألوهية المسيح وغيرها من أمور الإيمان لم تكن تتفق مع آراء المسيحيين الإنجيليين، كما أنه لم يكن على وفاق مع زملائه في العمل بخصوص أمور أخرى» (١٣).

أما صموئيل (زويمر) المنظّر والقائد الأساس للإرسالية فقد عرض إلى

الشك في عقيدته الدينية بشيء من التحديد حيث قال: «وبعد وصوله (Dr. Riggs) إلى ميدان العمل بقليل أعلن عدم إيمانه بألوهية المسيح»[١٤].

ولسوء الحظ فإننا لا نعرف الكثير عن خلفية الدكتور ريجز – (Dr. Riggs) إذ لم يقم أحد بتحري ماضيه في العمل أو معتقداته أو شخصيته. وما من شك أنه كان مصدراً لخيبة أمل الإرسالية لأن الكتّاب الثلاثة الذين أتوا على ذكره وهم – زويمر – وماسون – وبارني لم يذكروا عنه سوى القليل، ويرجع ذلك إلى شعور الإرسالية بالضيق لسوء اختيارها، وعدم رغبتها بتشجيع غيره من الأطباء على تبني مثل هذا السلوك، وكانوا يرغبون في إغلاق هذا الفصل المؤسف من تاريخ الإرسالية. فالكتّاب الثلاثة يعبّرون عن اعجابهم الشخصي به ويذكرون الشهادات والكفاءة كطبيب وكرجل ذي صفات جذابة وشخصية فوق مستوى الشبهات ومهارة طبية عالية وفوق هذا كله إيمانه برسالته التبشيرية[١٥].

إضافة إلى ذلك فإن التقرير الوحيد الذي كتبه الدكتور ريجز يشهد على مقدرته وعلمه وروحه التعاونية، كما أن التقرير يشير أيضاً إلى شعبيته، فقد بلغ عدد مرضاه ٩٨٠ مريضاً خلال المدة التي قضاها في العمل وهي ستة أشهر فقط لم يحدث بينهم سوى ثلاث حالات وفاة[١٦].

وقد أدى به حبه للاستطلاع أن يحاول التعرف إلى دين المرضى الذين كان يفترض أن يعمل على تنصيرهم. وقد حصل كاتب هذا البحث على تقرير كتبه مجلس الإرسالية في الولايات المتحدة يذكر فيه بأنهم قد تسلموا رسالة من الدكتور ريجز يذكر فيها بأنه ينوي أن يتخلى عن نشاطه التبشيري لأنه لا يؤمن بألوهية المسيح وأن المجلس قد عيَّن ثلاثة من الرؤساء من بينهم الدكتور لانسنج لمعالجة الموضوع والتحقيق فيه[١٧].

الأوضاع الصحية في المنطقة أثناء بدء الإرسالية لنشاطاتها:

كانت الأوضاع الصحية في المنطقة تدعو إلى اليأس وكان الجدري والحصبة والسعال الديكي والتراخوما والسل والأمراض المعوية والتناسلية والملاريا من الأمراض الشائعة. ولعلّ الموقع الجغرافي من العوامل المهمة – فالملاريا كانت شائعة في البصرة والبحرين وعُمان بسبب وجود البعوض الذي كان يكثر في المستنقعات. أما الكوليرا والطاعون فكانا نادرين ومع ذلك فقد كانا ينتشران أحياناً ويقضيان على أعداد كبيرة من السكان. وقد كانت بعض الأمراض تدخل المنطقة من الهند وشرق إفريقيا نظراً للعلاقة التجارية معهما.

أما العمى وتشوهات الجسم فكانت شائعة بسبب مرض الجدري والذي كان يقتل كثيراً من الأطفال أحياناً. وقد كانت حالات مرض السل تظهر في المناطق الساحلية. أما مرض الحارش فقد كان معروفاً في المناطق الداخلية، لكن السرطان والنوبات القلبية فلم تكن معروفة(١٨). ربما نوع الغذاء والراحة النفسية لعبا دوراً كبيراً في منعها.

أما الانفلونزا فكانت شائعة في أشهر الشتاء، كذلك أمراض الحصى في الكليتين كانت منتشرة أيضاً، وإضافة إلى هذه الأمراض الرئيسة كانت هناك أخطار الوضع والولادة والأمراض الناشئة عن سوء الشروط الصحية والتي كانت تلعب دوراً كبيراً في نسبة الوفاة الغالبة بين الأطفال، وكان العلاج الطبي المعروف في الخليج العربي في ذلك الوقت عندما بدأت الإرسالية الأمريكية العربية عملها يعتمد على ما يعرف بين الأهالي «بالطب الشعبي» وأحياناً بالطب العربي.

وهذا النوع من العلاج هو مزيج من الطب الجسدي والنفسي»(١٩).

أما العلاج الجسدي فكان يعتمد على مزيج من الأدوية تؤخذ من

الأعشاب الصحراوية. وعندما كان أحد أفراد هذا المجتمع يصاب بالمرض لم يكن يلجأ إلى الراحة والعلاج منذ بداية المرض، بل كان يستمر في عمله كالمعتاد إلى أن يصبح عاجزاً عن العمل تماماً – وهكذا يصبح المرض في حالة متقدمة، ربما تكون عائلة المريض سبباً في ذلك، لأنها لم تكن تدرك أن مرضاً بسيطاً يمكن أن يتحول إلى مرض خطير في المستقبل القريب. هذا إضافة إلى أنها يمكن أن تكون بحاجة إلى جهده المتواصل نظراً للظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في المنطقة آنذاك. وفي ذلك الوقت لم يكن هناك تأمين صحي أو اجتماعي لمساعدة الناس. لقد كان المريض يستعمل الدواء المعدّ بشكل رئيس من الأعشاب وأوراق الأشجار، حيث كانت هذه الأعشاب تمزج مع بعضها عادة بطريقة تختلف من شخص إلى آخر حسب التقاليد المعروفة والمتعارف عليها، وحسب الخبرة في إعداد هذا النوع من الدواء، ومن ثم يُعطى العلاج للمريض مرات عدة لأيام عدة، وفي الوقت ذاته لم يكن هناك اهتمام بالنظافة سواء في تحضير الدواء، أو في نظافة المريض، نفسه أو نظافة ملابسه، وحتى الطبيب الشعبي نفسه لم يكن نظيفاً، ذلك كله كان بدون شك يؤدي إلى تفاقم المرض، أو توليد أمراض أخرى مما يهدد حياة المريض بالخطر. وفي حالة عدم تحسن صحته نتيجة لتعاطي الدواء كانوا يغيرون العلاج مرات عدة أي يخضعوا جسمه للتجارب إلى أن يجدوا علاجاً يعطي نتائج أفضل. ولم يكونوا يدركون طبعاً أن هذا يضر المريض نظراً لجهلهم، ولهذا لم يكن لهذا النوع من العلاج نتائج إيجابية إلاّ نادراً. وما من شك أن بعض المرضى كانوا يشفون أحياناً من مرضهم ولكن هذه الحالات كانت نادرة، وقد ثبت في عصرنا الحاضر أن العلاج بالأعشاب مفيد، ولكن الوصفات التي كانت تستعمل في تلك الأيام كانت ملوثة وتحتوي مزيجاً من عناصر مختلفة

كانت ربما تتفاعل ضد بعضها بعضاً وتحدث مضاعفات للمريض.

أما العلاج بالكي فقد كان شائعاً كذلك، ويستخدم لعلاج كثير من أنواع الورم والحالات المستعصية والتي يصعب تشخيصها. وكان الأهالي يعتقدون أن نجاح الكي مضمون ولكن هذا يعتمد بشكل أساس على مهارة المعالج، فيكوى الجسم بقطعة من الحديد المحمى في نار شديدة الحرارة، وكانت الفكرة من وراء الكي للقضاء على مصدر المرض بسرعة، لكن ذلك يترك وراءه أحياناً بثرة متقيحة قد يطول علاجها وربما تسبب متاعب جديدة ولمدة من الزمن للمريض. في الحقيقة لقد كان أثر الصدمة بالكي وحده كافياً لشفاء بعض المرضى.

وقد كانت طريقة العلاج بالكي مخيفة، فقد كان أقارب المريض وأصدقاؤه يمسكون به بقوة من شدة الألم الذي يسببه الكي، وكان المريض في آخر الأمر يترك بين يدي اللّه، وقد كانت نظرة الناس بأن الشفاء من عند اللّه لأنهم بحكم شعورهم الديني يجدون تعليلاً دينياً لكل شيء في حياتهم.

وكان للعلاج النفسي الذي يعتمد على القراءة الدينية دور كبير في حياة الناس. وكانوا يشعرون بأن لهذا النوع من العلاج أثراً بالغاً في الشفاء. ولم يكن هناك فرق في نظرهم بين العلاج الجسدي والروحي، وكثيراً ما كانوا يقومون بالاثنين معاً. والعلاج النفسي على نوعين، الأول ديني، والثاني خرافي. وأنواع العلاج الديني كثيرة ومتنوعة – وأهمها استخدام سور من القرآن والأحاديث النبوية وسيلة للشفاء، وكان رجل الدين المحلي والذي يدعى «الملا» هو الطبيب إضافة إلى وظيفته الأساسية وهي التعليم وكان يُستدعى ليقرأ آيات من القرآن على المريض، وكان الناس يؤمنون بأن هذا العمل الدال على التقوى سيأتي

المرغوب في صحة المريض. وعلى الرغم من كل هذا فقد كانوا يؤمنون أيضاً بأنه لولا عناية اللّه لما شفي أحد من مرضه. وكان يدعم قدرة القرآن على الشفاء شيئان أولهما: الشافي وهو عادة من رجال الدين، وثانيهما المريض نفسه واعتقاداته. والنوع الثاني من الطب النفسي يعتمد على الخرافات – وأكثر هذه الأنواع شيوعاً هو «الزار» . والزار في الأصل عادة افريقية جلبها العرب عندما كانوا يتعاملون مع الافريقيين في النشاط التجاري قبل أن تخضع بلادهم لنفوذ الاستعمار الغربي. وكان يشرف على طقوس الزار رجل أو امرأة ممن يمتهنون هذا العمل ويسعون لطرد الأرواح الشريرة من جسد المريض.

وكانت العملية تبدأ بأن تدعو عائلة المريض في يوم معين لحضور حفلة الزار، ومعظم أقارب المريض وأصدقائه في العادة يحضرون مثل هذه المناسبة، ويحيطون بالمريض ويبدأ العرّاف العمل بتغطية المريض بملاءة داكنة في حين يصاحب هذه الطقوس رقصات خاصة ودقات معينة صاخبة على الدفوف واطلاق البخور، ويبدأ العرّاف بتلاوة بعض العبارات الدينية وتهديد الأرواح الشريرة بضرب المريض بالعصا مرات عدة، وبعد فترة قصيرة من بدء هذه الطقوس تسأل العرّافة أو العرّاف عن طلبات الأرواح الشريرة مقابل توقف الضرب إذا أجابت بسرعة، عندها يقول المريض ان الأرواح تطلب أشياء معينة كالطعام أو الملابس أو زيارة أماكن خاصة فإذا رفضت الأرواح الكلام وصمت المريض فإن العرّاف أو العرّافة يقرر ما إذا كان المريض قد شفي أو أنه ما زال بحاجة إلى جلسة زار أخرى أو أن حالته صعبة، وفي هذه الحالة ليس أمامهم إلاّ تسليم أمره للّه. لقد كانت الأمراض إذاً آنذاك تعالج بالطب الشعبي[٢٠].

ومعظم هذه العلاجات لم تكن تعود بأية فائدة، لكن المجتمع كان عاجزاً عن الإتيان بوسائل أفضل للعلاج. هذه صورة عن الحالة الصحية

التي كانت تعيشها منطقة الخليج العربي عندما بدأت الإرسالية نشاطاتها.

منجزات الإرسالية في ميدان الطب

أولاً – الخدمات الطبية في البصرة:

يعتبر عام ١٨٩١ بداية لقيام الخدمة الطبية في البصرة، وبالرغم من حاجة السكان الماسة لهذه الخدمة، فإنّ الإرسالية الأمريكية العربية واجهت صعوبات عدة في هذه المنطقة، وأهم هذه الصعوبات، جهل الناس في أهمية نشاطات الإرسالية الطبية خاصة في مراحلها الأولى. لقد كان الناس يترددون في قبول خدماتها في البداية ولكنهم مع ذلك أصبحوا أكثر تقبلاً لها فيما بعد ثم تطورت العلاقة إلى التعاون إلى درجة التسابق للاستفادة من الخدمة الطبية التي وفرتها الإرسالية لهم. وأدت التجربة المحزنة مع الدكتور (ريجز) والتي سبق الحديث عنها إلى أن تحرم الإرسالية من طبيب ممتاز في مرحلة مهمة من عملها، ويبقي النشاط الطبي يعتمد لمدة عام كامل على هيئة طبية غير مؤهلة وغير محترفة مهنة الطب تقوم بعلاج الأمراض البسيطة حتى تحافظ على استمرارية هذا النوع من النشاط ريثما تتمكن الإرسالية من ترتيب أوضاعها في هذا المجال وتوفر الأطباء القادرين على تحمل المسؤولية المزدوجة الإنسانية والدينية.

وعادت الخدمة الطبية بالفعل إلى طبيعتها عندما التحق الدكتور ج.ت ويكوف (J.T. Wyckoff) في عام ١٨٩٤ كعضو في الإرسالية في البصرة. وقام الطبيب المذكور بعلاج المرضى وفي الوقت نفسه كان يتعلم اللغة العربية ويتعرف إلى أحوال الناس.

وفي منتصف عام ١٨٩٤ تقريباً ازداد حجم العمل بشكل ملحوظ عندما

انتشرت الحمى إضافة إلى الأمراض الأخرى التي اعتادت عليها المنطقة. وبحلول عام ١٨٩٥ أصبح النشاط العلاجي المطلوب فوق طاقة طبيب واحد للقيام به مما أدى إلى انضمام الدكتور تومس (Thoms) إلى الهيئة الطبية التابعة للإرسالية في البصرة.

وقد واجهت الإرسالية صعوبات جمّة منها جهلها بأوضاع الناس الاجتماعية والمشكلة التي ترتبت على رحيل الدكتور (ريجز) ثم عدم وضوح الهدف التبشيري الذي تحمله نشاطات الإرسالية، لذا كان عدد المرضى الذين يترددون على عيادات الإرسالية ضئيلاً في السنوات الأولى والجدول التالي يوضح ذلك :

جدول رقم ٣ : ١

الديانة	عدد الحالات	الجنس	عدد الحالات	نوع المعالجة	عدد الحالات	نتيجة العلاج	العدد
مسلمون	١٢	رجال	١٤٦	أمراض باطنية	١٣٥	شفاء	١٩٢
مسيحيون	٨٧	نساء	٣٧	أمراض جراحة	٣٣	تحسن	٣٠
يهود	٢٤	أطفال	٤٢	أمراض عيون	٣٤	موت	٣
صابئة	٢			أمراض أذن	٣		
				مـوت	١		
	---		---	مجاري بولية	٣		---
				ورم	١		
				أمراض أخرى	١٥		
المجموع	٢٢٥		٢٢٥		٢٢٥		٢٢٥

Source: Neglected, Arabia, 1895, P.7

يطلق اسم الصابئة على فرقتين دينيتين مختلفتين:

١ – المندائيون وهو مذهب يهودي – مسيحي، وهم كتابيون من أتباع يوحنا المعمدان.

٢ – صابئة حران: فئة من هؤلاء من الوثنيين.

وإذا تأملنا هذا الجدول نجد أن عدد الحالات المعالجة ضئيلة في مدينة يبلغ تعداد سكانها حوالي نصف مليون نسمة ولكن لذلك أسباب واضحة:

أولاً: أن الطب الشعبي أو الأهلي الذي اعتاد عليه الناس لفترة طويلة من الزمن أصبح جزءاً من حياتهم وذلك يعني أن القائمين على إحلال الطب الحديث محله عليهم أن يكافحوا طويلاً من أجل أن يعي المواطن أهمية هذا النوع من العلاج ويقبل عليه. لقد كان الطب الشعبي أو الأهلي يتصل مباشرة بعادات وتقاليد ومعتقدات الناس، وأيضاً الطب الحديث الذي جاء به المبشرون كان يتصل بالدين ويستخدم وسيلة للتبشير.

ثانياً: الأمر الثاني يتعلق بالوضع السياسي، فقد كانت البصرة كجزء من العراق تحت الحكم العثماني، هذا الحكم كان على نزاع شديد مع السلطات البريطانية في نهاية القرن التاسع عشر أي في الوقت الذي بدأ فيه المبشرون النشاط في هذه المنطقة.

وللبصرة أهمية استراتيجية كونها تقع على رأس الخليج العربي الذي كان آنذاك تحت النفوذ البريطاني، يضاف إلى ذلك أن السلطات العثمانية كان لها نشاط طبي منافس للطب التبشيري.

ثالثاً: في ظل الأوضاع السياسية في تلك الفترة كانت ردة فعل الناس تجاه كل ما هو غربي تشكل عائقاً أمام المبشرين، حيث كان الناس يعتبرون أي وجود غربي مهما كانت هويته يحمل هدفاً سياسياً خاصة في فترة كانت القوى الدولية الاستعمارية تتجه نحو حرب عالمية أولى في بداية القرن العشرين.

رابعاً: الهدف التبشيري للإرسالية والرامي إلى تحويل الناس عن دينهم، أثار حفيظة زعماء الدين المحليين المسلمين ضد هذا النوع من النشاط حيث بدأوا يحذرون الناس من خطورة النشاط التبشيري في بلادهم.

خامساً: أيضاً من الأسباب الجهل العام الذي كان يعيشه الناس حيث

إن إيمانهم بالخرافات كان يقف عائقاً في وجه النشاط الطبي الحديث.

لهذه الأسباب تردد الناس في الاقبال على نشاطات الإرسالية ولم يأتِ للعلاج في عياداتها إلاّ أعداد قليلة في الفترة الأولى، لكن هذه الأسباب لم تكن توقف نشاط الإرسالية حيث إن المبشرين كانوا مصممين على تأدية رسالتهم الدينية.

في الحقيقة كان المبشرون يتميزون بالصبر والعمل ويبحثون عن الحلول لمشكلاتهم ولا يستسلمون بسهولة، وكانت هذه طريقتهم في البصرة وفي غيرها من المناطق فيما بعد.

لقد اعتبروا الأعداد المحدودة التي كانت تتردد للعلاج في السنوات الأولى من عملهم أمراً طبيعياً لا بل نجاحاً وتوقعوا لها أن تزداد مع الوقت، وقد تزايدت فعلاً رغم العقبات التي كانت تحول في أحيان كثيرة دون النجاح المطلوب في هذا الميدان.

وفي السنوات القليلة التالية أصبح للرعاية الطبية مكانة جيدة، وأخذ الناس ينظرون إلى هذه الرعاية على أنها خدمة إنسانية في حين كانت الكنيسة تنظر إليها على أنها وسيلة لغاية دينية، وقد أدى هذا النوع من سوء الفهم المتبادل إلى حمل الكنيسة على الاعتقاد بأن اقتناع الناس بالمعالجة الطبية هو اقتناع بصدق الرسالة المسيحية، ولهذا فإن معظم المبشرين اعتبروا قبول الناس لهذا النوع من الخدمة خطوة أولى مهمة نحو التبشير بالانجيل، ودليلاً على تأثر الناس بالمسيحية! والواقع أن الازدياد في عدد المرضى صحبه ازدياد في بيع الكتب الدينية أيضاً والذي كان سببه حاجة الناس للعلاج في وقت لم يكن هناك بديل - وسيتضح هذا في فصل قادم من هذا البحث - ولم يدرك المبشرون ذلك الأمر إلاّ بعد مضي وقت طويل عندما قاموا بعملية تقويم لعملهم في تلك المنطقة على مدى السنين التي أمضوها حيث تبين لهم أن عدد من تأثر أو اعتنق المسيحية من المسلمين كان قليلاً جداً.

وكانت الخدمة الطبية عادية ومنتظمة في عامي ١٨٩٣ و١٨٩٤. أما عام ١٨٩٥ فقد مرت الإرسالية بمحنة قاسية عندما انتشر مرض الطاعون بشكل مفاجيء في منطقة البصرة، وتبين أن الموقف فوق طاقة الإرسالية[٢١].

وقد أدى هذا الوباء إلى إضعاف ثقة الأهالي بخدمات الإرسالية الطبية نظراً لعدم تمكنها من السيطرة عليه رغم جهودها الكبيرة في مواجهته، هذه المحنة جعلت الإرسالية تفكر جدياً في بناء مستشفى في هذه المنطقة لإرساء دعائم النشاط الطبي على قواعد ثابتة ولتتمكن من مواجهة أمثال هذه الأوبئة في المستقبل.

والواقع أن الأمراض المعدية تجد أرضاً خصبة في هذه المناطق لعدم توفر الشروط الصحية والرعاية الطبية الحديثة. وفي عام ١٨٩٦ عادت الخدمات الصحية إلى طبيعتها وازداد عدد المرضى إذا قورن ذلك بالأعوام السابقة. وفي تلك السنة انضم إلى هيئة الإرسالية الطبية طبيب جديد هو الدكتور ورال.

ومضى العام التالي بدون حدوث شيء مهم. ولقيت الخدمة الطبية في هذه المنطقة اهتمام العاملين في الإرسالية، ولوحظ زيادة عدد المرضى الذين كانوا يحصلون على العلاج في مستوصف الإرسالية والجدول التالي يوضح هذه الزيادة:

جدول رقم ٣ : ٢

الديانة	عدد الحالات	الجنس	عدد الحالات
مسلمون	٧٦٠	رجال	٤٦٤
مسيحيون	٢٠٠	نساء	٣٧٦
يهود	٤٠	أطفال	١٦٠
صابئة	٢٥		
المجموع	١٠٢٥		١٠٢٥

المصدر: Dr. Worral L, Neglected Arabia, 1897, pp.11 - 12.

ويبدو أن عدد المراجعات من النساء قد فاقت عدد الرجال، وهذه ظاهرة تستحق التأمل، وتشير إلى تحول واضح في نظرة المجتمع إلى الطب الحديث، وتدل كذلك على نمو في الوعي. إن موقع البصرة كميناء على رأس الخليج العربي واتصال أهلها بالخارج جعلهم يتمتعون بالمرونة والتنور. ولم يمضِ وقت طويل حتى حازت أساليب الرعاية الطبية الحديثة قبول الناس ورضاهم.

وشهد عام ١٨٩٨ زيادة في عدد المرضى عن العام الذي سبقه، حيث بلغ ١١٣٧ مريضاً، وفي هذا الوقت أصبح للإرسالية نشاط طبي جيد ومنتظم فيما عدا ظهور عدة إصابات في أمراض العيون والتي كانت تكثر في فصل الصيف بسبب شدة الحرارة وتقل في فصل الشتاء[٢٢].

وشهد العام التالي ١٨٩٩ حدثين مهمين في ميدان الطب لم يسبق للإرسالية أن واجهتهما في المنطقة. الأول: هو إجراء العمليات الجراحية لأول مرة. والثاني: انتشار وباء الكوليرا، وقد بدأت العمليات الجراحية بعد سبع سنوات من بدء الخدمة الطبية في المحطة لأن العمليات تحتاج إلى أدوات خاصة وإلى أطباء مهرة إضافة إلى موافقة وتأييد الأهالي، وكل هذه الأمور بحاجة إلى وقت.

وقد قام الدكتور (ورال) بإجراء عمليات عدة في ذلك العام. لقد كان يجري هذه العمليات في إحدى غرف الإرسالية، لأن مستشفى البصرة لم يكن قد بني حتى ذلك الوقت. والسؤال المطروح هو لماذا لم تكن تجرى مثل هذه العمليات في العيادة؟ وبالرغم من أن أحداً لم يقدم تعليلاً لهذا الأمر إلاّ أنه من المحتمل أن يكون السبب قلة الأماكن أو أنه أراد أن يجريها بعيداً عن الازدحام. وأثناء انتشار وباء الكوليرا في البصرة في ذلك العام فرض الحجر الصحي بين البصرة والعاصمة بغداد، ومما لا شك فيه أن هذا الإجراء كان مضايقاً للمسافرين بين المدينتين لكنه

إجراء لا بد منه في مثل هذه الظروف.

وبعد انتهاء هذا الوباء ظهرت حالات قليلة منه في مدينة العمارة التي أصبحت محطة فرعية للإرسالية فيما بعد، فذهب الدكتور (ورال) إلى هناك في حين بقي الدكتور (تومس) للإشراف على عيادة البصرة[٢٣].

وظن الدكتور تومس أن صداقة الحاكم العثماني في المدينة ستؤمن الحماية للإرسالية، وقد عبر عن ذلك بقوله: «وبعد أن أسعدني الحظ بالحصول على صداقة حاكم المقاطعة أو الولاية أصبح جميع الموظفين الأتراك ممن كان لي اتصال معهم يعاملوني معاملة طيبة»[٢٤].

وكان المبشرون يولون صداقتهم مع حكام جميع المناطق التي يعملون فيها أهمية خاصة وبدأوا بالحاكم التركي في البصرة ثم أخذوا يسعون لإرضاء شيوخ منطقة الخليج العربي. وكان هذا أسلوباً مكنهم من ممارسة نشاطهم بدون تدخل من أحد، كما ساعدهم أيضاً في تنقلاتهم من مكان لآخر. وافتتاح محطة فرعية في العمارة على نهر دجلة، مهد الطريق أمام عملياتهم القادمة في محطاتهم الأخرى على طول ساحل الخليج العربي، ولكن هذا الأسلوب لم يفلح في اقناع عبد العزيز بن سعود في شبه الجزيرة العربية بالسماح لهم بالعمل في بلاده وقد أعلم الدكتور هرزون والدكتور ديم (Dame) بأنه سيسمح لهم بالمكوث في السعودية بعض الوقت، وعليهم أن يعودوا بعدها إلى البحرين على أن يطلب منهم في حين الحاجة إليهم العودة من جديد لمعالجة عائلته وغيرهم من السكان المرضى.

وتعتبر السنوات ١٨٩٥ – ١٩٠٠ سنوات النمو في نشاط الإرسالية، حيث قام المبشرون برحلات عدة على طول ساحل الخليج العربي، وتوغلوا في الأجزاء الداخلية للبلاد بالقدر الذي تسمح به الحكومتان التركية والبريطانية، وكانت هذه الحملات الاستكشافية التي قام بها

المبشرون هي الطريق الوحيد للتعرف إلى ميدان العمل بطريقة مباشرة والتوسع فيه تدريجياً. وهكذا تم إنشاء العديد من المحطات الرئيسة والفرعية في المنطقة.

لقد استمرت هذه النشاطات مدة طويلة وساعدت المرضى مساعدة لا تنكر، وجلبت هذه الرحلات الشهرة للدكتور (هرزون) والدكتور (ديم) والدكتور (ستورم) والدكتور (تومس)، وسنأتي على هذا الأمر بالتفصيل فيما بعد. وفي عام ١٩٠٠ توقفت النشاطات الطبية بالبصرة بسبب انتقال الدكتور (تومس) إلى البحرين، وأصيبت المحطة بالصدمة لأن البصرة كانت قاعدة جميع الأعمال التبشيرية للإرسالية، وعدم الاهتمام بها كان يسبب للمبشرين إرباكاً وكثيراً من الضيق، ولكن الذي كان يعزيهم هو أن خسارتهم هنا ستكون ربحاً في مكان آخر لأن الدكتور (تومس) سيذهب للعمل في مكان مهم آخر يحتل مركزاً متوسطاً في الخليج العربي، والذي سيصبح فيما بعد قاعدة العمليات التبشيرية للإرسالية.

ولكن الإرسالية على أية حال اعتبرته أمراً خطيراً لأن النشاط الطبي الذي أقامته في البصرة كان ملائماً وكانت تتوقع نتائج إيجابية منه مستقبلاً [٢٥].

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن حول سبب نقل الدكتور (تومس) في حين أنه كان الطبيب الوحيد في البصرة، وفي وقت بلغت فيه الخدمة الطبية هناك حداً كبيراً من الاستقرار، ثم ماذا حدث للمرضى الذين كانوا يترددون على مستوصف الإرسالية للعلاج؟ قد تكون الآتية ببعض الأسباب المحتملة:

أولاً: ربما شعرت الإرسالية بأن نشاطها الطبي في البصرة لم يكن له نتائج دينية مشجعة، لذا فضلت نقل هذا النشاط إلى منطقة أخرى.

ثانياً: لقد تبين للمبشرين من خلال بدء نشاطهم في البحرين أن النتائج الأولية أكثر تشجيعاً من البصرة، فإذا كانت البحرين والحالة هذه بحاجة إلى طبيب فيجب تلبية حاجتها أولاً نظراً لأنها ستكون محطتهم الدائمة لا بل قاعدة نشاطاتهم[٢٦].

ثالثاً: وهناك احتمال بأن الدكتور (تومس) لم يعد راغباً بالبقاء في البصرة أكثر من ذلك ويفضل الانتقال إلى منطقة أخرى.

رابعاً: ونظراً لأن الهدف الرئيس للإرسالية الأمريكية العربية منذ أن بدأ عملها على الساحل الشرقي للخليج العربي هو التوسع في نشاطها التبشيري في الأجزاء الداخلية من شبه الجزيرة العربية؛ فقد رأت أن تعطى الأولوية لهذه المناطق لتكون منطلقاً لداخل شبه الجزيرة.

خامساً: وربما يكون منع السلطات التركية أطباء الإرسالية من مزاولة مهنة الطب في المناطق التي تحت نفوذهم بدون الحصول على شهادة دبلوم تركية من تلك الأسباب التي دعت الدكتور (تومس) وبموافقة الإرسالية على ترك البصرة.

كل هذه الأسباب محتملة لنقل الدكتور (تومس) من البصرة إلى البحرين في وقت كانت البصرة في أمسّ الحاجة إلى مجهوداته لعدم قدرة الإرسالية على تعيين بديل له ولمدة تزيد على سنة كاملة.

والآثار المترتبة على هذا الرحيل المفاجيء أصابت المرضى قبل غيرهم. لقد كان المرضى وخاصة أولئك الذين كانوا يعانون من أمراض مزمنة بائسة جداً في تلك الفترة قد اعتادوا على العلاج الحديث وأصبح من العسير عليهم العودة إلى أساليب العلاج الشعبي المحلي. وبعد معاناة استمرت أكثر من عام وصل الدكتور ورال والدكتورة زوجته لافتتاح العيادة في عام ١٩٠٢.

لقد كان الاعتقاد بأن وقف العمل الطبي في محطة البصرة بشكل مؤقت أمر ضروري لافتتاح محطة جديدة في البحرين، ومن ثم استئناف العمل بها ثانية.

وعندما أُعيدت الخدمة الطبية إلى محطة البصرة عام ١٩٠٢ ظهرت الحاجة إليها بشكل واضح، إذ لم يكد المرضى يسمعون بإعادة النشاط الطبي حتى تقاطروا على عيادة الإرسالية، وقد تطلبت إعادة الخدمة الطبية إلى ما كانت عليه بعض الوقت، وظهرت الحاجة إلى بذل المزيد من الجهد ليصبح هذا النشاط منتظماً[٢٧].

وقد كتب الدكتور ورال (Worral) ، في تقريره الذي أوجز فيه نشاط عام ١٩٠٢ أنه أجرى عمليات عدة لإخراج الحصى من الكليتين، كما جاءه عدد من المرضى يشكون من الآلام في عظام الفك بسبب سوء علاج (طبيب) الأسنان المحلي الشعبي، وكثير من المرضى كانوا يشكون من أمراض العيون، وبلغ عدد المرضى الذين عولجوا في ذلك العام ٥٨٦٤ مريضاً[٢٨].

وبعد ذلك بعامين شعر أطباء الإرسالية في البصرة بأن الوقت قد حان للاستقرار طبياً حيث بدأوا يفكرون ببناء مستشفى. لقد واجهت خطتهم لهذا المشروع كثيراً من العقبات، بعضها بسبب السلطات التركية والبعض الآخر بسبب تكاليف المشروع. ولم توضع هذه الخطة موضع التنفيذ إلاّ في عام ١٩١٠. ومضى عام ١٩٠٣ بصورة طبيعية، ولكن عام ١٩٠٤ شهد انتشار وباء الكوليرا، والذي أودى بحياة الكثيرين من المواطنين. وبذلت الهيئة الطبية للإرسالية جهوداً كبيرة لمكافحة الوباء وفرضت السلطات التركية حجراً صحياً مشدداً على المدينة وتوقفت الحياة الطبيعية فيها. وفي النصف الثاني من تلك السنة افتتحت الدكتورة (ورال) عيادتها الخاصة للسيدات[٢٩].

واستمر العمل في عيادة السيدات في سنة ١٩٠٥ رغم غيابها حيث تولى عنها زوجها تقديم العلاج في تلك الفترة ولكن ليس بالمستوى نفسه من الفاعلية بسبب التقاليد المحلية التي تفضل أن تقوم طبيبة بمعالجة السيدات. وفي عام ١٩٠٦ أجرى الدكتور (ورال) عدداً من العمليات الجراحية للعيون وتكلل بعضها بالنجاح(٣٠).

في الحقيقة أن الدكتور (ورال) وزوجته، قدّموا خدمات جليلة لهذه المنطقة وعندما أصبح العمل فوق طاقتهم كان لابد من زيادة عدد أطباء الإرسالية في البصرة في سنة ١٩٠٧ للمساهمة في تقديم الخدمات الطبية اللازمة، وقد قام هذا الطبيب بتوسيع مجال الخدمة الطبية بالعمل بين رجال القبائل في شمال وشرق البصرة(٣١).

والحقيقة أن كل خطوة تبشيرية كانت تخضع لدراسة دقيقة. وعندما بدأ الدكتور (بنيت) بالعمل بين هذه القبائل كان له هدف يريد تحقيقه رغم الأعداد الكبيرة من المرضى في البصرة نفسها. وقد كان العمل بين القبائل مهماً لأن الإرسالية كانت تهدف إلى إقامة محطات فرعية في العمارة الواقعة إلى الشمال من البصرة وفي الكويت الواقعة في جنوبها.

وكان يحكم القبائل التي في شرق البصرة الشيخ (خزعل) وتدعى هذه المنطقة «عربستان». ومن الغريب أن الإرسالية لم تفتح محطة رئيسة أو فرعية هناك رغم علاقات المودة بين بعض قادة الإرسالية والشيخ (خزعل)، في الحقيقة لم يرد أي ذكر لهذه الفكرة في تقارير الإرسالية ولا في كتابات روادها وكل ما يذكرونه هو أن شيخ الكويت قابل الدكتور (بنيت) في قصر الشيخ (خزعل) وتوصلا إلى اتفاق للسماح للإرسالية بالعمل في الكويت كما سبق أن ذكرنا في فصل سابق.

والسبب الوحيد الذي منع الإرسالية من العمل في عربستان هو أن هدف الإرسالية الرئيس كان الخليج وشبه الجزيرة العربية، وكانت

الإرسالية على علم بالخلاف بين حاكم عربستان والسلطات الإيرانية التي كانت تدّعي أن عربستان جزء من أراضيها، ولهذا فإن أي نشاط للإرسالية هناك سيعرضها للنزاع مع إيران التي كانت تقع خارج مجال نشاطها. ومن المحتمل أن يكون قد خطر للدكتور (بنيت) أن إقامة علاقات طيبة مع حاكم عربستان عن طريق تقديم الخدمات الطبية في بلاده سيمكنه من الوصول إلى الكويت بسبب الصداقة القوية التي تربط بين الشيخ مبارك حاكم الكويت والشيخ (خزعل). وكانت خطته ناجحة وأدت إلى فتح محطة فرعية في العمارة ومحطة فرعية أخرى في الكويت.

وقد شهدت السنوات ١٩٠٨، ١٩٠٩، ١٩١٠، النجاح الذي حققه الدكتور (بنيت) بين قبائل شمال البصرة وشرقها[٣٢].

وقد زار الكويت عندما دعاه حاكمها لمعالجة عين ابنته، وقد نجح الدكتور (بنيت) في علاجها وعند ذلك طلب منه الشيخ أن يبقى في الكويت لمعالجة عائلته والمرضى من أبناء شعبه، ومنذ ذلك الحين أصبحت الكويت إحدى المحطات الفرعية للإرسالية ثم أصبحت واحدة من أهم محطاتها الرئيسة[٣٣].

وكانت سنة ١٩١٠ من السنوات المهمة في تاريخ الخدمة الطبية للإرسالية في البصرة، وفي كل محطاتها في شبه الجزيرة العربية. فقد كانت السنة التي وضع فيها الحجر الأساس لمستشفى الإرسالية الثاني، وهو مستشفى لانسنج التذكاري، وتم إنهاء البناء وتكرسه في السنة التالية ١٩١١ من الدكتور (ورال) وزوجته اللذين أرسيا الخدمة الطبية هناك على أسس ثابتة[٣٤]. وكان إنشاء مستشفى في ذلك الوقت يعني الكثير للإرسالية ولعملها التبشيري لأن ذلك كان يعني الاستقرار والنجاح في عملهم المؤقت، كما كان يعني أيضاً ازدياداً في مسؤولياتهم وفي عدد هيئتهم الطبية والذي يعني بشكل عام أن موقف الإرسالية كان جيداً، وإن التوسع

في أنشطتها كان ممكناً.

وبعد هذا الحدث المهم بدأت علاقة جديدة بين الإرسالية في ميدان العمل ومؤيديها في أمريكا، وقد تحولت هذه العلاقة الجديدة إلى برنامج على يدي حركة الطلاب المتطوعين في جامعة ميتشيغان للعمل الطبي والصناعي في البصرة. وقد قام الدكتور (زويمر) بتقديم عرض إلى حركة الطلاب المتطوعين والذي أدى إلى وضع برنامج يمكن هذه الحركة من القيام بعمل صحي على أسس مشابهة للأعمال التي تقوم بها غيرها من الجامعات الكبيرة. وكانت الخطة ترمي في بدايتها إلى دعم عمل الدكتور بنيت في مستشفى لانسنج التذكاري في البصرة ولكن الخطة تحولت أخيراً إلى برنامج أصبح اتحاد الطلبة المسيحيين بموجبه مسؤولاً عن دعم ممثليه وعين الدكتور هول ج. فان فلاك (Hall G. Van Vlack) للعمل الطبي والسيد شو (Shaw) والسيد (Haynes) للعمل الصناعي والتعليمي، وقد جرى أيضاً تعيين هؤلاء الرجال إضافة إلى السيدة (فان فلاك) والسيدة (شو) من مجلس أمناء الإرسالية كإجراء شكلي.

وكان الأصل أن يتمكن البرنامج من السيطرة على الميدان كله من الناحية الطبية حيث كان البرنامج مدروساً جيداً مما بشّر بالنمو العاجل.

ومع ذلك فإنّ الجزء الإنشائي من البرنامج تعثر ثم أصيب بالفشل. يقول ماسون وبارني بهذا الصدد:

«لقد كتب السيد شو في ذلك الحين معرباً عن رأيه بأن البرنامج قد بدأ قبل الوقت المناسب بخمس سنوات، وقد ذكر من بين الأسباب التي يمكن أن تعتبر مسؤولة عن فشل برنامجهم الأوضاع السياسية المضطربة بالمنطقة والأوضاع المختلفة للبلاد. يُضاف إلى ذلك أن اتحاد الطلبة

المسيحيين كان يجد صعوبة في مواجهة الأعباء المالية لمشروعاته!![٣٥].

ونتيجة لذلك فقد فشل البرنامج في تحقيق أهدافه ولكن العمل بشكل عام وبخاصة الخدمة الطبية استمرت كالمعتاد. ومما لا شك فيه أن مستشفى الإرسالية في البصرة بهيئته الطبية قد لعب دوراً مهماً في مساعدة الأهالي في هذه المنطقة، خاصة في الفترات التي كانت الأوبئة مثل الكوليرا تهاجم مدينتهم. وإضافة إلى هذا الدور المهم فقد قام المبشرون الطبيون بتوعية الناس بأساليب الوقاية من الأمراض وكيفية الحد من انتشارها، إضافة إلى الأمراض المتعارف عليها هناك مرض الجذام الذي كان منتشراً في البصرة. وفي عام ١٩١٢ بدأت الإرسالية بتخصيص جزء من خدماتها الطبية للعناية بمرض الجذام، وقد كان عدد هؤلاء كبيراً نسبياً وأطباء الإرسالية واجهوا صعوبة في محاولة عزل الأصحاء عن المرضى لمنع العدوى إلاّ أن عامة الناس نتيجة الجهل لم يكونوا يأبهون بالمرض إلى أن يستفحل ويصبح علاجه عسيراً. وكان بعض المجذومين يختلطون بالناس ولسنوات عديدة دون أن يشتبه بأن لذلك خطراً يؤدي إلى انتشار هذا الوباء[٣٦].

كما أن مرض الجذام من الأمراض الشائعة وبشكل أخطر في مسقط أيضاً. ومضت نشاطات الإرسالية في عام ١٩١٣ بدون مشاكل كبيرة. وكانت هذه الأوضاع قائمة في وقت تستعد فيه القوى الدولية للحرب العالمية الأولى، والبصرة من ضمن المناطق التي تقع تحت النفوذ العثماني، وبما أن الامبراطورية العثمانية دخلت هذه الحرب فإن البصرة كانت مسرحاً لعمليات عسكرية مما نتج عنها صعوبات واجهت العمل التبشيري.

وفي بداية سنة ١٩١٤ شعر الأهالي بأن الخدمة الطبية ستتوقف بسبب ازدياد المتاعب السياسية، ولكن ذلك لم يحدث. وقد لعبت الهيئة الطبية للإرسالية أثناء الحرب دوراً بارزاً في معالجة الجنود البريطانيين في البصرة، بسبب العلاقات الجيدة التي كانت تربطهم بالقنصلية البريطانية هناك، وسنأتي على هذه العلاقات بالتفصيل في فصل النشاط السياسي للمبشرين.

لقد عقب القس (لويس سكدر) على اهتمام أطباء الإرسالية بالجيش البريطاني أثناء الحرب بقوله:

«مهما يكن من أمر، لابد أن تؤخذ ظروف الحرب في الحسبان. إن الجيش أي جيش لا يرجو الحصول على الخدمة الطبية ولكنه يطلبها. إنه لا يرجو أن تخصص له الغرف والأسرة في المستشفيات بل يصادرها. إن هذه هي ظروف الحرب ولا قدرة للمدنيين على مقاومتها»[٣٧].

وازدياد عدد المرضى في ذلك العام يؤكد أن العمل كان يسير سيراً طبيعياً، حيث بلغت الحالات التي عُولجت ٢٠٠١٣ حالة، ويدل هذا الازدياد أيضاً على أن نمو الوعي الصحي عند الناس كان يزداد. وفي سنوات الحرب التالية توقفت الخدمات الطبية بسبب انهيار الامبراطورية العثمانية، ولكن نشاط الإرسالية عاد إلى طبيعته عند نهاية الحرب في عام ١٩١٨. وعندما بدأت عمليات الإرسالية في البحرين وغيرها من مناطق الخليج العربي لم تعد محطة البصرة تلقى الاهتمام السابق نفسه لأن المبشرين كانوا يتوغلون نحو هدفهم وهو منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة، وبدأت أهمية البصرة الاستراتيجية تتضاءل: أضف إلى ذلك ما لاقوه من مصاعب هناك والتي أجبرتهم على التحول التدريجي عنها.

ثانياً: الخدمات الطبية للإرسالية في البحرين:

تعتبر البحرين ثانية المحطات المهمة للإرسالية العربية، وأصبحت قاعدة لجميع أنشطتها التبشيرية في منطقة الخليج العربي. ومنذ عام ١٨٩٢ نمت الخدمات الطبية في هذه الجزيرة نمواً سريعاً ، كماً ونوعاً، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة:

أولها: أن الإرسالية اكتسبت خبرة لا بأس بها من تجربتها في البصرة والتي مكّنتها من تثبيت وجودها هناك في وقت مبكر وإقامة مؤسسات دائمة.

وثانيها: توفر المال اللازم لتطوير البرنامج الطبي ومصادر هذه الأموال كانت الكنيسة الاصلاحية في الولايات المتحدة ثم الأموال التي يدفعها المرضى نظير الخدمات الطبية التي يحصلون عليها، إضافة إلى تبرعات الأهالي بين الحين والآخر.

والسبب الثالث لنمو الخدمات الطبية في البحرين هو المناخ السياسي المشجع لنشاط الإرسالية والذي يمكن أن يعود لخضوع الخليج للسيطرة البريطانية.

ورابع هذه الأسباب: ازدياد عدد المرضى مما شجع الإرسالية على بناء المزيد من المستوصفات إضافة إلى المستشفى في وقت مبكر في هذه المحطة.

وخامسها: ان الإرسالية قد قررت سلفاً أن البحرين قاعدة نشاطاتها في المنطقة بدلاً من البصرة مما أدى إلى تركيز الاهتمام فيها، ولذا فإنّ مؤسساتها الدائمة كانت تحظى دوماً بالأولوية، وكان المستشفى أهم هذه المؤسسات، هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى دعم العمل التبشيري في هذه المحطة خاصة في المجال الطبي.

لقد كانت السنتان ١٨٩٢، ١٨٩٣ من أهم السنوات، حيث تم فيهما وضع أسس الخدمة الطبية المباشرة، وفي الوقت ذاته قام المبشرون بدراسة ميدان العمل والأماكن المحيطة بالبحرين باعتبار ذلك أحد واجباتهم لضمان مستقبل العمل وانتشاره. وفي نهاية عام ١٨٩٤ انتشر وباء (أبو الركب) في البحرين، مما أدى إلى ازدياد تردد الأهالي على مستشفى الإرسالية ولكن لم يكن يشكل ضغطاً مهماً لأن الأعداد لم تكن كبيرة، كما يتبين من الجدول التالي بالنسبة للعلاجات المقدمة لمختلف الأمراض:

جدول رقم ٣ : ٣

نوع العلاج	عدد الحالات	ملاحظات
أمراض باطنية	٣٨٠	لقد كان من بين هذه الحالات
جراحة	٣٨	التي عولجت مرض أبو الركب
أسنان	٣٣	الذي جاء بشكل مفاجيء في
أمراض أخرى	٢٩	تلك السنة.

Source: Neglected Arabia, Oct. Dec. 1894, P. 5.

وقد أدى هذا العلاج إلى كسب ثقة الأهالي تدريجياً في الطب الحديث الذي دخل الخليج والجزيرة للمرة الأولى عن طريق الإرسالية. ولم ينس المبشرون في الوقت ذاته هدفهم الرئيس أي النشاط التبشيري الديني. وقد أعطتهم الأوبئة الفرصة للاتصال بالناس وتقديم العلاج لهم وبيعهم الإنجيل والكتب الدينية الأخرى. وكان التصاق الناس بالإرسالية كبيراً بسبب حاجتهم للعلاج لا أكثر، وكان المبشرون يتحدثون إلى المرضى عن الانجيل والمسيح المخلّص الشافي.

وخلال عامي ١٨٩٥ – ١٨٩٦ سارت الخدمة الطبية في البحرين سيراً طبيعياً، وقد كتب صموئيل زويمر يصف الخدمة الطبية في هذه المحطة خلال عام ١٨٩٧:

«لم يكن النشاط الصحي واسعاً خلال الربع الثاني من العام لسببين. الأول: المنافسة الطبية. والثاني: الكساد التجاري في البلاد. أما الأول فسببه إبراهيم سعيد الذي سعى بعد تركه الخدمة في الإرسالية إلى العمل حكيماً (طبيباً). والسبب الآخر هو صيام الأهالي في شهر رمضان، إضافة إلى فصل الأمطار. وعلى أية حال يمكننا أن نعلق المفتاح فوق الباب بعد فتحه دون أن نخشى شيئاً لنستخدمه مستقبلاً لفتح أبواب أخرى»[٣٨].

وقد مكّنتهم الخدمة الطبية بالوضع الذي كانت عليه من التغلغل بين الناس منذ البداية، وكان المبشرون يأملون أن تمكنهم الخدمة الطبية الجيدة من تحقيق قدر أكبر من النجاح في المنطقة في المستقبل القريب. وفي سنة ١٨٩٩ عبّر الدكتور (تومس) عن ذلك بأن للعمل في البحرين أهمية خاصة بالنسبة للمبشرين لأنها ستصبح مركزهم الرئيس خاصة أن أطباء الإرسالية لا يملكون دبلومات تركية* تسمح لهم بالعمل في البصرة[٣٩]. إنّ هذا الشرط الذي فرضته السلطات العثمانية وضع عقبة كبيرة في طريق الإرسالية لأن الشهادة كانت تتطلب معرفة باللغة التركية في وقت كان فيه المبشرون ينكبون على تعلُّم اللغة العربية. ولم تكن هناك شروط مماثلة بالنسبة لممارسة النشاط الطبي في البحرين. هكذا أصبحت البحرين قاعدة العمل التبشيري في المنطقة، ولكن آمالهم بأن تصبح هذه الجزيرة منطلقاً للعمل التبشيري في شبه الجزيرة العربية

---

* لقد فرضت السلطات العثمانية في البصرة على أي أجنبي يمارس مهنة الطب في المناطق التي تقع تحت نفوذها أن يحصل على شهادة دبلوم تركية كشرط لممارسة هذه المهنة.

باءت بالفشل رغم المحاولات المتعددة لتحقيق هذا الهدف.

وفي عام ١٨٩٩ وصل الدكتور (هـ. ورال) إلى البحرين وبدأ بتقديم خدماته الطبية هناك، وكان معدل المرضى الذين يأتون للعلاج يومياً يقارب عشرة أشخاص[٤٠].

وقد اتضح منذ البداية أن معالجة النساء لم تكن مشكلة كبيرة في البحرين لأن السيدة (زويمر) كانت ترافق الهيئة الطبية للإرسالية واستطاعت أن تعالج معظم النساء بمعرفتها الطبية المحدودة[٤١]. ثم انضم إلى الإرسالية أيضاً السيدة (ورال) التي كانت طبيبة، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

واستمرت الإرسالية في تقديم الخدمة الطبية لهذه الجزيرة بهدوء، وكان (زويمر) يباشر عمله التبشيري بين المرضى يومياً بأن يقرأ عليهم مقتطفات من الانجيل ويناقش معهم تعاليم الديانة المسيحية[٤٢]. وكان الحديث في معظم الحالات من طرف واحد فقط، فقد كان (زويمر) يتكلم والمرضى يصغون إليه. وكان الفضل في إقامة منشآت الإرسالية في الجزيرة يرجع إلى حد كبير للأصدقاء الذين كسبتهم الإرسالية في وقت الحاجة. لقد ساهم العون الذي كان الأهالي يقدمونه في زيادة نفوذ الإرسالية وكان هذا العون يقدم لدعم الخدمة الطبية وليحصلوا على هذه الخدمة لهم ولعائلاتهم. وقد كان وضع الخليج الاقتصادي لا بأس به بالنسبة لعدد سكانه ولرواج تجارة اللولؤ[٤٣].

وفي عام ١٩٠٠ بدأ المبشرون يفكرون جدياً بإقامة مستشفى في جزيرة البحرين، إذ لم يعد المستوصف قادراً على تلبية حاجة جميع من يأتون من المرضى لضخامة أعدادهم، وكثرة الحالات التي يحتاج بعضها إلى الإقامة في المستشفى وإجراء العمليات. وكان الجميع

متفقين أن تقديم العلاج على هذا المستوى المحدود لم يعد يتمشى مع العصر، وأن الوقت قد حان لبناء أول مستشفى للإرسالية في هذه المنطقة[٤٤].

لقد كان الصيام في رمضان من المشكلات التي واجهت أطباء الإرسالية، فقد كان سبباً في عدم انتظام المرضى في تعاطي العلاج، حيث كانوا يقتصرون على تناوله ليلاً.

في الحقيقة، ان الدين الإسلامي يتمتع بمرونة في هذا الخصوص ويسمح للمسلم الصائم بالإفطار في حالات الضرورة. وخلال عام ١٩٠٠ لم تكن الخدمة الطبية المقدمة للسيدات تفي بالحاجة لعدم وجود مكان مناسب لعلاجهن، وقد ظهر بوضوح أن حاجة النساء للعلاج لا تقل عن حاجة الرجال إن لم تكن أكبر[٤٥] وكان العمل الدائم لا يعطي أعضاء الهيئة الطبية للإرسالية فرصة للراحة فيما عدا موسم صيد اللؤلؤ. إنّ الغوص على اللؤلؤ كان العمل الرئيس لأهالي البحرين شأنهم شأن أخوتهم في مناطق الخليج الأخرى، حيث كان الطلب على اللؤلؤ الطبيعي كبيراً وأسعاره مرتفعة في الأسواق العالمية قبل ظهور اللؤلؤ الصناعي في اليابان والذي أصبح منافساً للؤلؤ الطبيعي.

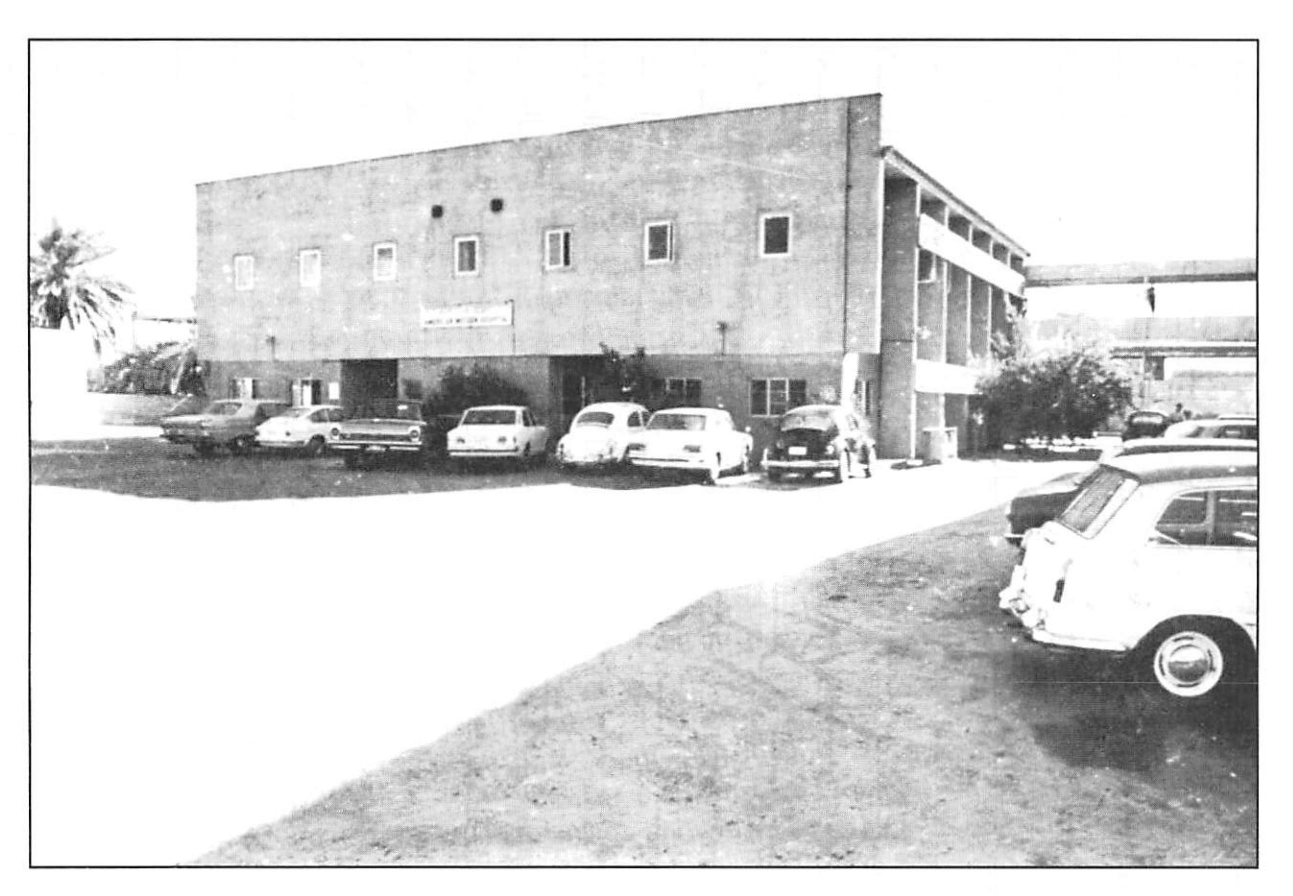
ويعتبر قدوم اللؤلؤ الصناعي واكتشاف النفط بمقادير تجارية فيما بعد من الأسباب التي أدت إلى القضاء على صيد اللؤلؤ. أما في ذلك الوقت فقد كان جميع الرجال القادرين على الغوص يركبون البحر، وكانت كل رحلة تبعدهم عن بلادهم وأسرهم أسابيع عدة أو أشهراً لهذا، فإنّ عدد المرضى الذين كانوا يأتون للعلاج في مستوصف الإرسالية أثناء موسم الغوص قليل، ليس فقط بسبب غياب الرجال في البحر، وإنما لأن النساء كنّ يحضرن للعلاج بصحبة أزواجهن أو أفراد العائلة من الذكور، وقد

كان لا يسمح لبعضهن بمغادرة المنزل وحدهن. وعند عودة الغواصين من البحر يصبح الضغط على مستوصف الإرسالية كبيراً. لقد كان الغواصون يعانون من أمراض الأذن، إضافة إلى الأمراض العادية الأخرى(٤٦). وكانت النساء بدورهن يعانين من أمراض مزمنة لأنهن كنّ لا يستطعن زيارة المستوصف للعلاج في غيبة أزواجهن، وهكذا فإنّ الخدمة الطبية في البحرين كانت تتغير حسب المواسم.

وبعد جهود نجحت الإرسالية في شراء قطعة من الأرض لبناء المستشفى في البحرين والذي أطلق عليه اسم «مستشفى ماسون التذكاري». وقد وضع حجر الأساس لهذا المستشفى في التاسع عشر من شهر مارس عام ١٩٠٢!. وفي الاجتماع السنوي التالي للإرسالية في البحرين يناير ١٩٠٣ تم افتتاح المستشفى كأول مستشفى تبشيري في الجزيرة العربية، وكان الدكتور (شارون تومس) وزوجته اللذان كانا يقومان بالعلاج في البحرين هما أول أطباء الإرسالية في هذا المستشفى(٤٧).

إن بناء المستشفى في أوائل عهد الإرسالية في البحرين أمر مهم يتضمن معنى خاصاً، فقد كان ذلك يعني أن المدخل الطبي الذي اعتمدته الإرسالية وسيلة رئيسة لأعمالها التبشيرية قد ثبت نجاحه وأصبح يقوم على دعائم ثابتة في تلك المنطقة. وكان يعني ثانياً أن الميدان كان مفتوحاً أمام نشاط تبشيري وطبي أوسع وأشمل يكون المستشفى فيه مكاناً للتبشير بالانجيل بين المرضى. والواقع أن المستشفى قد ساعد كثيراً في تخفيف آلام المعذبين، وكان الناس يحملون لهذا العمل كل تقدير في وقت لم يكن لديهم رعاية طبية محلية حديثة خاصة بهم.

وهكذا بالتحاق الدكتور تومس وزوجته بمستشفى الإرسالية في



مستشفى الارسالية الامريكية العربية في البحرين بعد تجديد بنائه

البحرين حدث تقدم جيد في الخدمة الطبية فيها عام ١٩٠١. وبالرغم من الجهود الطبية التي قدمها السيد (زويمر) وزوجته هناك بمعرفتهما الطبية المحدودة، إلاّ أنهما لم يكونا طبيبين، ومع ذلك تمكنا من إبقاء الخدمة الطبية مستمرة إلى حين وصول الأطباء لتسلّم المهام الطبية والنهوض بمستواها* [٤٨].

وفي عام ١٩٠٢ واجهت الإرسالية في هذه المحطة صعوبة عندما رفض صيدلي مسيحي من البصرة كان يعمل مع الإرسالية في البحرين الاستمرار في عمله. إذ إنه لم يكن راغباً في العيش بعيداً عن وطنه وأصحابه. وفي شتاء ذلك العام استطاعوا الحصول على صيدلي مسيحي مدرب من بغداد، ولكن ما إن جاء فصل الصيف بحرارته الشديدة حتى قرر بأن السيد المسيح لم يعد بحاجة إلى خدماته بعد ذلك في البحرين، وعاد إلى بلده ثانية[٤٩]. ولم يتضح من أدبيات الإرسالية ما إذا كان هؤلاء الصيادلة من المتنصرين أم أنهم أصلاً من عائلات مسيحية، على أي حال لقد كان إيمانهم في الحالتين ضعيفاً. والحقيقة، ان إحدى المصاعب التي كانت تواجه المبشرين هي عدم تمكنهم من الاعتماد على المسيحيين من أهالي البلاد، وهو أمر سنعرض له فيما بعد. وفي عام ١٩٠٣ مرت البحرين بفترة عصيبة عندما انتشرت فيها ثلاثة أوبئة في آن واحد وهي الجدري والدفتيريا والطاعون. وكانت مواجهة هذه الأوبئة الثلاثة من أشق الأمور التي واجهت الهيئة الطبية للإرسالية والتي بذلت جهوداً كبيرة ومضنية لمكافحتها، ولكن ظهورها المفاجيء وانتشارها

---

* بدون أدنى شك أنه من الصعب أن يتولى هؤلاء مهمة علاج المرضى وهم ليسوا أطباء، ولكن من المؤكد أنهم لم يكونوا يعالجون الأمراض الخطيرة، وإنما اقتصر نشاطهم على العلاجات الطبية البسيطة والنصائح الصحية، وان مهمتهم كانت صعبة جداً لأنهم في نظر الناس البسطاء قادرون على هذه المهمة في الوقت الذي كانوا فيه غير قادرين على علاج بعض الأمراض.

السريع وإمكانات الإرسالية المحدودة لم تتح للإرسالية الفرصة للقضاء عليها بسهولة أو منع خطرها. لقد كانت المأساة أكبر من طاقتهم بكثير، حيث أدى ذلك إلى موت الكثيرين من المواطنين. ومع أن هذا العام قد شهد افتتاح أول مستشفى للإرسالية في المنطقة لكن المستشفى لم يتمكن من التغلب على هذه الأوبئة رغم الجهود الكبيرة التي بذلت، وقد أبلغ طبيب الإرسالية الدكتور (تومس) المعتمد السياسي البريطاني ج.س.جاسكن – (J.C.Gaskin) بالحالة في مايو ١٩٠٣، وشرح له أن مرض الطاعون إضافة إلى أمراض أخرى تستشري في الجزيرة وأن كثيرين قد ماتوا بسبب هذه الأمراض[٥٠] . ومع نهاية ذلك العام بدأ خطر هذه الأوبئة يقل ويتلاشى مخلفاً وراءه كثيراً من الشقاء والمتاعب والأحزان.

وفي عام ١٩٠٤ وصلت الدكتورة لوسي باترسون (Dr. Lucy Patterson)، إلى البحرين موفدة من قبل الإرسالية للعمل في هذه المنطقة، فوجدت الخدمة الصحية في حالة مضطربة. إن المستشفى كان يعمل ليلاً ونهاراً، ويغص بالمرضى رغم الإمكانات المحدودة. وفي فترة أسبوعين أجرت الدكتورة (باترسون) عمليات جراحية عدة، وحاولت تنظيم عمل المستشفى، وكانت تشكو من مشكلة عدم ذهاب المرضى لمستشفى الإرسالية للعلاج إلاّ بعد أن يصبح المريض في حالة متقدمة ويستفحل خطره[٥١].

والواقع أن السبب في هذا هو جهل الناس الذين لم يكونوا يعرفون أن المرض البسيط قد يصبح خطيراً إذا أُهمل، هذا إضافة إلى أن بعض الناس كانوا يلجأون إلى العلاج المحلي لبعض الوقت وعندما يشعرون بعدم جدوى هذا النوع من العلاج يتوجهون إلى عيادة الإرسالية أو مستشفاها.

وفي النصف الثاني من عام ١٩٠٥ هاجم وباء الكوليرا البحرين ويقدر عدد السكان الذين أصيبوا بهذا المرض في المنامة والمحرق وهما من

أكثر المناطق في البحرين اكتظاظاً بالسكان بثلاثة آلاف من أصل ثلاثين ألفاً، وقد مات منهم ألفان. وفي المراحل الخطيرة من انتشار المرض سخّرت الإرسالية جميع إمكاناتها لمكافحته. لقد هاجم هذا الوباء الجزيرة بعد أقل من عامين من مهاجمة الأوبئة الثلاثة لها وهي الطاعون والدفتيريا والجدري.

وفي نهاية العام انتهى الوباء مخلفاً وراءه سلسلة لا تنتهي من الموت والأحزان، ونتيجة لذلك ازداد إقبال المرضى على العلاج الذي يظهر واضحاً من الجدول التالي:

جدول رقم ٣ : ٤

نوع الأمراض	عدد الحالات	ملاحظات
أمراض باطنية	٤٥٠٠	
جراحة	٢٧٠٠	
أمراض أخرى	١٨٠٠	
المجموع	٩٠٠٠	

Source: Neglected Arabia, April - June, Dr. Thoms, J.S., pp. 8 - 11.

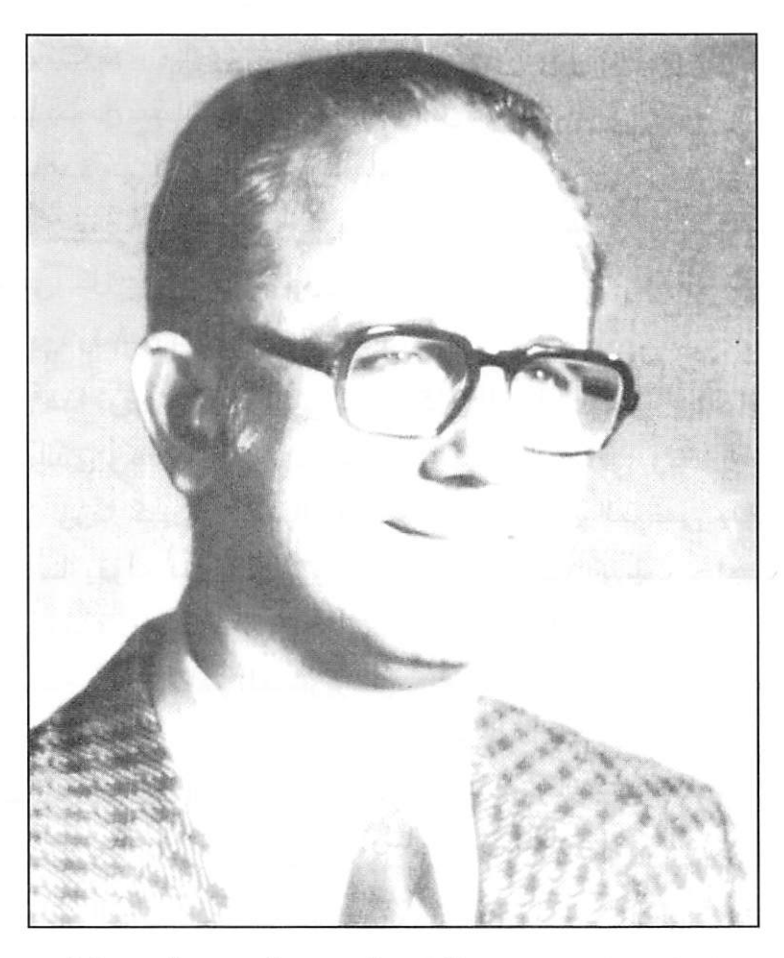
وفي السنوات التالية استراح الناس بعض الوقت من هذه الأمراض المعدية. ويبدو أنه أصبحت لديهم مناعة ضد هذه الأمراض. ثم سارت الخدمة الطبية سيراً عادياً ومنتظماً. وفي سنة ١٩١١ ذكرت السيدة (ي. زويمر) أنّ الحالات التي تأتي إلى العيادة عادية أهمها مصابة بالملاريا، ويندر أن يكون هناك شخص سليم العينين. وكانت أيضاً تعالج يومياً في العيادة الأمراض النسائية المألوفة [٥٢].

وقد أدرك المبشرون من خبرتهم الطويلة في تقاليد المنطقة، الحاجة إلى خدمة طبية خاصة بالنساء، وقد وجدوا أن اقبال النساء قد ازداد عندما باشرت السيدة زويمر والدكتور باترسون العمل في عيادة النساء.

وقد ظهر أن هذا سيتحول إلى مشكلة في القريب العاجل لأن الإرسالية بهيئتها الطبية المحدودة لن تتمكن من تزويد المحطة بكل احتياجاتها. وفي نهاية عام ١٩١٤ كتبت السيدة فان برسيوم (Mrs Van Perseum) التي كانت مديرة المستشفى والمسؤولة عن العيادة النسائية تقول: إن عملها يشمل عيادة النساء والتمريض العام والإشراف على المرضى والمساعدة في العمليات والقيام بالزيارات الخارجية مع الطبيب أو منفردة، إضافة إلى إدارة المستشفى وذكرت بأنهم كانوا يتحدثون إلى المرضى، كل على انفراد، حول الأمور الروحية، وكان هذا بنظرهم أهم واجب يؤدونه، وربما أكثر متعة(٥٣).

ومن هذا نرى أن المستشفى كان مكاناً للنشاط التبشيري الديني وهو الهدف الذي وُجِدَ من أجله إضافة إلى الهدف الإنساني. وكان المبشرون يقيمون وزناً كبيراً للاتصال الشخصي. لقد كان المرضى يتظاهرون بقبول ما يقوله لهم المبشرون ويظلون صامتين بسبب حاجتهم إلى العلاج، ويسبب جهلهم الذي جعلهم يعجزون عن الدخول في نقاش معهم. وقد اتضح هذا التظاهر للمبشرين فيما بعد عندما ثبت عجزهم عن التأثير دينياً في واحد من كل عشرة آلاف من مرضاهم – وسنأتي على هذا الأمر بالتفصيل في أحد الفصول القادمة.

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ كان لها بعض التأثير في منطقة الخليج العربي، كما أوضحنا سابقاً. ومن الطبيعي أن يتأثر نشاط الإرسالية بالحرب، فقد كانت البحرين قاعدة عسكرية بريطانية، وقد استخدمت إبان الحرب لهذا الغرض، وأصبحت الحالة في الجزيرة غير مناسبة للنشاط التبشيري، حيث انقطعت علاقة البحرين بالعالم الخارجي تماماً، وأصبح من العسير على الإرسالية الحصول على ما تحتاجه من اللوازم الطبية بما في ذلك الأدوية والمعدات الطبية، كما أنهم



الدكتور بنينجز رئيس البعثة الطبية للارسالية الامريكية العربية في البحرين ١٩٧٤

كانوا يجدون صعوبة في الاتصال بمجلس الإرسالية في أمريكا، أضف إلى ذلك أن البصرة، وهي محطتهم الأولى، أصبحت ميداناً للمعركة بين القوات البريطانية والقوات التركية، واستخدمت مستشفاهم وعيادتهم لمعالجة الجنود البريطانيين. وهكذا تركزت جميع الجهود الطبية التابعة للإرسالية لخدمة القوات العسكرية، وأصبح حظ المواطنين في الرعاية الطبية ضئيلاً . هذا إضافة إلى أن ظروف الحرب الأخرى تسببت في عدم الاستمرار في تقديم الخدمة الطبية بالمستوى نفسه الذي كانت عليه قبل الحرب. وعند انتهاء الحرب عام ١٩١٨ عادت خدمة الإرسالية الطبية تدريجياً إلى حالتها الطبيعية. ولم يحدث أي تطور جديد في هذا المجال في البحرين حتى عام ١٩٢٤ عندما بدأت الإرسالية برنامجها في بناء مستشفى للنساء في المحطة. فقد كان من الصعب في مجتمع كهذا معالجة الرجال والنساء في مستشفى واحد أو حتى قيام الأطباء والرجال بمعالجة النساء إلاّ في حدود ضيقة. وقد ذكر تقرير للإرسالية بأن هذه الحالة هي التي دفعت المبشرين للتقدم إلى مجلس الإرسالية بطلب لإقامة مستشفى للنساء والأطفال، وفي عام ١٩٢٤ وافق المجلس على ذلك، وقدم إليهم السيد عبد العزيز القصيبي الممثل المحلي لحاكم نجد نتيجة لمساعي المعتمد السياسي البريطاني قطعة من الأرض ملاصقة للمجمع الصحي لبناء المستشفى عليها. ووافق مجلس الإرسالية على تخصيص مبلغ ألف دولار لبناء المستشفى وجرى جمع تبرعات تقدر بعشرين ألف روبية، كما قدم الشيخ حمد، حاكم البحرين، خمسة آلاف دولار، إضافة إلى منحه من شركة الزيت الإنجليزية الإيرانية قدرها أيضاً خمسة آلاف دولار. وتم جمع تبرعات لاحقة إلى أن بلغ المبلغ الكلي خمسين ألف روبية، ومن ثم بدأت عمليات بناء المستشفى(٥٤).

وفي ١٩٢٦ أصبح مستشفى النساء جاهزاً للعمل، وبدأ فعلاً في

استقبال المرضى وسمي باسم «مستشفى ماريون ويلز التذكاري» وكان فيه ملحق لسكن الممرضات. وأخذ المستشفى يقوم بخدمات التوليد والتي أخذت بالنمو التدريجي، ثم جرى دمجها بدار رعاية الطفولة التي كانت لها عيادة خاصة في المستشفى، إضافة إلى ذلك، بدأت الهيئة الطبية بإعطاء دروس في رعاية الطفل للطالبات في مدرسة الإرسالية. وكان العمل في القرى جزءاً لا يتجزأ من برنامج المبشرين.

وكان يدير مستشفى الرجال في المنطقة طبيب هندي قدير والذي دُعي للقيام بالعمل عندما ذهب طبيب المستشفى في رحلة طبية خارج البحرين. وفي عام ١٩٣٠ كان الدكتور ديم (Dame) والدكتور لاركا (Dr. Larka), وهما من أعضاء الإرسالية يقومان بتقديم الخدمات الطبية في المحطة. وفي عام ١٩٣٢ انضم الدكتور ويلز تومس (TOMS WELLS) إلى هيئة مستشفى (ماريون ويلز) ولعب دوراً كبيراً في خدمة الناس كما فعل والده الدكتور (تومس) من قبل. وفي هذا الوقت بدأ مستشفى السيدات يقوم بعملية التوليد وأصبح المختبر ملحقاً ممتازاً يستفيد منه المستشفيان(٥٥).

وفي ذلك الوقت بدأت الحكومة المحلية تفكر جدياً بتقديم الخدمة الطبية الحديثة، وليس هناك من يعلم الدوافع التي حدت بها إلى ذلك، ولكن من المحتمل أن تكون الحكومة قد قررت ذلك عندما رأت فوائد الخدمة الطبية التي تقدمها الإرسالية. وأصبحت لدى الحكومة قناعة بأن البلاد بحاجة إلى خدمة طبية خاصة بها، وبدأ التفكير بهذا الأمر منذ ذلك الحين. وسارت خدمة الحكومة وخدمة الإرسالية الطبية على أسس حديثة جنباً إلى جنب، وبازدياد عدد الأطباء والمستوصفات في تلك المنطقة لم يكن هناك بد من انتشار الوعي بأهمية الطب الحديث، والحاجة إلى مزيد من المستشفيات المجهزة تجهيزاً جيداً والمزودة

بالهيئة الطبية القديرة. وبعد كل هذه التطورات أصبحت البحرين كما توقعت الإرسالية وخططت له المركز الطبي لجميع محطاتها في المنطقة. وفي هذا الوقت أي عام ١٩٣٢ حصلت زيادة مستمرة في حالات مرض الملاريا في البحرين والمناطق المحيطة بها، وقد حققت الهيئة الطبية للإرسالية بعض النجاح في مكافحة هذا المرض. وعند زوال هذه المحنة بدأ المبشرون برحلاتهم خارجها وداخلها. وفي الإمكان القول إن الخدمة الطبية فيها كانت طبيعية في السنوات التالية إلى أن اندلعت الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩. في الحقيقة لم تتأثر المنطقة بالحرب مباشرة إلاّ في أمرين، الأول: انقطاع الاتصال بين الإرسالية وإدارتها في الولايات المتحدة. والثاني: الشعور العدائي القومي لدى الموطنين العرب ضد كل ما هو غربي، حيث واكب هذا الشعور ظهور الحركة القومية العربية والشعور الوطني الجارف المطالب بالاستقلال والتحرر من الاستعمار الغربي. كما ظهرت القضية الفلسطينية حيث غذت هذا الشعور ضد قوى الاستعمار وأصبح الغربيون الموجودون في الوطن العربي في موقف حرج. وكان المبشرون من بين الذين كانوا يشعرون بأن كل ما بذلوه من جهود مهدد بالضياع، ولكن الناس عرب المنطقة لم يسببوا لهم أية مضايقات. وكانت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول في النشاط التبشيري في الخليج العربي، ذلك أن تطورين مهمين قد حدثا في المنطقة بعد الحرب، الأول: قيام الحركة القومية العربية التي جعلت عامة الناس أكثر تأثراً وتفاعلاً مع الحياة السياسية منها بالدين. والثاني: اكتشاف النفط بكميات تجارية أتاح لحكومات المنطقة فرصة تقديم خدمات طبية أفضل مما تقدمه الإرسالية الأمريكية العربية، هذا مما لا شك فيه كان له أهمية خاصة في نشاط الإرسالية الطبي كمدخل ووسيلة للعمل التبشيري وبدون هذا النشاط لم

يكن أمام المبشرين من وسيلة أخرى مؤثرة تفتح المجالات أمام الأنشطة التبشيرية الأخرى، ولهذا فإن تقلص نشاط الإرسالية الطبي أدى في الوقت نفسه إلى تقلص نشاطهم الديني.

ثالثاً: الخدمات الطبية للإرسالية في مسقط:

تعتبر مسقط موازية للبحرين في الأهمية. فهي طريق العبور إلى شبه الجزيرة من الجنوب الشرقي وهي بوابة الخليج، ولهذا فإن الإرسالية أولت هذه البقعة المهمة الثالثة أهمية لا تقل عن أهمية المنطقتين الأخريين، وبدأت الإرسالية عملها التبشيري هناك في نهاية عام ١٨٩٣، وكان القس بيتر زويمر (Peater Zwemer)، أول مبشر من الإرسالية يعمل هناك، وسار العمل في مسقط على الطريق الذي سارت عليه الإرسالية في البحرين، نظراً لتشابه الموقع والوضع السياسي، حيث كانت الأهمية الاستراتيجية مماثلة وكون مسقط أيضاً تحت السيطرة البريطانية. أما من الناحية الطبية فقد كانت الأمور تختلف لأن مرض «الجذام» كان شائعاً في تلك المنطقة، وكانت هناك منطقة خاصة للمصابين بالجذام والتي لم يكن يسمح لأحد من المناطق الأخرى بدخولها خوفاً من العدوى.

وبدأت الخدمة الطبية هناك بعد افتتاح محطة البصرة بوقت قصير، وكانت الأمراض تنتشر في المنطقة بكثرة وحاجاتها الطبية كانت تفوق إمكانات الإرسالية، ومع ذلك فإن الهيئة الطبية فعلت كل ما تستطيع للتخفيف من آلام الناس رغم عدد أعضائها المحدود وإمكاناتها الضئيلة، وقد ورد في التقرير الطبي للإرسالية في عام ١٨٩٧ مايلي:

«من المعروف أن مرض الجذام ينتشر في هذه الأجزاء من الجزيرة العربية حيث يعمل مبشرونا.... ومعظم المجذومين من الطبقات الدنيا،

والحياة في المستعمرة لا تختلف عن الحياة التي ألفوها»[٥٦].

ومن الأسباب الرئيسة لانتشار الجذام عدم توفر العناية الطبية الحديثة وعدم العناية بنظافة المرضى. وفي حين كان يمكن شفاء المرض في مراحله الأولى إلاّ أن العلاج مستحيل بدون الأدوية الحديثة. وفي ذلك العام ١٨٩٧ تقدمت الخدمات الطبية بوصول الدكتور (تومس) وزوجته اللذين استقرا في مدينة مطرح ليقوما بخدمة سكان مسقط ومطرح في آن واحد.

وكانت خدمات الإرسالية الطبية في عُمَان تهدف إلى الوصول إلى المناطق الداخلية. وعلى أية حال، فإن الهيئة الطبية للإرسالية كانت قادرة على القيام بمهماتها في المدينتين. ولم يتمكن المبشرون من التأثير في المناطق الداخلية. والأمراض في المنطقة كانت متعددة ولكن أخطرها كان مرض «الملاريا».

وكانت الخدمة الطبية النسائية في مسقط شبيهة بما كانت عليه في المحطات الأخرى، حيث لم يكن هناك أي اختلاف جوهري في التركيب الاجتماعي للسكان، والاختلاف الوحيد هو أن هذه المنطقة كانت أفقر من المناطق الأخرى ويشيع فيها مرض الجذام المعدي. وبدأ العمل في الخدمة الطبية للنساء عندما جاءت السيدة كانتين (Mrs. Cantine)، وأقامت هناك من سنة ١٩٠٤ إلى سنة ١٩٠٧، ولكن المنطقة لم يكن فيها مستوصف للنساء

حتى سنة ١٩١٣ عندما قررت الإرسالية بناء مستوصف هناك. وقد أوفدت الدكتورة سارة هوسمان (Sarah Hosman)، إلى المنطقة سنة ١٩١١م. وعندما أنهت دراسة اللغة العربية، بدأت بوضع أسس الخدمة الطبية النسائية الجيدة. وكان عدد مرضاها كبيراً، وفي الوقت ذاته كانت تقوم بمهمتها التبشيرية حيث كانت تقرأ للنساء من الانجيل[٥٧]. أما علاج الرجال فقد كان يتم على يد الدكتور تومس (Thoms)، في مدينتي مسقط

ومطرح من سنة ١٩١٠ إلى سنة ١٩١٣م، ثم توقفت الخدمة الطبية فجأة بوفاته*. واستمر التوقف في مطرح لمدة طويلة وإمكانات الإرسالية لم تكن تسمح بإرسال طبيب آخر ليحل محله في وقت قصير. ولكن الخدمة الطبية للرجال عادت إلى وضعها الطبيعي عام ١٩٢٧ عندما قررت الإرسالية إرسال الدكتور ستورم (Storm)، لإعادة افتتاح العيادة في تلك المحطة، وقد جاء في تقريره لسنة ١٩٣٠ أنه كان يعاني مشاكل في توفير الأجهزة والعلاج والمكان المناسب للقيام بمهمته، كما أشار إلى أن الجولات التي كان يقوم بها في عُمَان هي من أبرز نشاطاته وذكر بأنه متفائل من أن العمل الطبي قادر الآن على الاستمرار والنجاح في المنطقة(٥٨).

وفي الفترة بين سنة ١٩٢٦ - ١٩٤٣ قام الأطباء (ديم وهاريسون وستورم وهوسمان وويلز وتومس وملري) برحلات واسعة في داخل وشبه الجزيرة العربية وقدموا خدمات طبية جيدة للقبائل التي تعيش في تلك المنطقة، حيث وجدوا أهلها يعانون العديد من الأمراض المعدية والأمراض المزمنة، وكانت حالتهم تستصرخ طلباً للمعونة الطبية، ولكن الإرسالية لم تكن في وضع يمكنها من تلبية كل حاجات المنطقة بسبب إمكاناتها المحدودة، ولأن هذه الجولات لم تكن تهدف أساساً إلى تقديم الخدمات الطبية في حد ذاتها بل كانت تهدف فتح المناطق الداخلية من عُمان تمهيداً للتغلغل في أعماق شبه الجزيرة العربية. ولم تستطع الهيئة الطبية البقاء هناك طويلاً نظراً للبيئة الطبيعية الصعبة، وبسبب حاجة المحطات الأخرى القائمة إلى مجهوداتها(٥٩). وقد كتبت الدكتورة سارة

* توفي الدكتور (تومس – Thoms)، نتيجة سقوطه على صخرة حادة من الصخور الواقعة على شاطىء مسقط وهو متسلق عموداً ليركّب خطاً تليفونياً بنفسه وللمرة الأولى في تاريخ مسقط خارج حدود الهيئات الرسمية والدبلوماسية يتم تركيب خط تليفوني كهذا.

هوسمان سنة ١٩٣٥ تقول: «إن ما أصبو إليه هو أن أعثر بعون اللّٰه على بلدة مهمة أتمكن منها فأنفذ إلى منطقة واسعة من القرى ثم استقر في هذه البلدة وأحيا حياة تبشيرية عادية بين الناس»(٦٠).

وتشير عبارات الدكتورة (هوسمان) إلى احتمال وقوع شيء ما. وفي عام ١٩٣٨ استقالت من الإرسالية لتقوم بهذا النوع الرائد من العمل الطبي على نحو مستقل أولاً في عمان ثم في الشارقة على ساحل الخليج العربي. وبدأت الدكتورة (هوسمان) بخدمة ناجحة في مسقط واتسع ميدان نشاطها إلى داخل عُمَان حيث كان يأتي إليها المرضى من أماكن بعيدة، والصفة المميزة لنشاطها هي أنها كانت تقوم بجولات منتظمة إلى داخل المنطقة(٦١).

ولم تقدم الإرسالية تفسيراً لاستقالتها فيما عدا أنها كانت ترغب بالقيام بالعمل على نحو مستقل. وكانت الدكتورة (هوسمان) عضواً من أعضاء الإرسالية، وقد عملت أكثر من ٢٢ سنة في الميدان التبشيري ومما لا شك فيه أن هناك أسباباً عديدة حملتها على اتخاذ ذلك القرار مع أنها لم تذكر شيئاً عن ذلك. وهناك الاحتمالات التالية:

أولاً: انها كانت ترغب في العمل مستقلة دون أن تكون مقيدة بأنظمة الإرسالية.

ثانياً: قد تكون خبرتها الطويلة حملتها على الاعتقاد بأن سياسة الإرسالية لن تحقق الأهداف المنشودة.

ثالثاً: ربما تكون قد شعرت بأن الإرسالية قد بدأت تبتعد عن هدفها الحقيقي.

لذلك قررت الانفصال عنها. ومهما تكن الأسباب فإن هذا الأمر قد أدى إلى زعزعة أوضاع الإرسالية في عُمَان، حيث واجهت الخدمة الطبية بعد

استقالتها كثيراً من الصعوبات، ولسنوات عديدة وبشكل اضطراري حلت مكانها الممرضة الهندية ماري التي كانت تعمل تحت إشراف طبيب الإرسالية في مطرح.

وقد نالت الخدمة الطبية التقدير من الناس منذ البداية، حيث كانت الإرسالية تنعم باستقرار مستمر، وقد استبدلت الأبنية المستأجرة بمستشفى حديث تم بناؤه في عام ١٩٣٣، وقام الطبيبان في مطرح بجولات واسعة داخل عُمَان. وفي عام ١٩٣٧ كتبت دورثي فان ايس (D. Van Ess) تقول: «إن مستشفى نوكس (Knox) التذكاري يزداد شهرة في عُمان، وعدد المرضى يزداد من المناطق الداخلية[٦٢].

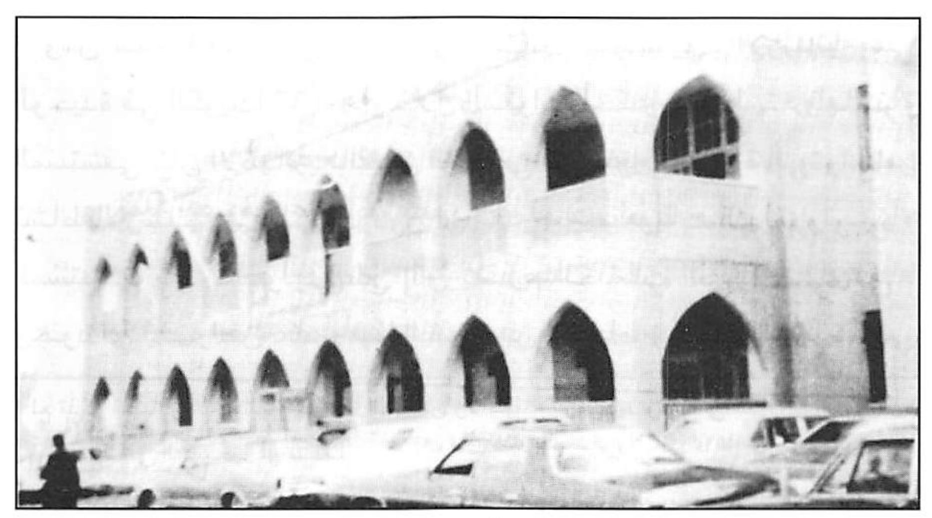
وكانت الخدمة الطبية تسير سيراً طبيعياً فيما عدا بعض التوقف القليل أثناء الحرب العالمية الثانية لموقع مسقط الاستراتيجي الذي يسيطر على مدخل الخليج العربي. وقد مر العمل التبشيري بمرحلة صعبة بعد الحرب في مسقط ومطرح كما هو الحال في سائر مناطق الخليج العربي. وكانت المشكلة هي السياسة المتشددة لسلطان مسقط، ولكنها لم تكن عقبة كبيرة بفضل السيطرة البريطانية. وقد شعر السلطان بأن تأثير الإرسالية قد يؤدي إلى خلق تطلعات جديدة لدى المواطنين في المستقبل مما يهدد بتقويض سلطته. وفي عام ١٩٤٨ جرى افتتاح (مستشفى شارون تومس التذكاري للأمراض المعدية، في مسقط)[٦٣]. وقد لعب هذا المستشفى دوراً مهماً في إغاثة المرضى المصابين «بالجذام» والذي كان منتشراً في المنطقة.

إنّ خدمات الإرسالية الطبية لا تزال قائمة في تلك المنطقة، لأن عُمان لاتزال بحاجة إلى هذا النوع من الخدمة. ولكن المستشفيات أصبحت تحت اشراف الحكومة المحلية منذ عام ١٩٧٢ – ١٩٧٣ وهيئة الارسالية الطبية تعمل داخل مستشفيات الدولة.

رابعاً : الخدمات الطبية للإرسالية في الكويت:

إنّ موقع الكويت المهم على رأس الخليج على طريق القوافل المتجهة إلى داخل الجزيرة العربية جعلها تتمتع بأهمية خاصة في نظر الإرسالية الأمريكية العربية التي انتظرت أن تفتح لها أبواب العمل التبشيري فيها لسنوات طويلة، وأخيراً واتتها الفرصة وتمكنت من تحقيق الكثير مما كانت تصبو إليه حتى أصبحت الكويت واحدة من أهم محطاتها وقد كتب الدكتور بنيت (Binitt) يقول: «إننا نهدف إلى احتلال الأجزاء الداخلية من الجزيرة العربية بأن نجعل من الساحل قاعدة لنا. إن موقع الكويت الاستراتيجي في نهاية الخط الحديدي المزمع إقامته، ولكونها أفضل موانىء الخليج العربي يكسبها أهمية خاصة»(٦٤).

وهكذا فقد تركز اهتمام الإرسالية على الكويت منذ عام ١٩٠٠، ولكنها لم تتمكن من افتتاح محطة لها فيها إلاّ في عام ١٩١٠ عندما التقى الشيخ مبارك حاكم الكويت آنذاك بالدكتور بنيت في البصرة وطلب منه المجيء إلى الكويت لمعالجة عين ابنته، ووافق الدكتور بنيت على



مستشفى الارسالية الأمريكية العربية في الكويت

الحضور. وقد وجدت الإرسالية في هذا فرصة ذهبية طال انتظارها لها.

وبعد نجاح العملية التي حضر الدكتور بنيت من أجلها عرض عليه الشيخ مبارك البقاء في الكويت. وقد بدأ الدكتور بنيت العلاج في بداية الأمر في منزل تابع لقصر الشيخ مبارك. وتبادل العمل في الكويت ثلاثة من أطباء الإرسالية هم الدكتور بنيت والدكتور هاريسون والدكتور ملري. وتمكن هؤلاء الأطباء من افتتاح مستوصف صغير وتعيين مساعد عراقي* مؤقت إلى أن يجرى تعيين شخص دائم(٦٥). وأثناء العام التالي ١٩١١ سمح للإرسالية ببناء مستشفى، وقد قام بتشييده مهندسان أمريكيان متجولان من ولاية ميتشيغان (Michigan) وكان المسؤول عن عمليات البناء هو الدكتور ستانلي ملري. وكانت هذه هي المحاولة الأولى لإدخال الخدمات الطبية الحديثة إلى الكويت. وقد تأخرت الإرسالية في تعيين طبيب دائم في الكويت مما ضايق الشيخ مبارك ولم يمنحهم الأرض اللازمة إلاّ بعد قيام الإرسالية بتعيين الدكتور هاريسون ثم ملري كطبيبين دائمين.

ومن سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٤٩ كانت مستشفيات الإرسالية هي الوحيدة في الكويت(٦٦)**. وخلال السنوات الخمس التي استغرقها بناء المستشفى كان الأطباء يعالجون المرضى في منزل أحد الأهالي. واستمر نشاط الإرسالية في الكويت دون أن تعترضه صعوبات كبيرة. وتم بناء المستشفى بعد حصولهم على إذن بتقديم الخدمات الطبية هناك لعدم وجود أي اعتراض على هذا النوع من النشاط وبسبب الخبرة التي

* لم تذكر مصادر الإرسالية اسم هذا الشخص ولا مهنته بالتحديد ولا حتى ما إذا كان مسيحياً أو محولاً إلى المسيحية أو مسلماً.

** لقد حددت هنا الفترة الزمنية حتى عام ١٩٤٩ وهو العام الذي شهد بناء أول مستشفى حكومي في الكويت، وهو المستشفى الأميري الذي يعاد بناؤه الآن.

اكتسبوها في مناطق أخرى من ميدان عملياتهم.

لقد استقبل الناس في الكويت الخدمة الطبية الحديثة بسرور، وبدأوا يأتون إلى المستشفى يومياً للعلاج، وأخذ عدد المرضى يزداد تدريجياً. ويوضح الجدول التالي عدد الحالات التي تلقت العلاج في عام ١٩١١ وهي السنة الأولى لتقديم مثل هذه الخدمة الطبية فيها، وترينا الأرقام التالية مدى تقبل الناس السريع للخدمة الطبية الحديثة التي كانت تقدمها الإرسالية:

جدول رقم ٣ : ٥

الحالات	العدد	نوع العلاج	العدد	
حالات جديدة	٢٣٨٧	عمليات جراحية	١٦٥	ملاحظات
حالات قديمة	٤٢٨٧	استخدام الكلوروفورم	٢٥ مرّة	
		النوفوكين	٥١	

Source: Dr. Malrey, Neglected Arabia, 191, P. 15.

واستمرت الخدمة الطبية في الإمارة على نحو طبيعي، وفي عام ١٩١٣ ازداد عدد المرضى بشكل ملحوظ، حيث بلغ حوالي ٤٥٢١. وقد كتبت الدكتورة كالفرلي (Caleverly) وهي أول طبيبة عملت في الكويت تقول: «لقد كان التقدم في هذه السنة (١٩١٣) بطيئاً ولكنه مستمر، ولم يكن هناك ما يدعو لتثبيط العزائم. وقد ازدادت صداقة الشعب والشيخ لنا، والعمل التبشيري في المستشفى يتقدم تقدماً ثابتاً»[٦٧]. وفي العامين الأولين من الخدمة الطبية في الكويت كان معظم المرضى من البدو، وكان عدد من المرضى يأتون من منطقة الفاو عند مصب شط العرب إلى الجنوب من البصرة. وقد سيطر البدو على الموقف سيطرة تامة، بأعدادهم الكبيرة.



السيد حيدر خليفة الذي عمل في مستشفى الارسالية فترة طويلة كممرض ومصور أشعة

وكان هؤلاء النساء والرجال يأتون من أماكن بعيدة، حيث كان بعضهم يأتي للعلاج من المناطق الداخلية في شبه الجزيرة. لقد بذل أطباء الإرسالية جهوداً كبيرة في مكافحة أمراض متعددة بما فيها الأمراض المزمنة والأمراض المعدية. وفي عامي ١٩١٥، ١٩١٦ ازدادت أعداد المرضى كما يوضح الجدول رقم ٣ : ٦. وتوضح هذه الأرقام ازدياد عدد المرضى بالمقارنة بالسنوات السابقة، وتدل أيضاً على تحسن موقف النساء من الخدمة الطبية الحديثة والتي كانت تنمو جنباً إلى جنب مع نمو الخدمة الطبية للرجال. ولا نبالغ إذا قلنا أن موقف الناس من الطب الحديث كان مشجعاً وجيداً حيث أصبحوا ينظرون إليه بعين التقدير والاحترام:

جدول رقم ٣ : ٦

الزيادة في عدد الحالات في الكويت في سنتي ١٩١٥ - ١٩١٦

العلاج في المستشفى	عدد الحالات	العلاج في العيادة	عدد الحالات	الجنس	الأجور
جراحة	١٨٢	حالات جديدة	٦١٦٦	ذكور ورجال	٧١١ روبية
أمراض عيون	١٣	حالات جديدة	٧٩٦	إناث	٣٠٠
أمراض باطنية	٩	أسنان	١٩٨٦	نساء	

لقد كان العمل التبشيري الديني في المستشفى يجرى بنشاط، حيث كان السيد ميخائيل بائع الكتب الدينية التابع للإرسالية يقضي بعض الوقت صباح كل يوم مع مرضى العيادة، وأصبح يبيع عدداً أكبر من الكتب الدينية لمرضى المستشفى[٦٨]. ونتيجة لذلك فقد كان للمستشفى وظيفة مضاعفة طبية وتبشيرية، وكل من هذين المظهرين يخدم غاية واحدة وهي غاية دينية تهدف إلى تنصير سكان الخليج العربي والجزيرة، الهدف الأساس الذي جاءت الإرسالية إلى المنطقة من أجل تحقيقه.

لقد كان مستشفى الإرسالية في الكويت يعالج المرضى من الجنسين في بادىء الأمر، ولكن تبين أن هذا الأمر يخلق كثيراً من المصاعب وأخيراً تمت الموافقة على بناء مستشفى للنساء، وبدأ العمل في بنائه بعد الانتهاء من مستشفى الرجال بقليل، وانتهى العمل فيه عام ١٩١٦. وفي تلك السنة قدم الكولونيل جراي (Gray) المعتمد السياسي البريطاني في الكويت هبة مالية قدرها ١٠٠٠ روبية للمستشفى! وهناك عدة تفسيرات محتملة لهذه المساعدة:

أولها: ان المقيمين البريطانيين في الكويت كانوا يتلقون العلاج في مستشفى ومستوصف الإرسالية، وكانت هذه المساعدة اعترافاً بالجميل[٦٩].

ثانياً: إن العلاقة التي تربط القنصلية البريطانية والإرسالية في هذه الإمارة كانت جيدة كما ذكرت ذلك الدكتورة كالفرلي مرات عدة في كتابها «كنت أول طبيبة في الكويت»، فالمساعدة المالية إذن مقدمة للأصدقاء.

ثالثاً: الموقف البريطاني من نشاط الإرسالية في منطقة الخليج العربي والرغبة في توثيق العلاقات معها لمعرفة إنْ كان للولايات المتحدة الأمريكية أية أهداف سياسية في المنطقة أم لا، وسنتعرض لهذا الأمر بالتفصيل في فصل قادم.

رابعاً: ان المعتمدين السياسيين البريطانيين كانوا أيضاً من المسيحيين البروتستانت، ولهذا يمكن أن يكون الكولونيل (جراي) قد قدم هذه المساعدة بدافع شخصي محض، لا بصورة عامة.

إن الخدمة الطبية في الكويت لم تتأثر كثيراً بسبب الحرب العالمية الأولى، بل استمرت وتوسعت بصورة طبيعية. وفي عام ١٩٢١ أهدى

الشيخ سالم حاكم الكويت قطعة جديدة من الأرض للإرسالية. وفي عام ١٩٢٣ أضاف السيد عبد اللطيف بن عيسى، وهو أحد وجهاء الكويت، قطعة أخرى من الأرض إلى مجمع الارسالية، وقد استخدمت هاتان القطعتان لبناء مستشفى النساء ومساكن الهيئة الطبية. وكانت طاقة كل من المستشفيين حوالي خمسة آلاف حالة سنوياً مع مئة عملية جراحية. وكانت الطاقة المحدودة في السنوات الأولى تسبب إرهاقاً كبيراً للهيئة الطبية أثناء انتشار الأوبئة عندما كانت قدرة الهيئة الطبية على التحمّل تخضع لتجربة قاسية. وقد قدم أعضاء الهيئة الطبية خدمة كبيرة في شهر أكتوبر عام ١٩٢١، عندما هاجم الأخوان* قرية على حدود الكويت، وقد توترت على أثرها العلاقات بين الكويت ونجد مما أدى إلى الإضرار بمصالح الأولى تجارياً. وكان الهجوم واسعاً مما أدى إلى أن يقع العديد من الرجال بين قتلى وجرحى حيث نقل إلى مستشفى الإرسالية مئة وعشرون جريحاً ليقوم الدكتور (ملري) بعلاجهم وهو عدد كبير بالمقارنة بعدد سكان الكويت في ذلك الوقت.

ومنذ عام ١٩٢٩ زاد الاقبال على مستشفى النساء، حيث دل ذلك على ثقة النساء به وتقديرهن لما يقدمه من خدمات. وكان حجم العمل في عام ١٩٣١ مرضياً ومريحاً للإرسالية، فقد كان مجموع الخدمات التي قدمتها العيادة أضخم بكثير مما سبق تسجيله، حيث وصل عدد الحالات

---

* الأخوان: اسم يطلق على أتباع محمد بن عبد الوهاب قائد الحركة الوهابية. وقد بدأت هذه الحركة في أوائل القرن الثامن عشر في وسط شبه الجزيرة العربية وأخذت تدعو إلى إحياء الإسلام وتطهيره من البدع. وكان محمد بن عبد الوهاب يعتقد أن الإسلام قد دخله الكثير من الضلال. وكان يدعو إلى العودة بالإسلام إلى ما كان عليه. وكانت حركته دينية سياسية انتشرت في شبه الجزيرة العربية وخارجها حتى وصلت العراق وسوريا، ولكن نفوذها الرئيس ظل في نطاق شبه الجزيرة العربية (٧٠).

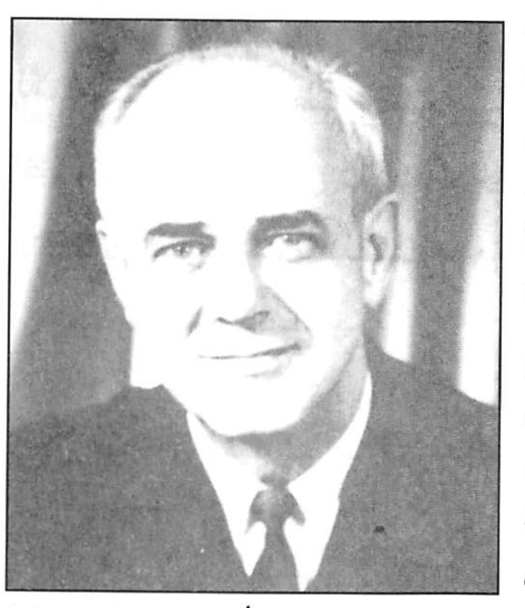
التي عُولجت في ذلك العام إلى (٢٧٠٤٢) مريضاً، وكان الدكتور (ملري) يعالج (٢٦٣) مريضاً يومياً أثناء الصيف، وذلك يدل على نجاح في العمل مع العناية الخاصة التي كانت توليها الإرسالية للعائلة الحاكمة[٧١] عرفاناً بالجميل لسماحها لها بالعمل، وطمعاً في كسب حماية ومساعدة الحكومة. وفي عام ١٩٣٢ انتشر أسوأ وباء للجدري في تاريخ المنطقة بأسرها وأدى إلى وقوع العديد من الوفيات، وقد شكل ذلك تحدياً وعبئاً كبيراً على الإرسالية إلى درجة أن الانتشار السريع لهذا الوباء والنتائج المترتبة عليه كان أمراً صعباً واجه الإرسالية، وذلك لصعوبة السيطرة عليه نظراً لوجود القوافل التجارية التي تمر بالكويت في طريقها إلى شبه الجزيرة العربية واستمرارية حركتها.

وبعد انتهاء الوباء كانت النتيجة أعداداً كبيرة من الوفيات وفقدان البصر والتشوه. وتلا ذلك مشكلة أخرى؛ ففي أثناء انتشار الوباء لم يكن الوقت يسمح بعلاج الحالات المرضية الموجودة، مما أدى إلى استفحال خطرها، واحتاج الأمر وقتاً طويلاً وجهوداً شاقة حتى عادت الحالة الصحية في المنطقة إلى حالتها الطبيعية.

ومنذ ذلك الوقت والخدمة الطبية المقدمة للنساء في الكويت في حالة تحسن مما شجع الإرسالية على بناء مستشفى للولادة عام ١٩٣٣. وكان من أهم المشكلات الطبية في المنطقة أمراض الغواصين على اللؤلؤ، وقد بذل الأطباء كل ما لديهم من طاقة للقضاء على انتشار الأمراض الناتجة عن الغوص. كما انتشرت الأمراض الناتجة عن سوء التغذية أيضاً.

وكان الدكتور (ملري) مسؤولاً عن هذه الحملة في عام ١٩٣٤. وقد استطاع أن يقنع ربابنة السفن باستعمال عصير الليمون والخل والزبدة، بدلاً من الزيوت النباتية الرخيصة لطهي الأرز، وبهذا لم يعد يظهر أثر لهذه الأمراض في موسم الغوص التالي بالشكل الذي كانت تظهر فيه[٧٢].

وكانت الأحوال الطبية في المنطقة بحاجة إلى مزيد من الجهود لمعالجة مشكلاتها الصحية، ولهذا افتتح حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر «مستشفى الكويت التذكاري للنساء» في عام ١٩٣٨، وبدأ عهد جديد في عمل الإرسالية الطبي للنساء والأطفال. وتم تعيين ممرضة بشكل مؤقت في هذا المستشفى، وتعهدت شركة نفط الكويت بدفع جميع النفقات باتفاق ودي مع الإرسالية، والذي تعهدت بموجبه الإرسالية بتوفير العناية الطبية لموظفيها. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كلف طبيب الإرسالية بالإشراف على الحجر الصحي لبعض الوقت، ونظراً للنقص في الهيئة الطبية للإرسالية، فقد كان لذلك أثر في الخدمة الطبية. وبعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأت الحكومة الكويتية تهتم بالخدمة الطبية الخاصة بها.



الدكتور لويس سكدر من أشهر الاطباء الذين عملوا في الكويت ولفترة طويلة حتى بعد تسلم وزارة الصحة لمستشفى الارسالية

وقد مكنت عائدات النفط الإمارة من تطوير الخدمة الطبية، ونتيجة لذلك بدأت بإقامة المستشفيات والمستوصفات الحديثة منذ بداية الخمسينات. وبما أنه لم يكن يوجد أطباء من أهالي البلاد في ذلك الوقت، فقد استقدمت الحكومة أطباء من البلاد العربية للعمل في مستشفيات الإمارة. ومن الجدير بالذكر أن العدد المحدود للسكان آنذاك مكن الحكومة من

تزويد البلاد بما تحتاجه من مستلزمات الخدمة الطبية وبازدياد السكان وتطور الخدمة الطبية الحكومية أصبح من الطبيعي أن يُثار السؤال التالي: هل لا تزال هناك حاجة إلى نشاط الإرسالية الأمريكية العربية الطبي؟ وعلى أية حال فإن الإرسالية استمرت في تقديم الخدمة الطبية حتى عام ١٩٦٧ عندما بادرت بتسليم مستشفياتها إلى الدولة، وتم نقل معظم العاملين فيها إلى مستشفيات الحكومة، واقتصر نشاط الإرسالية في الكويت منذ ذلك الحين على الخدمات الدينية العادية للمسيحيين الذين قدموا للعمل في الكويت من مختلف البلدان العربية والأجنبية بعد اكتشاف النفط.

الخدمات الطبية للإرسالية في المحطات الفرعية:

أولاً – العمارة والناصرية:

كان يُنظر إلى العمارة دوماً على أنها بقعة مهمة، فهي القاعدة التي يمكن الوصول منها إلى عشرات القرى المنتشرة على ضفتي نهر دجلة إلى شرقي العراق وغربيّة.

لقد بدأت الخدمة الطبية في هذه المدينة في نهاية عام ١٨٩٥ بعد أن قام رجال الإرسالية الأمريكية العربية في البصرة بعدد من الرحلات الطبية إليها. وقاموا بمعالجة الأهالي هناك، والذين كانوا يعانون من أمراض كثيرة خاصة «مرض الملاريا» الذي كان منتشراً بسبب المستنقعات ومزارع الأرز. ولكن الخدمة الطبية لم تصبح منتظمة هناك إلاّ في عام ١٩١٤ عندما افتتحت الإرسالية عيادة فيها، واعتبرت العمارة محطة فرعية تابعة للبصرة.

وعمل الدكتور ورال (Worral) هناك بنشاط لمدة أربع سنوات.(١٨٩٥ – ١٨٩٨)، وعالج العديد من الحالات المرضية لكن الحاجة إلى العلاج

كانت أكبر من طاقته بكثير[٧٣].

لقد أولت الإرسالية نشاطها التبشيري الديني أهمية مع الجهود الطبية التي كانت تقوم بها، وقد تكفل السيد فان إيس وزوجته – (Mr. and Mrs Van Ess)، بهذه المهمة إضافة إلى عملهما في البصرة. وبالرغم من الجهود التي بذلها أعضاء الإرسالية دينياً لم تحقق النجاح المطلوب في التأثير على الناس وتحويلهم عن دينهم، وسنشرح هذا الأمر في الفصل الأخير من هذه الدراسة.

وبقيت الخدمة الطبية (النشاط الفعّال للإرسالية)، حيث لم يعرقل هذا النشاط أي شيء بسبب الطبيعة الإنسانية لهذا النشاط وحاجة الناس الماسة إليه في ذلك الوقت.

وفي عام ١٨٩٧ كانت الخدمة الطبية تسير بانتظام وجرى تسجيل الاحصائيات التالية، والتي بدون شك تعبّر عن الجهود الكبيرة التي بذلها أعضاء الإرسالية في هذا الميدان رغم قلة عددهم:

جدول رقم ٣ : ٧

الديانة	عدد الحالات	الجنس	عدد الحالات	نوع العلاج	العدد
مسلمون	١٢٥٣	رجال	٦٧٣	عيون	٤٩٥
مسيحيون	١٣٥	نساء	٤٩٤	جراحة	٢١٢
يهود	٤٥	أولاد	٢٠٥	باطني	٧٩٠
صابئة	٦٤	بنات	١١٦	باطني	١٤٩٧
	١٤٩٧		١٤٩٧		

Source: Neglected Arabia, 1897, pp. 10 - 11

وفي السنوات القليلة التالية كانت الخدمة الطبية في العمارة طبيعية ومنتظمة، لكن، أثناء الحرب العالمية الأولى اضطربت هذه الخدمة، حيث أصبحت المدينة واحدة من أكبر معسكرات الجنود البريطانيين بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، لأهمية موقعها الذي يسيطر على طريق بغداد أو

عاصمة البلاد. وقضى رجال الإرسالية معظم وقتهم في خدمة الجنود البريطانيين هناك. وكان من أثر ذلك حرمان الأهالي من العناية الطبية المعتادة مما أدى إلى وجود متاعب للإرسالية بعد الحرب لأن العديد من الحالات المرضية أُصيبت بمضاعفات خطيرة نتيجة عدم حصولها على العلاج اللازم في فترة الحرب، وهكذا فإنَّ المدينة قد تأثرت بالأوضاع السياسية والعسكرية التي كانت سائدة آنذاك.

وبعد انتهاء الحرب تغير الموقف نتيجة وقوع العراق تحت الانتداب البريطاني. وكان موقف الإرسالية هو مراقبة الموقف الجديد بيقظة وهي تتطلع إلى إعادة خدمتها الطبية إلى المدينة والتي انقطعت خلال سنوات الحرب ولم ترجع الخدمة بالفعل إلى حالتها الطبيعية إلاّ عام ١٩٢٦ عندما شعرت الإرسالية بالاطمئنان على سلامة نشاطاتها حيث أقدمت على تطوير خدماتها هناك.

وكانت الخدمة الطبية في العمارة تعتمد على المحطة الرئيسة في البصرة. فقد حولت الإرسالية المنحة الخاصة بمستشفى لانسنج التذكاري (The Lansing Memorial Hospital) في البصرة إلى محطتها الفرعية في العمارة، واشترت المبنى الذي أقامه صندوق لانسنج التذكاري. ويعود السبب في ذلك إلى أن الإرسالية قد تمكنت من تلبية حاجات البصرة الطبية في حين كانت العمارة في حاجة ماسة إلى خدمة طبية مناسبة، لذا فإن الخدمة الطبية في العمارة قد أقيمت على قواعد ثابتة منذ البداية وقامت بدور فعّال أثناء انتشار الأوبئة خاصة وباء التيفوئيد، وعاد المرضى القدامى بأعداد كبيرة لمراجعة مستشفى ومستوصف الإرسالية بعد إعادة افتتاح الخدمة الطبية في العمارة، مما يدل على عودة ثقة الناس بهذا النشاط من جديد، كما أن عدد المرضى أخذ يزداد وبعضهم من المناطق البعيدة. بعد ذلك أصبح الأمر يتطلب

التوسع في الخدمة الطبية فتم بناء المستشفى الجديد مع الملحقات اللازمة لإقامة أعضاء الهيئة الطبية من الجنسين.

وقد واجهت الإرسالية صعوبة جديدة في ذلك الحين بسبب موجة المعارضة التي أُثيرت في العمارة عندما استخدم المبشرون المستشفى لأغراض تبشيرية دينية إضافة إلى النشاط الطبي المعتاد، ولكن المعارضة تلاشت بدون أن يكون لها أثر في النشاط الطبي للإرسالية.

وفي عام ١٩٣٠ ذكر الدكتور موردايك (Dr. Moerdyk) في تقرير له أنه بالرغم من المعارضة الشديدة، فإن الخدمة الطبية ظلت صامدة ولم تتأثر، وكانت عيادات الرجال والنساء واسعة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المرضى، كما أن الإرسالية كونت العديد من الصداقات بسبب ما تقدمه من خدمات. وقد ساعدت الزيارات الخارجية العديدة التي يقوم بها الطبيب على فتح المنطقة أمامه. وكان الطبيب يشرف مباشرة على معالجة النساء حيث خصص صباحاً كاملاً في العيادة لمعالجة جميع الحالات. والواقع أنه كان من الصعب على طبيب واحد أن يقوم بتلبية حاجة كل الجموع التي كانت تزدحم للعلاج، مما نتج عنه عدم توفر العناية الكافية التي يحتاجها المريض.

وكانت السيدة (موردايك) زوجة الطبيب تساعدها ممرضة عراقية تقوم بجميع العلاجات وبعمليات التسجيل وتنظيم المراجعات إضافة إلى القيام بالأعمال الروتينية في جميع الأيام ومساعدة الدكتور (موردايك) أثناء العمل.

وفي عام ١٩٣١ فرضت الحكومة العراقية أنظمة وقيوداً جديدة على المستشفيات والمؤسسات والخدمات الطبية غير الحكومية، مما جعل نشاط الإرسالية صعباً. وكان المبشرون يفضلون لو أن الأمور بقيت على حالها، ولكن وضع الخدمات الطبية تحت مراقبة الحكومة المحلية كان

خطوة طبيعية ترمي إلى تأمين هذا النوع من الخدمة الحكومية.

وفي تلك السنة ١٩٣١ قامت الآنسة دالينبرج (Dalenbarg) بجولات عدة في قرى المنطقة حيث عالجت الكثيرين من المرضى، وقد أقنعتها تلك الرحلة بحاجة الناس الماسة إلى خدمات القبالة والتوليد والتي لم تكن تتوفر لهم إلا بشكلها التقليدي. وقد قامت الإرسالية بتلبية هذه الحاجة بسرعة في السنوات التالية وقد كتبت الآنسة (دالينبرج) تقول:

«لقد أتت صرخات الاستغاثة من أشد الناس فقراً. لقد أُخذوني إلى شوارع البلدة وأزقتها، إلى الأكواخ والزرائب التي تفيض بالشقاء ولا تلمح فيها أثراً للسعادة الإنسانية[٧٤].

وفي سنة ١٩٣٢ كتب الدكتور (موردايك) قائلاً: «لقد تحسنت الخدمة الطبية كثيراً في العمارة في هذه السنة... وربما تكون أفضل تجربة أمر بها في هذا العام هي الدور الذي استطعت القيام به في مكافحة وباء الكوليرا، وبالرغم من أن المرض قد انتشر في جميع أرجاء منطقة العمارة لكننا تمكنا من السيطرة عليه في البلدة نفسها في أقل من أسبوعين. وإضافة إلى ذلك فإن الآنسة دالينبرج وأنا قد سعدنا بالسماح لنا بالمساهمة في تطعيم سبعة آلاف شخص في أقل من شهر ونصف الشهر... كما أن طبيب الحكومة يستحق الشكر لما قام به من جهود جبّارة للسيطرة على الوباء[٧٥].

وكان مرض «الجذام» واحداً من أهم مشكلات مدينة العمارة. ومنذ إعادة الخدمة الطبية فيها سنة ١٩٢٦ والدكتور (موردايك) يظهر اهتماماً بالغاً بحالة المصابين بالجذام. وبدأ معالجته لهذه الحالات بشكل محدود وتدريجياً تمكن من أن يكوّن منطقة صغيرة معزولة للمجذومين في مكان لا يبعد كثيراً عن المستشفى، وقدم إليهم ما يحتاجونه من الاهتمام والرعاية الطبية على نحو شبيه بما حدث في مسقط، ولكن

المرض كان أقل شيوعاً هنا مما كان عليه في مسقط.

وكانت الإرسالية تفكر كثيراً في إقامة خدمة جراحية في المنطقة، وقد قامت بذلك فعلاً في ١٩٤٨ عندما بدأت بإجراء عمليات جراحية للعيون، كما قام طبيب الإرسالية بالتعاون مع طبيب الحكومة في إجراء عمليات الفتق وغيرها مما يدل على ثقة الدولة بالخدمات الطبية التي تقدمها الإرسالية.

وفي عام ١٩٥٠ افتتحت عيادة للأطفال وحققت نجاحاً عظيماً. وقد ساهمت المختبرات في الخدمة الطبية وكانت الإمكانات لا بأس بها في تلك الأيام لإدخال هذا النوع من التحسينات. وقد قام بالعمل في العمارة أعداد متعاقبة من الأطباء والممرضات هم: الدكتور مورديك وزوجته والدكتور سكدر وزوجته (Dr. and Mrs. Scudder) والدكتور هوسينكفلد وزوجته (Dr. and Mrs Heusenkveld) والدكتور فوس (Dr. Voss) والدكتور بوش (Dr. Bosh) والدكتور نايكرك (Dr. Nykerk)، وكذلك الممرضات الآنسة (كورنيليا دالينبرج والآنسة جانيت فلدان والسيدة ج. هولمر والآنسة ج. بوسما والآنسة كريستين فوس والآنسة آن دي يونج والآنسة إيلين شمالذريت)، هؤلاء جميعاً خدموا في العمارة لمدد تختلف طولاً وقصراً[٧٦]. وقد توقف العمل في هذه المنطقة في عام ١٩٥٩ بعد الثورة التي قامت في العراق عندما أُجبرت الإرسالية على مغادرة البلاد[٧٧].

وما قدمناه هو صورة عن النشاط الطبي للإرسالية الأمريكية – العربية، في العمارة في العراق أولى المحطات الفرعية التي أقامتها الإرسالية.

والمحطة الفرعية الأخرى في العراق هي الناصرية، وتحتل هذه المدينة موقعاً مهماً على نهر الفرات، وكانت من الناحية الطبية تحت إشراف إدارة الإرسالية في البصرة والعمارة، ولم تكن الخدمة في هذه المدينة منتظمة

فـي أغـلب الأحـيــان، ويـرجـع ذلك إلـى الـنقص فـي أفـراد الـهيئـة الـطبيـة للإرسـاليـة.

وكانت المنطقة تعاني من أمراض تشبه الأمراض التي كانت تنتشر في العمـارة، وكـانت حـالـة الأهـالي الصحية تعيسة إلى أن بدأت الـحكومـة بتقديم الـخدمـات الطبية للسكان في أواخر الثلاثينـات*. وفـي خلال الحرب العالمية الثانية تخلت الإرسالية تدريجياً عن نشاطها في تلك المحطة النـائيـة.

ثـانيـاً – الـخدمـات الطبية لـلإرسـاليـة فـي مطرح:

تحتل مطرح موقعـاً ممتـازاً في عُمَان قريبـاً من مسقط. وهـي البوابة المؤدية إلى منـاطق عُمَان الداخلية. والطبيب الذي يقيم فيهـا يستطيع أيضاً أن يخدم سكان مسقط وفـي الوقت نفسه يكون لـه تـأثير فـي المنـاطق الداخلية. وقد واجه نشاط الإرسالية في هذه المحطة بعض المعـارضـة في بداية الأمر، ولكن هذه المعـارضة سرعـان مـا انتهت، وبدأت الـخدمـة الطبية هنـاك بنشاط شأنـهـا شأن المنـاطق الأخرى حيث بلغ عدد الحـالات التي عولجت في العـام الأول ١٨٩٧ (١٠٠٠٠) حـالة مرضية[٧٨]. ويعطينـا هذا الرقم فكرة واضحة عن الحـالة الصحية الصعبة في المنطقة، كما يشير إلى الجهود الكبيرة التي بذلها المبشرون في ميدان الـخدمـة الطبيـة.

لقد بدأت الـخدمـة الطبية في مطرح بوصول الدكتور شارون تومس

---

* إنّ الخدمات الطبية التابعة للحكومات المحلية في المناطق التي عملت فيها الإرسالية العربية جاءت بعد فترة من نشاط الإرسالية الطبي. وهنـاك احتمالان لهذا، الأول: أن هذه الحكومات شعرت بالتحدي عندما قدمت الإرسالية الخدمة الطبية في بلادها وهي أي الحكومات المحلية غير قادرة على توفير مثل هذه الخدمة للناس. والاحتمال الثاني: هو الخوف من مصاحبة النشاط الديني للنشاط الطبي حيث شكلت معارضة رجال الدين تياراً ضاغطاً على هذه الحكومات لسحب البساط من تحت أقدام الإرسالية. طبعاً يجب ألا نغفل أن بعض المناطق أصبحت قادرة على تقديم الخدمة الطبية الحديثة بعد أن تحسنت أوضاعها المادية.

(S. Thoms)، وفي عام ١٨٩٧ استطاع هذا الطبيب في سعيه لإقامة محطة فرعية هناك أن يضع الأساس لخدمة طبية ناجحة في المنطقة في السنوات الأولى من وصوله، ولكن العمل هناك توقف بسبب الاجازة التي قام بها هذا الطبيب في سنتي ١٩١٠ و١٩١١.

وقد عيِّن الدكتور بول هاريسون (P.Harrison) للقيام بالعمل نيابة عنه أثناء غيابه. وبعد أن استلم الدكتور (هاريسون) العمل قام بجولات عدة في أنحاء مختلفة من عُمان. وعندما عاد الدكتور (تومس) من اجازته استمر في نشاطه الطبي. لقد كان المرضى يأتون للعلاج أيضاً من الأجزاء الداخلية من عُمان مما كان يشكل ضغطاً إضافياً على خدمة الإرسالية الطبية، ولنا أن نتصور أن طبيباً واحداً يقوم بهذه الجهود كلها في منطقة متخلفة مثل عُمان. فالعبء الذي كان يتحمله كبيراً والخدمة التي قدمها جليلة. وفجأة وصلت إلى الإرسالية أنباء سيئة مفادها أن الدكتور تومس قد توفي إثر سقوطه على صخور الشاطىء العماني في مسقط عام ١٩١٣، وقد سبق أن أشرنا إلى هذا الحادث.

ومما لا شك فيه أن موت الدكتور (تومس) المفاجىء قد أدى إلى توقف الخدمة الطبية ولكن محضّر الأدوية قام بالعمل اليومي في المستوصف تحت إشراف الدكتور (بول هاريسون) الذي جاء من محطة الكويت في زيارة امتدت بضعة شهور، ومن المؤسف القول إن الخدمة الطبية في مطرح قد توقفت بسبب فقدان الدكتور (تومس).

ولم تقتصر خسارة الدكتور (تومس) على توقف الخدمة الطبية اليومية، بل أيضاً توقف مشروع بناء مستشفى في مطرح، والذي بذل مساعيه لإقناع السلطات المحلية بشراء أو استئجار قطعة أرض لإقامة مستشفى عليها.

إن المساعي لإنجاز هذا المشروع قد توقفت لأن الأطباء الذين خلفوه لم تتهيأ لهم الفرص نفسها التي كانت مهيأة له للسير قدماً فيه[٧٩]، بسبب

تغير الظروف والعلاقات بين الجانبين: الإرسالية والحكومة المحلية. ولكن هذا الوضع لم يدم طويلاً. وأخيراً سنحت الفرصة للإرسالية مرة أخرى لتحقيق ما كان الدكتور تومس يخطط ويسعى له. وكان الدكتور تومس قد قدم خدمات جليلة في ميدان عمله الذي بدأه منذ سنة ١٨٩٧ وتابع نشاطه طوال خمس عشرة سنة متنقلاً بين البصرة والبحرين ومطرح. ولو أنه عاش إلى أن ينتهي بناء المستشفى في مطرح لأقام الخدمة الطبية على أسس وطيدة، كما فعل في البحرين قبل ذلك.

ويوضح تقرير الإرسالية الطبي لعام ١٩١٤ أن الاتصال بين مطرح والمناطق الداخلية قد انقطع طوال ذلك العام والأعوام اللاحقة، ولكن حجم العمل في مطرح بلغ درجة من الضخامة تدعو إلى الاستغراب. ولكن الذي يعرف ظروف عُمان الاجتماعية والاقتصادية يرى أن ذلك أمر طبيعي. فقد تمت معالجة ما يزيد على ٤٥٠٠ مريض في سنة ١٩١٤ [٨٠].

وبعد وفاة الدكتور (تومس) توقف العمل الطبي في مطرح لأن الدكتور (هاريسون) الذي تولى العمل مكانه كان لفترة وجيزة لأنه مسؤول عن مهمات طبية في مناطق أخرى من الخليج. ومضت فترة طويلة قبل أن تتمكن الإرسالية من إرسال طبيب إلى مطرح ثانية لمواصلة النشاط الذي بدأه الدكتور (تومس)[٨١]. وفي عام ١٩٢٧ أُعيد افتتاح الخدمة الطبية في تلك المدينة، وبالتدريج أصبحت هذه الخدمة طبيعية ونشيطة. إن الفراغ الذي نتج عن وفاة الدكتور (تومس) كان مليئاً بالآلام والأحزان والذي جعل طريق من جاءوا بعده صعباً. وفي عام ١٩٣٣ أصبح في الإمكان اعتبار خدمات الإرسالية في مطرح منتظمة بعد مشقة واجهها الذين جاءوا لمواصلة الخدمة الطبية. وفي عام ١٩٣٤ صمم القس ديرك دايكسترا (Dirik Dykstra) مستشفى للنساء في مطرح وأشرف بنفسه على بنائه مما شجع أعداداً كبيرة من النساء على الإقبال على العلاج الحديث.

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية مرت الخدمة الطبية في مطرح بالظروف نفسها التي مرت بها مسقط. وقد حصل بعض التوقف بسبب تأثر عُمان بظروف الحرب لموقعها الاستراتيجي المهم، ولكنه لم يكن توقفاً خطيراً، حيث استمرت الخدمة الطبية بالرغم من بعض الصعوبات التي واجهتها في الاتصال بقيادة الإرسالية في الولايات المتحدة ويحصول الإرسالية في هذه المنطقة على الأدوية والأجهزة والتموين.

وفي عام ١٩٤٨ حان الوقت لتحقيق حلم الدكتور تومس في المنطقة، عندما أهدى سلطان مسقط الإرسالية – في ذكرى الدكتور تومس – قطعة من الأرض لبناء مستشفى لمعالجة الأمراض المعدية، وبني على أثر ذلك (مستشفى شارون تومس التذكاري). ونظراً لأن المنطقة كان تعاني من مرض «الجذام» أُضيف إليه مبنى آخر في المجمع نفسه لمعالجة ورعاية المجذومين. وفي سنة ١٩٤٨ نفسها عولجت أربعمئة إصابة بالسل ومئة وأربعون إصابة بالجذام في ذلك المستشفى [٨٢]. وفي السنة التالية وبعد موت الدكتور تومس بوقت طويل ذهب ابنه الدكتور ويلس تومس (Thoms Wells) ليعمل مبشراً في المنطقة نفسها التي خدمها والده ليكمل الرسالة التي بدأها هناك. وفي الواقع ان الدكتور (ويلس تومس) وزوجته، حتى عام ١٩٥٥ كانا هما الغربيين الوحيدين في المنطقة اللذين يعرفان المناطق الداخلية من عُمان معرفة جيدة لأنهما كانا يقومان برحلات منتظمة إليها بين الحين والآخر.

وقد تسلم الدكتور موريس هوسينكفلد (Dr. M. Heusenkveld) زمام المسؤولية في مستشفى الإرسالية في مطرح فيما بعد، والدكتور المذكور من المختصين في المسائل الفيزيولوجية ممن لهم خبرة طويلة في محطات الإرسالية الرئيسة والفرعية كالكويت والبحرين والعمارة.

والواقع أننا يمكن أن نعتبر العمل في مطرح من بعض النواحي عمل

محطة رئيسة ولو تمكنت الإرسالية من افتتاح محطة فرعية لها في داخل عمان، فإن مطرح بالتأكيد تصبح محطة رئيسة. وكان رجال الإرسالية يطمحون إلى ذلك ولكن هذه الجهود لم تكن تصادف النجاح مما اضطر الإرسالية إلى إلغاء الفكرة، كما حدث لمنطقتي قطر والزبير مع الأخذ بعين الاعتبار اختلاف الظروف التي واجهت الإرسالية في كل منطقة من هذه المناطق.

الخدمات الطبية للإرسالية في قطر والزبير:

تقع قطر على ساحل الخليج العربي إلى الجنوب الشرقي من البحرين، وكانت إمارة صحراوية صغيرة عدد سكانها الآن حوالي مئة وخمسين ألفاً وتظهر على الخريطة على شكل ذراع ممتد من شبه الجزيرة العربية.

لقد قام المبشرون برحلات عدة إلى قطر لافتتاح محطة فرعية فيها. وفي عام ١٩٤٣ قام الدكتور شاندي (Dr. Chandy) وهو طبيب هندي الجنسية يعمل في مستشفى الإرسالية في البحرين بثلاث رحلات إلى قطر، كما قام كل من السيد ملري والسيد ستورم برحلات مماثلة. وكان للنقص الحاد في المعدات الطبية أثناء الحرب العالمية الثانية أثر سلبي على الرحلات وعلى نشاط المبشرين في المحطات أيضاً. وفي عام ١٩٤٧ بدأ حكام قطر يلحون في طلب الخدمة الطبية. وكان المبشرون قد عرفوا المنطقة من خلال رحلاتهم كما نمت بينهم وبين أمرائها علاقات من الصداقة والثقة، مما أدى إلى أن يطلب شيخ قطر من الإرسالية تزويد بلاده بالخدمات الطبية، كما وعد الإرسالية بأن يقوم ببناء مستشفى تديره الإرسالية على أن تكون محطة فرعية تابعة للبحرين[٨٣].

وفي خريف عام ١٩٤٧ أصبح المستشفى جاهزاً للعمل، فرحل الدكتور (ستورم) مع عدد من أعضاء الهيئة إلى قطر لتهيئة المستشفى وإعداده

للخدمة الفعلية واستخدمت الهيئة الطبية في بداية الأمر أحد المباني الجاهزة واتخذت منه عيادة مؤقتة إلى أن يتم إعداد المستشفى للخدمة الطبية.

وفي عام ١٩٥٢ قررت الإرسالية فجأة التخلي عن العمل في قطر بسبب النقص في أعضاء الهيئة الطبية، وأصبح من الواضح أن عليهم إما تعيين شخص متفرغ لهذا النوع من الخدمة أو التخلي عن الإلتزام في إقامة هذه المحطة الفرعية كلية. ولم يعد من مفر أمام الإرسالية سوى اختيار البديل الأخير عندما اضطر الدكتور نايكرك (Dr. Nykerk) إلى مغادرة ميدان العمل فجأة بسبب مرضه وضاعت على الإرسالية الفرصة للعمل في قطر أو افتتاح محطة فرعية فيها إلى الأبد[٨٤].

وقامت محاولة مماثلة لافتتاح محطة فرعية للإرسالية في الزبير جنوبي البصرة، وكانت الإرسالية تتوق إلى الوصول إلى هذه المنطقة لأنها كانت تعتقد بأنه من الممكن أن تكون مفتاحاً للوصول إلى داخل الجزيرة العربية عن طريق وجود العائلات النجدية فيها[٨٥] التي كانت تتنقل عادة بين شبه الجزيرة والعراق بغرض التجارة مارة بالزبير، حيث كانت هذه الضاحية استراحة لهؤلاء التجار بين البلدين. وقد أدركت الإرسالية أن النشاط التبشيري بين هذه القبائل قد يمهد أمامها الطريق للوصول إلى مناطق شبه الجزيرة الداخلية والتي كان من الصعب الوصول إليها بالوسائل نفسها التي مكنتها من إقامة محطات رئيسة وفرعية في منطقة الخليج العربي.

وقام أعضاء الهيئة الطبية للإرسالية برحلات عدة إلى المنطقة تمهيداً لإقامة نوع من النشاط الثابت فيها، ولكن جهودها لم تحقق أية نتائج إيجابية بسبب قلة أعضاء الهيئة الطبية، وكذلك بسبب الشعور الديني لدى

هذه القبائل والمعارضة للتبشير بتأثير الحركة الوهابية.

ولهذا، فإن محاولة فتح الزبير كمحطة فرعية أخفقت، كما أخفقت من قبلها جهود الإرسالية لجعل إمارة قطر محطة فرعية. وبعد ذلك لم تحاول الإرسالية فتح أية محطات فرعية لها واكتفت بترسيخ نشاطاتها في محطاتها الرئيسة والفرعية القائمة فعلاً.

رحلات الإرسالية الطبية في منطقة الخليج العربي:

لقد كانت الرحلات جزءاً مهماً من نشاط المبشرين في المنطقة، حيث كان واضحاً أن هدفهم هو انتشار نشاطهم في كل الجزيرة العربية وتحويل سكانها إلى المسيحية. وكانوا يقومون برحلاتهم الواسعة إلى داخلها بواسطة القوارب الصغيرة حول شواطىء شبه الجزيرة وأنهار العراق، وعلى الجمال والخيل والحمير فوق الصحراء في قلب الجزيرة وعمان. إن أهم ما يميز هذه الرحلات هو النشاط الطبي الذي كان يقوم به المبشرون الذين كانوا يقدمونه للناس أثناء هذه الرحلات. إن الخدمة الطبية كانت الوسيلة الوحيدة آنذاك لاقتناع الناس والسلطات المحلية في تلك المناطق بقبول المبشرين والسماح لهم بالعمل. وأول مبشر من مبشري الإرسالية دخل شبه الجزيرة العربية هو الدكتور بول هاريسون سنة ١٩١٧، وفي عام ١٩٢٧ قام هو وزوجته والآنسة دالينبرج برحلة ثانية إلى داخل شبه الجزيرة، حيث قاموا بزيارة الدمام والقطيف، وقدموا لأهلها الخدمات الطبية. لقد كانوا من خلال هذه الرحلات يقومون بدراسة الأوضاع الاجتماعية للناس ليستطيعوا أن يبنوا خططهم المستقبلية على ضوئها.

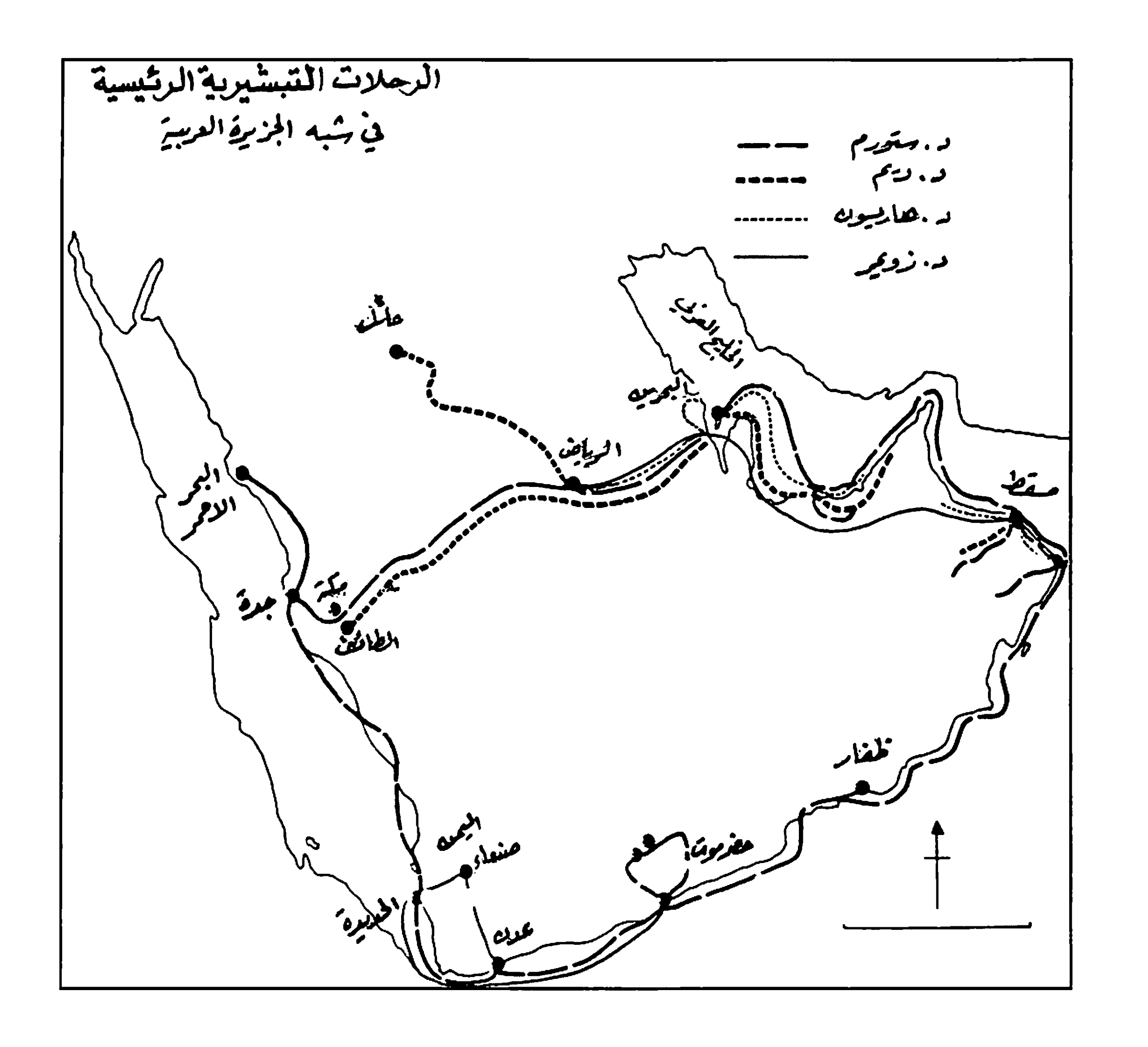
إن المواطنين في هذه المناطق كانوا يتلقون الخدمة الطبية الحديثة للمرة الأولى. وفي عام ١٩٢٩ تلقى الدكتور ديم (Dr. Dame) وهو أحد

أعضاء الإرسالية العاملين في البحرين أثناءها دعوة لزيارة الأحساء* لمعالجة الأمير سعود الابن الأكبر للملك عبد العزيز آل سعود – الذي أصبح ملكاً للسعودية بعد وفاة والده، وأيضاً لمعالجة حاكم منطقة الأحساء، وسمح للدكتور (ديم) أثناء هذه الزيارة بمعالجة البعض من الأهالي. لقد كان الكثيرون من المرضى يأتون منها للعلاج في البحرين لقرب المسافة. وفي عام ١٩٣٢ وصلت إلى الدكتور (ديم) برقية مستعجلة من الملك عبد العزيز آل سعود يدعوه فيها للتوجه إلى الطائف لمعالجة أحد أفراد العائلة المالكة، ورحل الدكتور (ديم) إليها في حوالي أسبوع من البحرين وأقام هناك شهرين لهذا الغرض[٨٦]. وكان أعضاء الإرسالية يرحبون بمثل هذه الدعوات على أمل أن تفتح أمامهم المجال لإقامة نشاط تبشيري في تلك المناطق.

وبعد هذه الرحلات المتكررة شعر المبشرون بعدم وجود عائق كبير يمنعهم من التوغل في شبه الجزيرة لأغراض طبية وتعليمية وتبشيرية. وبعد هذا ادعى المبشرون «ان شبه الجزيرة العربية أصبحت مفتوحة لاستقبال الرسالة المسيحية»[٨٧].

وفي حزيران – يونيو عام ١٩٣٥ قام الدكتور (ستورم) برحلة إلى داخل شبه الجزيرة العربية وكتب يقول: «لقد أُقيمت خدمة مسيحية مهمة في الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية، حيث التقى فريقان من مبشري الإرسالية العربية في العاصمة الصحراوية، وكان الفريق الأول يتكون من الدكتور ديم والقس جـ. فان برسيوم وزوجته، والذين عادوا من الرياض بعد رحلة تاريخية ناجحة جداً في الأجزاء الشمالية من نجد، حيث تمكنوا من زيارة حائل وبريدة وعنيزة. وكانت هذه أولى الرحلات

* تقع الأحساء في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة العربية على ساحل الخليج العربي وفيها معظم منابع البترول في المملكة العربية السعودية، ونسبة كبيرة من سكانها من الطائفة الشيعية.



الرحلات التبشيرية الرئيسية
في شبه الجزيرة العربية
د. ستورم
د. ديم
د. هاريسون
د. زويمر
حائل
الخليج العربي
البحرين
الرياض
مسقط
البحر الأحمر
جدة
مكة
الطائف
ظفار
حضرموت
اليمن
صنعاء
الحديدة
عدن

التبشيرية إلى هذه المنطقة في شمال الجزيرة العربية[٨٨].

ولكن الدكتور (ستورم) لم يحدثنا عن نوع الخدمة المسيحية التي أقيمت هناك، ويبدو أن ما حدث لا يزيد على بيع بعض الكتب المقدسة، والتحدث إلى بعض الناس عن السيد المسيح ورسالته. وفي عام ١٩٣٧ قام الدكتور ويلز تومس برحلة إلى الرياض وقدم الخدمة الطبية للعائلة المالكة بشكل خاص، وقد قام أيضاً بمعالجة البعض من الناس ولكن بأعداد قليلة.

وفي عام ١٩٣٨ طلب الملك عبد العزيز بن سعود من الدكتورة ي. بارني (Dr. Y. Barny) الحضور إلى الرياض، وكانت أول طبيبة تدخل إلى أعماق شبه الجزيرة حيث قضت أربعة أشهر هناك تعالج نساء العائلة المالكة، وفي عام ١٩٤١ قام الدكتور ستورم وزوجته برحلة ثانية إلى تلك المنطقة في حين زار الدكتور هاريسون وزوجته الأحساء في السنة نفسها. وكتب الدكتور هاريسون قائلاً:

«إننا نضع الأسس الصلبة للحصول على موطىء قدم لنا في الصحراء الداخلية الجرداء بين الرجال العجاف نصف الجياع من البدو الذين لا يقهرون. إن الناس يتزاحمون حولنا... وهم بحاجة إلينا أكثر من أي وقت مضى، ولم يعد المعارضون يناصبوننا العداء، وفي واحدة من هذه الرحلات مستقبلاً سنحصل على الإذن الذي نريده لبناء أول صرح تبشيري في معقل الإسلام»[٨٩].

ويستنتج من هذا أن المبشرين قد اعتقدوا أن رحلاتهم إلى داخل شبه الجزيرة العربية وعدم وجود معارضة علنية ضد نشاطهم الطبي دليل على النجاح في إرساء دعائم عمل تبشيري في تلك المناطق، وظنوا أن مضاعفة جهودهم ستكفل لهم تحقيق أهدافهم التبشيرية. لقد كانوا يعتقدون أن نجاحهم في تنصير شبه الجزيرة العربية سيسهل عليهم

الانطلاق إلى المناطق المجاورة الأخرى. وكان الدكتور هاريسون شديد التفاؤل عندما اعتقد أن خدمة الإرسالية الطبية وبيع عدد من الكتب الدينية قاعدة صلبة لكسب سكان المنطقة.

وظل نشاط الإرسالية محصوراً بشكل رئيس بالخدمة الطبية، ولم تنجح في الحصول على موافقة بالبقاء في داخل شبه الجزيرة بشكل دائم وإقامة منشآت ثابتة يمكن أن تؤدي إلى افتتاح محطات تبشيرية جديدة. فقد رفضت الحكومة السعودية أن تسمح للعمل التبشيري بالتواجد على أرضها، ولكنها كانت فقط تريد الاستفادة – خاصة الأسرة المالكة – من نشاط الإرسالية الطبي دون بناء مستشفيات أو مستوصفات داخل المملكة، بل تستدعي أطباء الإرسالية لفترات مؤقتة وقت الحاجة. لهذا فإن الإرسالية قد فشلت بالرغم من كل محاولاتها في إقامة نشاط ثابت ودائم لها هناك.

وكانت جميع جهود الإرسالية على طول ساحل الخليج العربي تهدف في الواقع إلى تطويق شبه الجزيرة، ومن ثم التغلغل داخلها، ولكن هذا الهدف الرئيس لم يتحقق بالرغم من كل الجهود المضنية التي بُذلت. وقد طرح الدكتور (بول هاريسون) هذا السؤال على نفسه وحاول الإجابة عنه: «هل يستطيع المبشر الطبيب أن يحقق شيئاً؟ إن الممارسات الصحية لا يمكن أن تتغير فجأة وعلى نحو ثوري ولكنها بالتدريج تتحسن قليلاً.

إنه يخفف كثيراً من آلام الناس. إنه يكسب صداقة الأعداء ويفتح طريقاً لدخول الانجيل، إنه يصلي طالباً التوفيق لعمله، وبخاصة أولئك الذين هم في رعايته. وربما يتمكن من أن يحقق بهذه الطريقة أكثر مما يمكن أن يحققه بأية طريقة أخرى»[٩٠].

لقد أكد الدكتور هاريسون – وهو نفسه طبيب ومبشر – العلاقة بين الرسالة الدينية والوسائل الطبية، وهو يميل لاعتبار الخدمة الصحية

طريقاً الى النشاط التبشيري الناجح، لكن الهدف الديني لم يتحقق رغم الجهود التي بُذلت والوقت الطويل الذي أمضوه في المنطقة.

ماذا إذن بعد هذا العمل الطبي للمبشرين، وما هي النتائج التي توصلوا إليها عبر نشاطهم الطبي طوال هذه الفترة؟

إنه في الإمكان اختصار خدمات الإرسالية الطبية في المنطقة بتحديد الحقائق التالية:

أولاً: لقد كانت المنطقة بحاجة ماسة إلى الخدمات الطبية عندما بدأت الإرسالية الأمريكية العربية بالعمل، وكان هذا أول عهد السكان بهذا النوع من الخدمة الطبية الحديثة. وكانت المنطقة تعاني انتشار الكثير من الأمراض المعدية وعلاج هذه الأمراض كان يتم بأساليب تقليدية تعتمد في الغالب على الخرافة إلى حد كبير.

ثانياً: عندما بدأت الإرسالية بتقديم خدماتها الطبية الحديثة تحول الناس تدريجياً إليها بدون معارضة تذكر، واعتبرت الإرسالية ذلك مقدمة ناجحة للتبشير الديني.

ثالثاً: لقد أدى النجاح الذي حققته الإرسالية في الميدان الطبي إلى توسيع نشاطاتها عن طريق افتتاح المحطات الرئيسة والفرعية الجديدة.

رابعاً: ركزت الإرسالية خلال الربع الأول من هذا القرن على تقدم الخدمات الطبية والذي كان النشاط الوحيد الفعال والمصرح به، وقد امتص هذا النشاط أكبر جهود الإرسالية مما أدى إلى نشوء الخلاف بين أعضاء الهيئة الطبية الذين كانوا يعتقدون بأن الخدمة الطبية مهمة وصحيحة وتتصل بالخلق المسيحي، وبين المبشرين من رجال الدين المختصين بالعمل التبشيري الديني والذين كانوا يشعرون أن العمل الطبي قد أصبح طاغياً على العمل التبشيري دونما مبرر، وانه يجب الحد

منه وأن يكون وسيلة لغاية أسمى وهي التبشير الديني.

ولم يكن جميع رجال الدين يقفون هذا الموقف بل فئة منهم، ومع ذلك فإن الخلاف بين الفئتين ظل قائماً. وفي بعض الحالات كان بعض رجال الدين هم الذين يتصدون للدفاع عن أطباء الإرسالية والدور الذي يقومون به[٩١].

خامساً: لقد كانت الخدمة الطبية في الواقع متصلة بالنشاط الديني وكان المستشفى يستخدم أيضاً للتبشير الديني. أما من الناحية الطبية فقد قدمت الإرسالية خدمات جليلة لسكان المنطقة، ولابد من تسجيل جهودها المخلصة في هذا المضمار، فقد ظل أهالي المنطقة يعتمدون على خدماتها الطبية طوال أكثر من نصف قرن من الزمان حتى تمكنوا من الاعتماد على أنفسهم.

سادساً: وللوصول إلى المناطق الداخلية من الجزيرة والتأثير فيها قام المبشرون برحلات عدة ذات طابع طبي لتحقيق هذا الغرض على الرغم من صعوبة التنقل وحرارة الطقس. لقد كان الهدف الأساس من هذه الرحلات هو الوصول إلى مناطق الجزيرة العربية الداخلية وتنصير سكانها، ولكن هذا الهدف لم يتحقق رغم الجهود الكبيرة المبذولة.

سابعاً: لقد أدى اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي إلى تطوير الخدمات الطبية الحكومية، مما نتج عنه وضع حد لنشاط الإرسالية، حيث تأثر نشاط الإرسالية في جميع الميادين بهذا التطور. لقد كانت نشاطات الإرسالية تعتمد بعضها على بعض، وعندما انهارت الخدمة الطبية في بعض المناطق انهارت معها الخدمات التعليمية والتبشيرية، وتركزت معظم نشاطات الإرسالية بين الوافدين المسيحيين الذين كانوا يحضرون إلى الكنيسة لتأدية العبادات الدينية المسيحية. وربما أن الاعتقاد المسيحي هو أن المسيح جاء شافياً ومعلماً ، لذا فإن المبشرين

استخدموا التعليم كذلك كوسيلة تبشيرية. لقد أعطت الإرسالية الأولوية للنشاط الطبي نظراً لظروف المنطقة وللطابع الإنساني المؤثر لهذا النوع من النشاط، لكنها أيضاً لم تغفل النشاط التعليمي الذي كان وسيلتها الثانية للتبشير، وستكون الخدمات التعليمية للإرسالية هي موضوع الفصل القادم.

جدول رقم ٣ : ٨

المحطة	مستشفى	مستوصف	طبيب	ممرضة	مساعد مدرّب	اسرة في المستشفى	ملاحظات
البصرة	٢	٢	٧	٥	٨	٨٣	
البحرين	٢	٢	٥	٤	٦	٨٠	
الكويت	٢	٢	٣	٣	٤	٣٢	
مسقط	٢	٢	٣	٣	٤	٥٠	
العمارة	–	١	٢	٢	٢	–	
مطرح	١	١	٣	٥	٥	–	
الناصرية	–	١	١	١	١	–	
المجموع	٩	١١	٢٤	٢٣	٣٠	٢٤٥	

المصدر: Storm, H., Wither, Arabia, N.Y. 1938, p.110

cf : Masonand Barny, The History of the Arabian Mission, N.Y. pp. 242 - 247.

جدول رقم ٣ : ٩

أطباء الإرسالية العربية

١٨٨٢ - ١٩٢٣

الطبيب	سنوات	المحطات والمحطات الفرعية	ملاحظات
١. شارلز ي. ريجز	١٨٨٢	البصرة	ترك الإرسالية في
٢. جيمس ت. ويكوف	١٨٩٣	البصرة	السنة الأولى
٣. هنري د.ل ورال	١٨٩٥	البصرة والعمارة	
٤. شارون ج. تومس	١٨٩٨	البصرة - البحرين - مطرح	
٥. السيدة ماريون و. تومس	١٨٩٨	البحرين - مطرح	
٦. السيدة إيما د. ورال	١٩٠١	البصرة - مطرح	
٧. آرثر ك. بنيت	١٩٠٤	البصرة - الكويت	
٨. شارلز س. مايلريا	١٩٠٦	البحرين - الكويت	
٩. الآنسة تاير س. جوسلين	١٩٠٨	البحرين	
١٠. السيدة أناسي بنيت	١٩٠٩	البحرين	
١١. الآنسة اليانور كالفرلي	١٩٠٩	الكويت	
١٢. بول و. هاريسون	١٩٠٩	الكويت - البحرين - مطرح	
١٣. الآنسة سارة ل. هوسمان	١٩١١	مسقط	استقالت سنة ١٩٣٨
١٤. الآنسة لوسي باترسون	١٩١٤	البحرين	تعيين لأجل قصير
١٥. هول ج فان فلاك	١٩١٧	البصرة - ج.ع- البحرين	ترك الارسالية سنة
١٦. لويس ب. ديم	١٩١٩	العمارة	١٩٣٦
١٧. وليم ج موردايك	١٩٢٣		
ولتر ن. ليك	١٩٢٣	مسقط	تعيين لأجل قصير

الجدول ٣ : ١٠

أطباء الإرسالية العربية
١٩٢٤ - ١٩٥٧

البحرين	مسقط ومطرح	الكويت	البصرة والعمارة
١. لويس ديم	١. سارة هوسمان	١. أ. بنيت	١. فوس
٢. س. ج. تومس	٢. ماري أليسون	٢. ب. هاريسون	٢. بوش
٣. ب. هاريسون	٣. ب. هاريسون	٤. س. مايلري	٣. نايكرك
٤. و. ستورم	٤. س. تومس	٤. و. ستورم	٤. موردايك
٥. تايكرك	٥. و. ستورم	٥. ل. سكدر	٥. ل. سكدر
٦. هوسينكفلد	٦. هوسينكفلد	٦. هوسينكفلد	٦. هوسينكفلد
٧. س. مايلريا	٧. فوس	٧. هوسينكفلد	
٨. فوس	٨. بنينجز	٨. ي. كالفرلي	
٩. مارجريت		٩. استر بارني	
١٠. ف. بارني		١٠. ماري أليسون	
١١. م. ن. تبناني		١١. روث كروز	

المصدر:

Vwness, D., History of the Arabian Mission, New Brunswick, New Jersey, U.S.A. pp. 37 - 39; 75 - 79 (Unpublished).

جدول رقم ٣ : ١١

أطباء الإرسالية الذين عملوا في الكويت
١٩١٠ - ١٩٧٥

الرقم	الأسماء	سنوات العمل	ملاحظات
١.	الدكتور ارتر بنيت	١٩١٠ – ١٩١٢	ثلاثة من هؤلاء الأطباء توفوا ودفنوا في الكويت وهم:
٢.	الدكتور بول هاريسون	١٩١٢ – ١٩١٣	الدكتور مايلري ١٩٥٢
٣.	الدكتورة اليانور كالفرلي	١٩١٢ – ١٩٢٩	الدكتور نايكرك ١٩٦٤
٤.	الدكتور ستانلي مايلريا	١٩١٣ – ١٩٤٢	الدكتور سكدر ١٩٧٥
٥.	الدكتورة استر بارني	١٩٣٠ – ١٩٣٧	الدكتور مايلري والدكتور سكدر عملا في الكويت مدة طويلة
٦.	الدكتورة ماري اليسون	١٩٣٧ – ١٩٤٠	توفي عام ١٩٧٥ حيث
٧.	الدكتور لويس سكدر	١٩٣٩ – ١٩٧٥	كان يشغل منصب مدير المستشفى العسكري في الكويت
٨.	الدكتور ويلز تومس	فترة قصيرة	
٩.	الدكتور هارولد ستورم	فترة قصيرة	
١٠.	الدكتور الفرد بنينجز (فترة قصيرة)	فترة قصيرة	
١١.	الدكتور ايجبرت فل	فترة قصيرة	
١٢.	الدكتور جيرالد نايكرك	فترة قصيرة	
١٣.	الدكتور موريس هوسينكفلد	فترة قصيرة	
١٤.	الدكتورة برنارد فوس	فترة قصيرة	

المصدر: السيدة دوروثي سكدر من بحث مقدم إلى ندوة عقدت في الكويت في شهر نيسان (ابريل) ١٩٧٦ الصفحة ٢.

عنوان البحث: (الخدمة الطبية في الكويت).

جدول رقم ٣ : ١٢
ممرضات الارسالية العربية ١٩٢٤ - ١٩٥٧

البحريـــن	مسقط ومطرح	الكويــت	البصرة والعمارة
١. الآنسة دالينبرج	١. الآنسة ج. بوسما	١. الآنسة فان بلت	١. الآنسة دالينبرج
٢. السيدة. هـ. ستورم	٢. الآنسة م. والفورد	٢. الآنسة م. تل	٢. الآنسة جـ. جولدمان
٣. السيدة جـ. برسيوم	٣. الآنسة أ. شانالاز	٣. الآنسة سكدر	٣. السيدة ج. هولر
٤. ه. اوديمول	٤. الآنسة جـ جولدمان	٤. الآنسة هوسينكفلد	٤. الآنسة جـ. بوسما
٥. جـ. باست	٥. الآنسة أ. دي يونج	٥. السيدة هولر	٥. الآنسة فوس
٦. د. دايكسترا	٦. الآنسة س. دالينبرج	٦. السيدة جـ بيلكر	٦. الآنسة أ. دي يونج
٧. ه. واندوي		٧. الآنسة ت. بومجاردن	٧. الآنسة شماالذريت
٨. ن. هيخوس		٨. الآنسة م. هولمز	
٩. ن. وود			
١٠. م. شو			
١١. السيدة ج. هولر			
١٢. م. تانيس			
١٣. ا. دي يونج			
١٤. جـ. جولدمان			

المصدر : Van Ess. D., Ibid, pp. 75-79

جدول رقم ٣ : ١٣
ممرضات الارسالية العربية ١٩٠٢ - ١٩٢٣

البحريـــن	سنـــة التعييـــن	سنـــة التعييـــن
١. السيدة ي كانتين	١٩٠٢	عملت هؤلاء الممرضات في مختلف
٢. السيدة. س. زويمر	١٩٠٣	محطات الارسالية، ولا يوجد اي
٣. السيدة فان برسيوم	١٩١٠	مصدر يعطي تفصيلات عن كل منهن
٤. الآنسة م. هورلز هاوزر	١٩١٣	وعن المحطة التي عملت فيها، كما لا
٥. السيدة د. هاريسون	١٩١٥	توجد ايضا اية معلومات عن
٦. الآنسة م. فان بلت	١٩١٧	الممرضات اللاتي عملن قبل ١٩٠٢
٧. الآنسة دالينبرج	١٩٢١	
٨. السيدة موردايك	١٩٢٣	

المصدر : Van Ess. D., Cit., pp. 70-75

الهَوامـــــش

1. مقابلة الكاتب مع الدكتور أ. ج. بنينجز، البحرين ٩ نوفمبر ١٩٧٤
2. Storm, H., op. cit., p. 64.
3. Zwemer, S. M. and Cantine, J., op. cit., p. 68.
4. Phillips, W. **Unknown Oman,** 1966, G. B., p. 58.
5. Harrison, D., **Doctor in Arabia,** 1943, G. B., p. 277.
6. Rev. Girrit D. Van Peursem, **N. A.,** 1916, N. Y., p. 11.
7. ibid., p. 10
8. مقابلة الكاتب مع القس لويس سكدر الابن، الكويت، ١٥ أكتوبر ١٩٧٤
9. Van Ess, D., op. cit., pp. 39-40.
10. Barny, J. F., **N. A.,** July-Sept., 1900, p. 11.
11. ibid., 1899, p. 9.
12. Van Ess, D., op. cit., p. 36.
13. Mason, A.D., and Barny, J. F., op. cit., p. 72.
14. Zwemer, S. M., op. cit., p. 361.
15. Mason, A.D. and Barny, J.F., op. cit., p. 72.
16. Dr. Riggs, **N. A.,** 2nd Quarterly Report 1892, p. 10.
17. **Minutes of the Arabian Mission,** 751, V. 1, The Theological Seminary, New Brunswick, N. J., U. S. A., 9 June 1892, pp. 37, 39.
18. Calverly, E. **I was the First physician in Kuwait,** 1968, N. Y., pp. 92, 202.
19. Phillips, W., op. cit., pp. 57-72.
20. Dickson, R. H., **The Arab of the Desert,** London 1949, pp. 505-11. See also, Freeth Zahra, **Kuwait was my Home,** London 1958, pp. 75-81.
21. **N. A.,** 2nd Quarter 1895, p. 7.
22. Dr. Worral, op.cit. 1897, pp. 11-12.
23. ibid., 1898, p. 15.
24. ibid., March 1899, p. 15, See also, Ibid., Oct. 1899, p. 12.
25. ibid., July-Sept. 1900, p. 5.
26. ibid., 1899, p. 8.
27. Barny, J. F. op. cit, p. 11.
28. ibid., April-Sept. 1902, p. 21. See also Ibid., pp. 10-11.
29. ibid., p. 21.

30. ibid., p. 1904, pp. 13-14.
31. ibid., April-June, p. 14.
32. Mason, A. D. and Barny, J. F., op. cit., pp. 133-134.
33. ibid., p. 13.
34. Calverley, E., op. cit., pp. 26-28.
    See also Dr. Binitt, N. A., 1911, pp. 6-7.
35. Mason, A. D. and Barny, J. F., ibid., pp. 148-149.
36. Dr. Binitt, N. A., Oct-Dec., 1912, p. 13.
37. مقابلة الكاتب للقس لويس سكدر الابن، سبتمبر ١٩٧٦ في نيوبرونزويك نيوجيرسي الولايات المتحدة.
38. N. a. Oct.-Dec. 1897, Zwemer, M. S., p. 14.
39. Dr. Thoms, J. S., op. cit., 1899, p. 8.
40. Ibid., March 1899, p. 15.
41. Zwemer, M. S., op. cit., 1899, p. 8.
42. ibid., p. 10-11.
43. ibid., 1900, p. 5.
44. ibid., July-Sept. 1900, Thoms, J. S., p. 6-7.
45. ibid., Oct-Dec., 1900, pp. 8-10.
46. Thoms, J. S., op. cit., July-Sept., 1902, p. 4.
47. ibid., p. 7.
    See also, Mason and Barny, op. cit., p. 118.
    See also, Van Ess, D., op. cit., p. 34.
    See also, Wilson, A., op. cit., 1928, London, p. 248.
48. Mason and Barny, op. cit., pp. 122-23.
49. Dr. Thoms, J. S., N. A. July-Sept. 1902, p. 3.
50. ibid., 1903, April-June, Dr. Thoms, J. S., pp. 8-11.
51. Dr. Patterson, L., op. cit., 1904, pp. 10-11.
52. Mrs. Zwemer, E. A., op. cit., 1911, April-June, pp. 16-21.
53. ibid., 1914, Oct-Dec., p. 12.
54. Mason and Barny, op. cit., pp. 193-94.
55. Van Ess, D., op. cit., pp. 35-36.
56. N. A., 1897, p. 12.
57. ibid., Oct.-Dec. 1914, p. 13.
58. ibid., No. 161, 1932, pp. 21-22.
59. Van Ess, D., op. cit., pp. 55-59.
60. ibid.; p. 37.
61. ibid., p. 37.
62. ibid., p. 38.

63. ibid., p. 39.
64. N. A., April-June, 1911, p. 15.
65. Dr. Binitt, A. ibid., 1911, pp. 6-7.
    See also, Mrs. Scudder, B. D., Paper presented at a Seminar in Kuwait April, 1976.
66. Quality Publications L. T. D., Kuwait Today a Welfare State, Nairobi, pp. 41-42. (No date).
67. N. A., Oct.-Dec., 1914, p. 13.
68. Dr. Mylrea, S., ibid., 1916, Sept.-Dec. pp. 16-17.
69. Calverley, E., op. cit., p. 85.
70. Van Ess., D., op. cit., p. 32.
71. Antonius, G., op. cit., pp. 21-22. See also, Mason and Barny, op. cit., pp. 36-37.
72. Van Ess, D., op. cit., p. 29.
73. N. A. No. 161, 1932, p. 4.
74. Van Ess, D., op. cit., pp. 29-30.
75. Arabia Calling, No. 248, March 1960, pp. 13-16.
76. Mason and Barny, op. cit., pp. 134-35.
    See also, Van Ess, D,. op. cit., p. 71.
77. ibid., pp. 155-58.
78. N.A., Oct.-Dec. 1914, p. 13.
79. Harrison, p., Doctor in Arabia Britain, 1943, p. 43.
80. Mason and Barny, op. cit., p. 356.
    See also Harrison, p., op. cit, Doctor in Arabia, pp. 43-44
81. Phillips, W., op. cit., p. 27.
82. Van Ess, D., op. cit, p. 59.
83. Mason and Barny, op. cit., p. 160.
    See also, Arabia Calling, op. cit., No. 227. Spring, 1952, p. 14.
84. Dr. Storm, W., N. A., No. 212, March 1948, pp. 6-7.
85. Van Ess, D., op., cit., pp 40-44.
86. Ibid., p. 45.
87. Daniel Robert American Philantropy in the Near East, Athens, 1970, p. 89.
88. Van Ess, D., op. cit., pp. 45.
89. Ibid., p. 49.
90. Dr. Harrison, N. A., April - June, 1911, pp. 10 - 12.
91. مقابلة الكاتب للقس لويس سكدر الابن، سبتمر ١٩٧٦، نيويرونزويك، ينوجرس، الولايات المتحدة

الفصل الرابع

الخدمات التعليمية مدخلاً ووسيلة للتبشير

يهدف إلى نشر الفكر المسيحي وفي مقدمته الإنجيل. وهناك آراء مختلفة وربما أكثر تحديداً حول التعليم من قبل قادة التبشير المسيحي منهم القس هوتون (Hoton) حيث حدد رأيه بالنقاط التالية:

«أ – يجب أن يكون الهدف التبشيري غالباً على التعليم.

ب – يجب أن يكون للإنجيل المقام الأول في الدروس اليومية وحضور هذا الدرس كما يجب أن يكون شرطاً للقبول في المدرسة.

حـ – يجب أن يكون الهدف التبشيري ظاهراً وأن يعلم الآباء بأن أبناءهم يحضرون إلى المدرسة – ليتحولوا إلى المسيحية.

د – يجب بذل الجهود للحد من استخدام المدرسين غير المسيحيين وتزويد المؤسسة بهيئة قادرة على التأثير الفردي المباشر.

هـ – يجب على خبراء التبشير أن يضعوا في حسابهم أهمية هذه الأمور وارتباطها بالنشاطات التبشيرية الأخرى»[٥].

هذه السياسة أو الاستراتيجية للتعليم التبشيري لاقت حماساً من قبل قادة المنظمات التبشيرية حيث اعتبروا التعليم وسيلة مهمة مباشرة لنشر الدين المسيحي[٦].

هذه السياسة المباشرة في استخدام التعليم كوسيلة مباشرة للتبشير واجهت صعوبات عدة يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

أولاً – ان أولياء أمور التلاميذ الذين يرسلون أبناءهم إلى المدارس التبشيرية قد فوجئوا بأن أطفالهم يتعلمون الديانة المسيحية بشكل أساس بينما كان غرضهم الأساس من الالتحاق بهذه

المدارس هو تعلم اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة في الوقت الذي لم تكن هذه تعلم في المدارس التقليدية أو الكتاتيب. والجدول التالي يبيِّن مناهج الدراسة في مدارس الارسالية الأمريكية العربية في منطقة الخليج العربي وديانة التلاميذ :

جدول رقم ٤ : ١

موضوعات الدراسة	ديانة التلاميذ	الحالة
الإنجيل	مسلمون	أكثرية
قراءة وكتابة	مسيحيون	أقلية
لغة إنجليزية	يهود	قلة ضئيلة
حساب	إيرانيون	قلة ضئيلة
جغرافيا	هنود	قلة ضئيلة
	زنوج	قلة ضئيلة

Source: Marson and Barny, Arabian Mission, PP. 217 - 218

ثانياً – ومن مشاكل التعليم التبشيري عدم اهتمامه بمستقبل تلاميذ المدارس التبشيرية: وكانت خطة المبشرين في ميدان التعليم إعداد مدرسين وقادة للكنيسة المحلية من المواطنين، ولكن مؤسسات الارسالية المحدودة لم تكن تستطيع استيعاب سوى عدد قليل من هؤلاء الذين تخرجهم مدارسها حيث أن بعضهم يبقى بدون عمل. ولهذا فإنَّ غالبية من تأمل الكنيسة تعليمهم يواجهون البطالة نظراً لعدم وجود المؤسسات المسيحية وغير المسيحية لاستيعابهم. فالمؤسسات المحلية ذات الطابع الثقافي التقليدي وعدم وجود المجالات الإدارية الحديثة آنذاك كانت من المشاكل التي واجهتهم، فهذه الأعداد استفادت تعليماً وثقافة وتنويراً دون أن تجد مجالات لتعمل بها مستفيدة من هذا التعليم المحدود الذي أمضت فيه بضع سنوات.

ثالثاً – ان ما حققه التعليم الحديث من تقدم في جميع أنحاء العالم، والاتجاه محلياً للاستفادة منه جعل التعليم التبشيري يبدو عديم الجدوى بالطريقة والمفهوم الذي كان يطبق به. ولقد أكد جون موت (Jhon Mott) على أن التعليم الغربي (التبشيري) لابد أن يسعى ليلعب دوراً أوضح في توجيه الزراعة والتجارة والصحة أبعد من الدور الذي لعبه حتى الآن، وهذا التعليم يواجه أزمة في البلدان الإسلامية إذا لم يواكب تطورها، وهو يحتاج ويستحق الاهتمام والتفهم والدعم من الوطن»[٧].

ويتضح من هذه الفقرة بأن التعليم التبشيري كان يواجه أزمة حقيقية، حيث أن نجاح الخدمة الطبية على يد المبشرين لم يؤد كما كان متوقعاً من قبل المبشرين إلى نجاح الوسيلة التعليمية، ذلك لحاجة المنطقة الماسة إلى الخدمة الطبية الحديثة، وإلى عدم استخدام الخدمة الطبية بشكل مباشر في العملية التبشيرية.

رابعاً – انه ومنذ أكثر من نصف قرن كانت المنطقة تمر بالمراحل الأولى من يقظتها الوطنية والقومية، لذا كان القادة الشباب يريدون تعليماً حديثاً يحل محل المدارس التقليدية (الكتاتيب) وليس مجرد استبدالها بالتعليم المسيحي الغربي وقد ظهرت هذه الآراء نتيجة للأسباب التالية:

١ – طبيعة التعليم التبشيري التي كان واضحاً هدفها في التأثير الديني في التلاميذ.

٢ – التركيز على التنصير بالأسلوب المباشر.

٣ – تجاهل التعليم التبشيري للثقافة الوطنية والتاريخ والدين واللغة العربية.

ونتيجة لذلك، فإنّ التعليم التبشيري لا صلة له بواقع المنطقة وأصبح هدف الآباء الأساس من إرسال أبنائهم إلى هذه المدارس هو تعلم اللغة الانجليزية. فهذا النوع من التعليم قد فشل في أداء رسالته لتحقيق أهدافه في منطقة الخليج العربي. وفي مؤتمر القدس التبشيري المسيحي سنة ١٩٢٤ طرح موضوع التعليم التبشيري للبحث[٨] ، وتمكن المبشرون المعتدلون من فرض رأيهم بإجراء تعديل على سياسة ومفهوم ومنهج التعليم التبشيري بما يتلاءم وظروف المناطق التي يمارسون بها نشاطاتهم، ويتضح المفهوم الجديد مما يلي:

«كانت مدرسة التبشير فيما مضى تستخدم بشكل أساس وسيلة لأشكال أخرى من العمل التبشيري. ولكن هذا الموقف لم يعد ضرورياً الآن بسبب تغير الظروف...... يجب أن نؤكد ضرورة توجيه الطلبة نحو دراستهم التاريخية والعالمية»[٩]. ولتحديد الهدف الأساس للتعليم التبشيري يقول أحد قادة التبشير:

«إن الهدف الأساس الذي يجب على التعليم التبشيري أن يحققه هو تدريب الكنيسة المحلية على تحمل أعبائها..... ويجب أن ينصبّ تفكيرنا أولاً على المعاهد الخاصة بالمسيحيين وحدهم كالمدارس الداخلية ومعاهد التدريب وكليات اللاهوت»[١٠] – ...... إن الكليات المسيحية لا تهدف فقط إلى كسب المتنصرين من بين الوثنيين فحسب، بل تساعد على تحقيق الوظيفة المهمة وهي إعداد القادة للكنيسة[١١]. وبهذه الغاية التبشيرية التي حددت والتزام هذا النوع من التعليم بالخط التبشيري أصبح وسيلة لتحقيق الأهداف وهو تنصير الآخرين وتحويلهم إلى المسيحية. وفي الواقع إن هذا النوع من التعليم عند ممارسته في منطقة الخليج العربي لم يحقق الكثير من الناحية العلمية والدينية وسيتضح لنا ذلك من دراسة نشاط الارسالية الأمريكية العربية التعليمي في المنطقة

وتقييم تجربتها في هذا المجال، ولكن قبل أن نبدأ بمعالجة هذه النقطة فإنه من الضروري إعطاء فكرة عن التعليم التقليدي الذي كان سائداً.

التعليم التقليدي في منطقة الخليج العربي:

كانت المحاولات الأولى لتزويد التلاميذ بالتعليم الأولي تجرى فيما مضى في الكتّاب ومهمته الأساسية تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة. وكان «الملا» أو معلم الكتّاب يستخدم منزله حيث يقصده التلاميذ لتلقي العلم، وبمرور الوقت أدى الطلب المتزايد على التعليم إلى البحث عن أماكن أخرى للتعليم.

واتجه نتيجة لذلك هذا النوع من المعلمين لكسب أرزاقهم عن طريق الدعوة إلى أن يصبح هذا التعليم رسمياً، وحيث إنه لم يكن هناك تعليم حديث بالمعنى المتعارف عليه اليوم، فقد وجد التعليم الكتاتيبي طريقه ليجذب أعداداً كبيرة وانخراطها فيه. وعندما بدأ معلمو الكتاتيب يستقبلون تلاميذهم في أماكن خاصة ولنقل غرفة في أحد المنازل أو دكاناً في سوق شعبي أو عام، أصبح هذا المكان يُعرف باسم «الكتّاب»[١٢] وكان الكتّاب من الناحية التاريخية هو المكان الذي سيطر على الموقف التعليمي لمدة طويلة وقد كان التعليم في كثير من الكتاتيب مختلطاً، والبرامج تتألف بشكل رئيس من حفظ القرآن وقليل من القراءة والكتابة[١٣].

وعندما يختم التلميذ أو التلميذة القرآن ويحفظه يقيم والده أو والدها وأصدقاؤه احتفالاً شعبياً بديعاً يُعرف بالختمة* وهو احتفال أشبه ما يكون باحتفالات التخرج في هذه الأيام لا بل أكثر أهمية.

---

* الختمة: كلمة مشتقة من الفعل ختم أي انتهى. وسميت الختمة لأن التلميذ قد نجح في ختم القرآن.

لقد كان على الأب عندما يقرر أن يرسل ابنه إلى الكتّاب أن يفعل أمرين مهمين من وجهة نظر القائمين على هذا النوع من التعليم، أولهما: شراء قطعة من الخشب ليكتب ابنه عليها، وكانت الكتابة تُمحى بغسلها بالماء. وثانيها: دفع مبلغ من المال عند دخول الكتّاب.

وكان هذا النوع من التعليم متدرجاً يُراعى فيه مستوى المبتدىء والمتوسط والمتقدم، فتعلُّم الحروف الأبجدية كانت المرحلة الأولى وعندما يتمكن التلميذ من السيطرة عليها يبدأ دروسه المتقدمة في القراءة والكتابة، وبعد أن يتمكن من هاتين المهارتين يبدأ تعليمه الحقيقي من وجهة نظر «الملا» ألا وهو حفظ القرآن، حيث كانوا يبدأون عادة بقِصَار السّوَر.

أما طريقة القراءة، ففي البداية كانت التهجئة، وعندما يشعر الملاّ أن قراءة التلميذ قد تحسنت ينقله إلى مستوى متقدم ويبدأ هو بالقراءة والتلميذ يردد ويصاحب هذا الترديد تحريك الرأس يميناً ويساراً من الملاّ وتلاميذه معاً تعبيراً عن نشوتهم بقراءة الآيات القرآنية، وان التلميذ يختم هذا النوع من الدراسة في سنة أو سنتين وربما أكثر لبعض التلاميذ. ولم يكن هناك امتحان والشيء الوحيد الذي كان يعتبر دليلاً على أن التلميذ قد تعلّم هو حفظه القرآن بأكمله. وكان يتبع هذا المستوى من الدراسة مستوى آخر يقوم التلميذ فيه بدراسة القراءة والكتابة بشكل عام، ولكن هذه المرحلة كانت مرحلة عالية ولم يكن يحضرها سوى القليل. لقد كان التلاميذ يتلقون بعض الأمثلة الشعبية والأبيات الشعرية والآيات القرآنية أثناء مرحلة تعلم الكتابة، ونذكر هنا مثالاً على ذلك:

«الخط يبقى زماناً بعد كاتبه

وكاتب الخط تحت التُرب مدفون»[١٤]

وعندما يصبح التلميذ ماهراً في الكتابة على اللوح الخشبي يسمح له

بالكتابة على الورق والتي كانت المرحلة الأخيرة، وبعدها كان الناس يعتبرونه شخصاً متعلماً.

«والملاّ» أو المعلم هو الآمر الناهي في الكتّاب، حيث لم يكن أحد من التلاميذ يستطيع المناقشة أو المعارضة أو حتى الشكوى، بل كان يأمر وعلى التلاميذ جميعاً أن يمتثلوا لأمره، ودورهم الوحيد هو التلقي. لقد كان يعامل تلاميذه عادة بشيء من الغطرسة والقسوة.

ما يؤكد ذلك أن هذا المربي كان يحتفظ بنوعين من العصي لضرب التلاميذ وترويعهم، واحدة منهما كانت طويلة تستخدم لمن يخطيء في دروسه، وكانت من الطول بحيث تصل إلى التلاميذ جميعاً وهو جالس في مكانه، أما الثانية فكانت قصيرة وغليظة وتستعمل للأنواع القاسية من العقاب كالتأخر في الحضور أو إحداث الشغب أو الهروب من الكتّاب. ولقد كان الملاّ يعتقد أن الضرب ضروري لتعويد تلاميذه على النظام وليثبت لأولياء أمورهم حرصه على مصلحتهم. وكان يردد باستمرار*:

«رحـم اللّه مـن بكّانـي   لأنه هو الذي ربّاني»[١٥]

والحقيقة أن هذه العقوبة لا تمس أبناء الأغنياء إما خوفاً من نفوذهم أو طمعاً في أموالهم، وكان الملا يبرر هذا التمييز الطبقي وصب عقابه على أبناء الفقراء في الغالب بأنه إذا عاقبت أبناء العامة يتأدب أبناء الخاصة[١٦]. هذه العقوبة كانت بالغة القسوة في بعض الأحيان وتؤدي بالبعض من التلاميذ إلى المرض المزمن أو الجنون. أما ميزانية الكتّاب فقد كانت تأتي من أجور التعليم التي كان يدفعها الآباء في مناسبات عديدة والهدايا التي كانت تقدم له وكان لكل واحدة من هذه اسم خاص:

* التعليم الكتاتيبي في منطقة الخليج العربي متشابه في طريقته ومنهجه وليس لهذا النوع من التعليم خصوصيات مميزة في إمارة عن أخرى.

١) الدخلة: وهي الرسم الذي يدفع لدخول الكتّاب وكان يزيد أو ينقص تبعاً لمستوى معيشة أهل التلميذ.

٢) الخميسية: وكانت تدفع يوم الخميس من نهاية كل أسبوع إما نقداً أو عيناً.

٣) النافلة: وهي نوع من الإحسان يدفع للملاّ في الأعياد الدينية كالمولد النبوي مثلاً.

٤) الفدية: وكانت تدفع للملاّ في صباح أول أيام العيد.

٥) الفطرة: وهي زكاة يدفعها أهل التلاميذ في شهر رمضان للملاّ وكان يعتبرها حقاً من حقوقه.

٦) الجزاء: وهي هدية يقدمها التلميذ للملاّ عندما يختم جزءاً من القرآن.

٧) الختمة: وهذه هي الدفعة الأخيرة. وكانت هذه الدفعات بخاصة تلك التي تأتي من الأسر الغنية مهمة جداً في نظر الملاّ ، وتدفع له أثناء الاحتفالات التي تقام عند انتهاء التلميذ من دراسته.

لقد كان هذا النوع من التعليم جزءاً من حياة الناس ارتبط بواقعهم الثقافي مدة طويلة، وقد اختفى تدريجياً عندما دخل التعليم الحديث إلى منطقة الخليج العربي، وقد ظل مواكباً له لسنوات عدة حتى تمكن وانتشر التعليم الحديث وانتهى التعليم التقليدي في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من هذا القرن رغم أن التعليم الحديث قد بدأ في المنطقة منذ العقد الثاني من القرن العشرين.

ذلك يعني أن التحول عن التعليم التقليدي لم يكن فجائياً أو كاملاً. فقد مضى بعض الوقت والتعليم الديني التقليدي يسير جنباً إلى جنب مع التعليم الحديث ويؤثر فيه. هذا النوع من التعليم قد لعب دوراً مهماً في حياة الناس الفكرية والاجتماعية في منطقة الخليج العربي.

لقد بدأ نشاط الارسالية الأمريكية العربية التعليمي في المنطقة والتعليم الكتاتيبي قائم. والتعليم التبشيري يحمل طابعاً حديثاً إذ يُصحب المواد الدينية علوماً أخرى وأسلوباً آخر في العملية التعليمية والتربوية.

الخدمات التعليمية للارسالية في البصرة:

شهد العقد الأول من القرن العشرين بداية الخدمات التعليمية للارسالية الأمريكية العربية في البصرة. وقد استقبل المبشرون التلاميذ في السنوات الأولى من نشاطهم في هذه المنطقة بأعداد مشجعة، حيث كان أثناءها وبالتحديد عام ١٩٠٥ السيد بارني (Mr. Barny) على رأس هذا النشاط، وهو من قادة الارسالية. لقد بدأ عمله في هذا الميدان بافتتاح مدرسة صغيرة في مسكنه، ولكن السلطات التركية أغلقتها بعد فترة قصيرة لعدم وجود ترخيص مسبق لها[١٧]، ولكن هذا الإجراء لم يوقف خطط الارسالية في تقديم الخدمة التعليمية خاصة أنها تعتبرها من وسائلها المهمة في العمل التبشيري. وفي سنة ١٩٠٨ سمحت السلطات التركية المحلية في البصرة للسيد مورادايك بافتتاح مدرسة بعد جهود كبيرة للحصول على ترخيص بذلك.

بدأت هذه المدرسة بثلاثين تلميذاً، وكانت المهمة كبيرة خاصة والارسالية في بداية نشاطاتها، وذلك لتأمين البناء المدرسي والمناهج الدراسية المناسبة والكتب والمدرسين، علماً بأن مناهجها يجب أن تكون باللغة العربية، واللغة العربية التي تعلمها المبشرون في فترة وجودهم القصيرة لا تؤهلهم للتعليم بها، ولكنها قد توفر الحد الأدنى للتفاهم مع المواطنين. والنشاط التعليمي للارسالية في البصرة بدأ فعلاً عندما عاد السيد فان إيس وزوجته من اجازتهما عام ١٩١٢[١٨] ، حيث أصبحا

مسؤولين عن التعليم في هذه المنطقة، وبدأ التدريس المنتظم للبنات والأولاد في مدرستين منفصلتين لهما بعد حصولهما على إذن بذلك في العام نفسه. وقد سميت مدرسة الأولاد باسم مدرسة «الرجاء العالي» أما مدرسة البنات فقد سميت مدرسة «الرجاء للبنات»[١٩]. وقد ذكر محمود السمرا في أطروحته للدكتوراه سبب اهتمام المبشرين بتعليم الفتيات ، حيث قال:

«لأنهن سيكن أمهات الجيل القادم وكسبهن يعني كسب الأمة كلها»[٢٠]. وبعد أن تغلبت الارسالية على مشكلة الترخيص من السلطات التركية واجهتها مشكلة تأمين المدرسين الذين يجيدون اللغة العربية ومؤهلين لأداء المهمة التبشيرية عن طريق التعليم. وليس هناك حل غير طلب مدرسين أمريكان يختارون بدقة لفترات قصيرة مدتها ثلاث سنوات. ثم جاءت المشكلة الثالثة الخاصة بالمناهج الدراسية ومحاولة التوفيق بين ما تريده الارسالية وأهدافها وبين قوانين السلطات التركية في ميدان التعليم، إضافة إلى مُراعاة شعور المواطنين وردود فعلهم في اختيار هذه المناهج. ونتيجة لدراسة هذه الأمور أصبحت الموضوعات (الكتاب المقدس، لغة إنجليزية، جغرافيا، صحة وألعاب). وهذه الموضوعات كانت تُعطى في مدرسة الأولاد ومدرسة البنات، إضافة إلى درس في الخياطة والتطريز للبنات. وكان الكتاب المقدس يدرس في جميع سنوات الدراسة حيث كان المبشرون يركزون على هدفهم الرئيس وهو الهدف الديني.

وفي الحقيقة كان المبشرون على ثقة تامة بنجاح عملهم، ولم يكن هناك أدنى شك في قدرتهم على تحقيق هدفهم. فقد ذكرت دوروثي فان إيس (D. Van Ess) : «يجب أن يكون المسيح في صميم المنهج، وأنا شخصياً لا أرضى أن أقضي خمس دقائق من حياتي في الشرق وأعلّم في

مدرسة ما لم يكن التبشير بالديانة المسيحية من صميم المنهج»[٢١].

وقد استطاع المبشرون وضع نظام ناجح للتعليم، حيث قسموا كل موضوع إلى أجزاء كان التلميذ يسير في دراستها طبقاً لقدراته الفردية، وكان يهمهم نوعية التعليم لا كميته. وقد نجح النظام التعليمي التبشيري في بعض المناطق لأنه استطاع أن يتكيف مع الأوضاع المحلية ومراعاة الفروق بين التلاميذ، ولكن ليس في وضعِ المناهج، بل في تطبيقها أيضاً. والواقع ان تدريس الإنجيل كان ممنوعاً عند افتتاح مدرسة البنات في البصرة وكان لا بد من الحصول على إذن بذلك[٢٢].

ولم يسكت الأهالي عندما علموا بأن أبناءهم يتعلمون الإنجيل على يد المبشرين، وكانت ردود فعلهم مختلفة؛ فمنهم من اشتكى للسلطات المحلية التركية، ومنهم من اشتكى الأمر إلى إدارة المدرسة، وآخرون أقدموا على سحب أبنائهم من المدرسة. وقد سببت ردود الفعل هذه متاعب كثيرة لنشاط الارسالية التعليمي في سنواته الأولى. وكما سبق أن ذكرنا في الفصل الماضي، فإن عمل الارسالية قد توقف تقريباً أثناء الحرب العالمية الأولى، وقد تأثرت الخدمة التعليمية بذلك أيضاً. وبالرغم من الصعوبات فقد بذلت الارساليات جهوداً كبيرة لتستمر خدماتها التعليمية.

وعندما وضعت الحرب أوزارها عاد عمل الارسالية في المنطقة إلى ما كان عليه. وقد سبق أن ذكرنا أن المؤتمر التبشيري في القدس في سنة ١٩٢٤ كان يميل إلى تطوير خدمات التعليم التبشيري وأن لا يقتصر هذا التعليم على الإيمان المسيحي كي يتمكن من الاستمرار والانسجام مع الأوضاع الجديدة في البلاد العربية، ونتيجة لذلك التزمت خدمات الارسالية التعليمية بهذا الخط. وفي السنوات القليلة التي تلت الحرب بدأت الارسالية في تحديث التعليم في مدارسها التي أصبحت تقبل التلاميذ من مختلف الطبقات الاجتماعية الفقيرة والمتوسطة والغنية.

وفي عام ١٩٣٢ سمح للعراق بدخول عصبة الأمم، وفي تلك الأيام كان الشعور الوطني في تصاعد مستمر، حيث بدأت مشاعر الكراهية ضد الغربيين تتزايد. وفي السنة نفسها عقد مؤتمر تعليمي في بغداد نظمته وزارة المعارف العراقية دُعي إليه ستة مدرسين من رجال الارسالية الأمريكية العربية[٢٣]، وكان لحضور المبشرين المؤتمر أهمية خاصة للأسباب التالية:

- أولها: أن تعليم الارسالية كان ذا مستوى لا تستطيع الوزارة تجاهله.
- وثانيها: أن الارسالية قد حصلت على اعتراف الحكومة بها وسماحها لها.
- وثالثها: أن مستوى الخدمات التعليمية التي تقدمها الارسالية جيد ومرْضيٌ عنه وإلاّ لما سمحت الدولة لممثليها بحضور مثل هذا المؤتمر.
- ورابعها: أن موقف نظام الحكم الجديد في العراق كان يختلف عن موقف من سبقهم من الأتراك الذين يحكمون البلاد قبل الحرب العالمية الأولى.

ويحصول العراق على استقلاله الوطني بدأت الحكومة العراقية ترسم سياستها الخاصة، فبدأت التجنيد الإجباري في سنة ١٩٣٦، وأعفت طلبة المدارس من الخدمة العسكرية إذا نجحوا في الامتحان الذي كانت تضعه إدارة المعارف آنذاك. ومنذ ذلك الحين اضطرت الارسالية إلى تبني مناهج الدولة حرفياً[٢٤]. ولكن هذا لا يعني أن المبشرين كانوا راضين عنها تماماً، بل لم يكن أمامهم خيار آخر لأنهم في الوقت ذاته كانوا يطبقون مناهجهم الخاصة. وكان يصاحب حماسة العراقيين للتعليم شعور وطني عارم، والذي نما نمواً سريعاً بعد الاستقلال. وكان التلاميذ يشجعون على دخول المدارس الحكومية بدلاً من المدارس الأجنبية. وإضافة إلى ذلك لم تكن تعترف بشهادات مدارس الارسالية، لهذا لم يعد

بالإمكان أن يحصل حاملوها على وظائف في التعليم، وهو أحد المهن القليلة المفتوحة أمامهم في ذلك الوقت. وما من شك أن الأوضاع التربوية في البلاد قد أثرت في مدرسة الارسالية وأخذت أعداد المسجلين في المدرسة التبشيرية تتناقص باستمرار وبخاصة من الطلبة العرب المسلمين[٢٥].

والواقع أن مدرسة الارسالية بإمكاناتها المحدودة لم تكن تستطيع أن تنافس ما تقوم به الحكومة في مدارسها أو حتى أن تقوم بمثله، ولهذا قررت الارسالية أن تتجه لتعليم أبناء جميع الطبقات ومنها الفقيرة التي كانت تشكل غالبية السكان، حيث لم تكن مدارس الدولة تتسع لهم أو ترغب في قبولهم. وفي سنة ١٩٤٠ أصدرت الحكومة قانوناً جديداً تمشياً مع سياستها تمنع بموجبه جميع تلاميذ المرحلة الابتدائية من الالتحاق بالمدارس الأجنبية أو الخاصة.

وقد أثر هذا القانون في مدارس الارسالية التي غالبيتها ابتدائية. هذا الإجراء هدد بوضع حد لنشاط الارسالية التعليمي في تلك المنطقة. ومنذ ذلك الوقت دخلت خدمة الارسالية التعليمية مرحلة جديدة، خاصة عندما طلبت الحكومة منها تسجيل مدارسها رسمياً في إدارة المعارف المحلية.

لقد فتحت هذه الخطوة المجال أمام الارسالية لعقد اتفاق مع الحكومة يضفي على نشاطاتها صفة الشرعية، وتم بالفعل التوصل إلى اتفاق بهذا الشأن. عندها أصبح للارسالية صفة رسمية وحصلت على تأكيد بعدم وجود أي تمييز ضد المدارس التبشيرية، وأصبحت العلاقات بينها وبين الحكومة ودية. وبالرغم من أن هذا الاتفاق قد منح مدارس الارسالية صفة قانونية إلاّ أنها أعاقت خدماتها التعليمية، ولكنها مع ذلك استمرت في العمل. ويشير تقرير الارسالية لسنة ١٩٥١ إلى زيادة القيود المفروضة على مدارس الارسالية والصعوبات التي كانت تواجه خدماتها

التعليمية في البصرة، وقد أشارت دوروثي فان إيس إلى ذلك بقولها:

«لقد بدأ عملنا التعليمي يأخذ طابع الجمود بازدياد القيود التي تفرضها الدولة علينا، إذ إننا لم نعد نملك الحرية في استخدام كتاب مقرر جديد ما لم يكن ضمن القائمة التي تطلبها إدارة التعليم، كما أننا يجب أن نحصل على موافقتها عند تعيين جميع المدرسين لتقرر صلاحية المدرسين لتعليم التاريخ العربي وغيره من الموضوعات المتعلقة بالإسلام»[٢٦].

هذا ما كانت عليه أوضاع خدمات الارسالية ونشاطاتها التعليمية في البصرة حتى عام ١٩٥٨ عندما حدثت الثورة في العراق ووضع الحكم الجديد جداً لجميع أنشطة الارسالية في العراق فيما بعد. وترك أعضاء الارسالية البصرة إلى غيرها من مناطق الخليج العربي التي كان للارسالية نشاط فيها. وكان أعضاء الهيئة التعليمية التبشيرية في البصرة هم: جون فان ايس، جورج جوسلنك وقد أدارا مدرسة الأولاد بنجاح. هنري بلكرت، هاري أماند ودوالد ماكنيل وادوين لويدنز الذين كانوا يعملون مساعدين والآنسة شاولوت كيلين وراشيل جاكسون والآنسة سوانيتنا دي يونج والآنسة روث جاكسون دوروثي فان ايس والآنسة لاخينا هوجيفين كن مدرسات في مدرسة البنات وقد أسهم مدرسون آخرون لمدد قصيرة بخدمات في مدارس الارسالية في هذه المنطقة[٢٧].

الخدمات التعليمية للارسالية في البحرين:

بدأت الخدمة التعليمية للارسالية الأمريكية العربية في البحرين في الوقت نفسه الذي بدأت فيه الخدمة الطبية فيها، وكانت أول مدرسة للتعليم الحديث على النظام الغربي أُنشئت هناك هي المدرسة التي أقامتها الارسالية في سنة ١٨٩٢، والتي افتتحتها السيدة س.زويمر (S.Zwemer) ، وكانت هذه المدرسة هي الأولى من نوعها في منطقة الخليج العربي وليس في البحرين وحدها. أما عدد التلاميذ والتلميذات

الذين التحقوا بهاتين المدرستين فقد كان قليلاً جداً في السنوات الثلاث الأولى حيث لم يكن يزيد على اثني عشر في كل منهما، وقد ازداد هذا العدد تدريجياً في السنوات التالية، ولكنه لم يصل إلى الحد الذي وصل إليه عدد المرضى في عيادة الارسالية بسبب الطبيعة الإنسانية التي تتصف بها الخدمات الطبية بالمقارنة بالصبغة التبشيرية المباشرة للعمل التعليمي. وكان الآباء قلقين على أبنائهم خشية أن يتحولوا عن دينهم وكان المنهج التعليمي يتألف من: اللغة الإنجليزية، الكتاب المقدس، الحساب، اللغة العربية. وقد أتت المصادر على ذكر موضوعات أخرى. وفي مقابلة صحفية مع السيد ناصيف، وهو أحد مدرسي الارسالية القدامى ، ذكر بأن موضوعات الدراسة كانت اللغة العربية، اللغة الإنجليزية، الكتاب المقدس، الحساب، الجغرافيا، التاريخ[٢٨]. وربما تكون الموضوعات الجديدة هنا قد أُضيفت فيما بعد. وحول طبيعة هذه الدراسة تحدث السيد أحمد إبراهيم أحد أقدم تلاميذ الارسالية في البحرين حيث قال:

«لقد كانت الدراسة اليومية تبدأ عادة بالصلاة المسيحية وقراءة من الإنجيل. والواقع أننا رغم صغر سننا كنا نناقش مدرسينا في ديننا حيث إننا قد تعلمنا الدين الإسلامي في البيت وكانت القاعدة الدينية لدينا متينة، فكان من الصعوبة التأثير علينا دينياً[٢٩]* وكان الدافع الرئيس لالتحاق التلاميذ بمدرسة الإرسالية هو تعلم اللغة الإنجليزية والقراءة والكتابة، حيث لم يكن آنذاك بديل عنها.

ولقد كان مدرسو الإرسالية يشكون من بعض المشكلات، من أبرزها أن بعض التلاميذ لم يكونوا يستمرون في تعليمهم إلى نهاية المرحلة والتي كانت مدتها أربع سنوات. فقد كان آباؤهم يرسلونهم لتعلُّم القراءة

---

* المقابلة مع السيد أحمد إبراهيم قام بها الكاتب عام ١٩٧٤ أثناء قيامه بالدراسة الميدانية لهذا البحث. والسيد أحمد إبراهيم هو من أوائل تلاميذ الإرسالية الأمريكية العربية، وقد كان عمره آنذاك قد تجاوز الثمانين عاماً.

السيد احمد حسن ابراهيم – البحرين

والكتابة وقليل من اللغة الإنجليزية، وعندما يشعرون بأن أولادهم قد أتقنوها كانوا يسحبونهم من المدرسة للبحث عن عمل في الحكومة أو في مكاتب التجار[٣٠]. وربما للخوف عليهم من التأثير التبشيري المسيحي إذا طالت مدة مكوثهم في هذه المدرسة.

ولم تلاقِ خدمات الإرسالية التعليمية أية معارضة في بداية الأمر، ولكن هذه المشكلة انفجرت فيما بعد. وقد ذكر السيد ناصيف بهذا الخصوص:

«لقد حصلت موجة قوية من المعارضة ضد خدمات الإرسالية التعليمية، واتهمنا المسلمون المتشددون بأننا نسعى لتنصير المجتمع وليس لتعليم أطفالهم[٣١]. وأكدت هذا القول دوروثي فان ايس (D. Van Ess) حينما ذكرت أن معلمي القرآن حاولوا إقناع أولياء أمور الفتيات بعدم الالتحاق بالمدرسة المسيحية، وقد حلّ بعضهن المشكلة بالذهاب إلى مدرسة القرآن «الكتّاب» أولاً ثم الحضور إلى مدرسة الإرسالية بعد ذلك» [٣٢]. ومما لا شك فيه أن ذلك كان يشكل اضطراباً في التعليم التبشيري، حيث كان يؤثر في حضور التلاميذ والتلميذات. والإحصائية التالية تبين أعدادهم في مدرسة الإرسالية والتي كانت ضئيلة:

الجدول رقم ٤ : ٢

التلاميذ المسجلون	مسلمون	مسيحيون	يهود
مجموع المسجلين حتى ١ ديسمبر ١٩٠٧	١٧	٨	–
مجموع المسجلين حتى ١ ديسمبر ١٩٠٨	١٢	٦	٣
المقبولون خلال العام الدراسي	٦	–	٣
التاركون خلال العام الدراسي	١١	٣	–
مجموع الحضور في السنة	٢٦٥٦	٦٢٨	١١٧
معدل الحضور في السنة	٪١١,٤	٪٢,٦٩	٪٥
مجموع أيام السنة الدراسية	٢٣٣	–	–

Source: Van Ess, D. op. cit., p. 20

وفي عام ١٩١٠ فكر بعض المسلمين المتنورين من أبناء المذهبين السني والشيعي بتقديم التعليم الحديث لأبنائهم في البحرين وبدأ الفريقان بالتنفيذ.

وقد أنشأت الأقلية الإيرانية في المنامة «مدرسة الاتحاد» وفي الوقت نفسه أسس محمد الزينل وهو تاجر لؤلؤ من الحجاز «مدرسة الفلاح» وكان التركيز فيها على تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي والحساب. وبعد ذلك بقليل أُنشئت مدرسة مشابهة في المحرق وهي مدرسة «دار العلم» لتعليم الموضوعات نفسها[٣٣].

وبشكل عام فقد كان الدافع من افتتاح تلك المدارس دينياً لمقاومة تأثير المدرسة التبشيرية هناك، كما يتبين من التركيز على الدين الإسلامي في مناهجها. وقد اتسعت فكرة إقامة المدارس الحديثة في المنطقة بإضافة موضوعات علمية حديثة. يؤرخ للتعليم الحديث في البحرين في الحقيقة منذ عام ١٩١٩ عندما افتتحت «مدرسة الهداية» والتي أُقيمت في الطرف الشمالي من المحرق، وقد أسهم الأهالي في تكاليفها. ومناهجها في غالبها مستعارة من مناهج البلاد العربية. والمدرسون كانوا من سوريا ولبنان ومصر والعراق[٣٤].

وفي الوقت ذاته كانت الإرسالية لا تزال تباشر نشاطها التعليمي رغماً عن جميع الصعوبات والمعوقات التي واجهتها. لقد تطورت مدرسة الإرسالية للبنات في عهد السيدة (لوزديم) بعد الحرب العالمية الأولى، واشتمل المنهج في عام ١٩٢٦ على الكتاب المقدس والحساب والجغرافيا واللغة العربية، واللغة الإنجليزية والخياطة، وقد تبيَّن من سجلاتها أن بعض الزيادة الطفيفة كانت تحصل سنوياً في أعداد التلميذات الملتحقات بها.

وفي سنة ١٩٢٨ انتقلت هذه المدرسة إلى أملاك الإرسالية وشغلت حجرتين من الطابق الأرضي في مبنى الكنيسة، وفي ذلك الحين أنشأت

الإرسالية مكتبة مدرسية صغيرة للمرة الأولى، وبدأت المدرسات يشجعن الطالبات على قراءة الكتب البسيطة عندما ينتهين من دروسهن الأخرى. وكان المبشرون يؤكدون على توجيه البنات نحو الإيمان المسيحي[٣٥].

وفي عام ١٩٢٩ افتتح نـادٍ للبنات في المدرسة، وأصبح جهاز هيئة التدريس يتألف من المبشرات المسؤولات وإحدى المدرسات المحليات يساعدهنّ المبشرون من الرجال في دروس الكتاب المقدس إضافة إلى الممرضة الأمريكية التي تدرس مادة رعاية الطفل.

هذه هي أوضاع مدرسة البنات في ذلك الوقت. أما مدرسة البنين فقد كانت تعاني عجزاً في الموارد المالية مما دفع التلاميذ أنفسهم للتبرع مساهمة منهم في حل المشكلة كي يحصلوا على بناء أفضل لمدرستهم. بعد ذلك ارتفع عدد التلاميذ المسجلين فيها إلى ١٥١ تلميذاً عام ١٩٣٢، وكان يمكن أن يستمر العدد في الازدياد لولا ضيق المكان. ويدل هذا الإقبال على حماسة الناس للتعليم في تلك المنطقة آنذاك.

ويذكر أحد تقارير الإرسالية عن هذه المدرسة التبشيرية بأن بعض التلاميذ استمر في المدرسة مدة طويلة وأن نفور التلاميذ من التعليم المسيحي يضعف كلما طالت مدة بقائهم في المدرسة، والمعارضة الشديدة تأتي من التلاميذ الجدد[٣٦]. إن تفسير ما جاء في هذا التقرير يدل بوضوح على أن جهوداً كانت تبذل في المدرسة للتأثير دينياً في هؤلاء التلاميذ.

لكن عام ١٩٣٦ شهد إغلاق مدرسة البنين في البحرين بسبب الحاجة إلى الأموال، ومما لا شك فيه أن الإرسالية كانت تشعر بعد ذلك الإجراء بالخسارة الكبيرة إلاّ أنها كانت مضطرة إلى ذلك[٣٧].

والسؤال: لماذا لم تبادر الكنيسة الأم في الولايات المتحدة إلى دعم

نشاط الإرسالية التبشيري في ميدان التعليم في هذه المنطقة؟ فقد أوضح السيد ناصيف أن مجلس الإرسالية في الولايات المتجدة رفض تقديم المساعدة الضرورية لتمكين الإرسالية من التغلب على الصعوبات المالية التي كانت تواجهها(٣٨). ولكن السيد ناصيف والإرسالية لم يذكروا الأسباب التي دفعت قيادة الإرسالية والكنيسة إلى هذا الموقف، لكن يبدو أن الإرسالية وقيادتها في الولايات المتحدة قد قررت أن تعتمد تنظيمات الإرسالية محلياً على تمويل نشاطاتها، خاصة أنها نشاطات محدودة وفي منطقة بدأت بوادر الثروة تظهر بها منذ نهاية الثلاثينات من هذا القرن. ما الذي حدث لطلبة المدرسة عندئذ؟ الحقيقة أن المصادر المتوفرة جميعها لم تذكر شيئاً عن ذلك بعد إغلاق المدرسة، ونعتقد أن هناك الاحتمالات التالية:

- الاحتمال الأول: أن بعض التلاميذ قد توقفوا عن الدراسة وأخذوا يساعدون أولياء أمورهم في أعمالهم في الحقول أو في الغوص في البحر للحصول على اللؤلؤ.
- الاحتمال الثاني: ربما يكون بعض من قضوا وقتاً طويلاً في المدرسة واتقنوا القراءة والكتابة قد حصلوا على أعمال في الوظائف الحكومية المحدودة آنذاك أو في القطاع الخاص، خاصة في وقت كان عدد من يقرأون ويكتبون قليلاً جداً.
- والاحتمال الثالث: أن بعض هؤلاء التلاميذ الذين أغلقت مدرستهم قد التحقوا بالكتّاب لاستكمال دراستهم، وآخرون قد التحقوا بالمدارس التي افتتحتها الجماعات المحلية أو الحكومة.

ولكن هذه المدرسة التابعة للإرسالية والتي أُغلقت في منتصف الثلاثينات تقريباً افتتحت ثانية بعد فترة طويلة من الزمن أي في نهاية الخمسينات. وفي أثناء ذلك كان التعليم الحديث قد انتشر في أنحاء

المنطقة وبدأت الحكومة تفكر جدياً في مسؤوليتها عن التعليم عندما أقدمت على تكوين لجنتين إحداهما كانت مهتمة بشؤون مدارس السنّة والأخرى بمدارس الشيعة، كان ذلك منذ نهاية العشرينات. وفي عام ١٩٣٠ كانت هناك محاولة لدمج اللجنتين في مجال تعليمي واحد تحت الإدارة الحكومية، ولكن هذه الخطوة فشلت. وفي عام ١٩٣٣ اتخذت الحكومة إجراءً إيجابياً جديداً بتوحيد مدرسة السنّة ومدرسة الشيعة في مدرسة ابتدائية واحدة فيها قسم خاص للبنات من المذهبين وكان الإنجاز المبكر في ١٩٣٢ – ١٩٣٣، نقطة تحول في تقدم التعليم في البحرين.

وبدأت الحكومة بعد ذلك بتطوير المدارس التي تقوم على أسس حديثة وتختلف كثيراً عن المدارس التقليدية التي تعرف بالكتّاب، وفي ذلك الحين بدأ ضغط الفئات الدينية على المواطنين – كما حدث في المناطق الأخرى – لإجبارهم على إرسال أبنائهم إلى مدارسهم وليس إلى مدارس الإرسالية(٣٩). وكان هذا التطور الجديد في ميدان التعليم في البحرين مصدر قلق ومتاعب للإرسالية والذي اضطرها للتفكير جدياً في مستقبل هذا النوع من النشاط التبشيري. لقد كان المبشرون يعتقدون بعدم جدوى الدخول في منافسة مع المدارس الحكومية لأسباب عدة:

أولها: انّ إمكانات الإرسالية المالية لا تُقارن بإمكانات الدولة.

ثانياً: انّ الإرسالية لم تكن في موقف يمكنها من الدخول في خلاف مع الحكومة فوق أراضيها وبين شعبها من العرب المسلمين إذ لم يكن أسهل على الحكومة من مصادرة مدارسها وطرد جميع المبشرين من أراضيها.

ثالثاً: انّ التعليم الحديث الذي جاءت به الحكومة هو ما كانت الإرسالية تدعو إليه لأن هدفها الحقيقي هو تنصير الناس، ولذلك لا تستطيع أن ترفض هذا النوع من التعليم وإلاّ تكون بذلك متناقضة مع

نفسها، ولهذا فقد قبلت الإرسالية بالتطوير الذي أحدثته الحكومة في التعليم وحاولت أن تقيم علاقات طيبة معه لكي تتمكن من الاستمرار في نشاطها التعليمي في هذه المنطقة.

أما أوضاع مدرسة البنات فقد كانت طبيعية في فترة إغلاق مدرسة البنين. وتطور التعليم فيها كما شهدت زيادة في عدد التلميذات الملتحقات فيها سنوياً[٤٠]. وبلغ عدد الخريجات ممن نجحن في نيل شهادة مدرسة الإرسالية إحدى عشرة طالبة. وقد عمل بعضهن مدرسات في مدرسة الإرسالية وبعضهن أقمن في بيوتهن بسبب ظروف الجزيرة الاجتماعية في تلك الأيام والتي لم تسمح للفتاة بالعمل خارج المنزل. وكان هدف الآباء من تعليمهن هو تنوير عقولهن ليتمكنّ من القيام بواجباتهن المنزلية ويربين أطفالهن بطريقة سليمة وفكر مفتوح. ولم يعتنق المسيحية أو يتحول عن الإسلام أحد من طالبات وطلاب المدرسة المسلمين الذين درسوا في مدارس الإرسالية. لقد حصل التلاميذ والتلميذات على العلم الذي كانوا يطلبونه، لكن مجهودات الإرسالية التبشيرية كانت تصطدم بالعقيدة الإسلامية الراسخة للأبوين، وكذلك بالبنية الاجتماعية والدينية للمنطقة.

أما التطورات المتأخرة في نشاطات الإرسالية التعليمية فقد حدثت على النحو التالي:

لقد أُعيد فتح مدرسة البنين في نهاية الخمسينات - كما سبق أن ذكرنا - وتابعت مدرسة البنين والبنات عملها دون أية متاعب تعرقل مسيرتها. وبعد اكتشاف البترول جاء كثير من الوافدين العرب والأجانب للعمل في المنطقة وكان من بين هؤلاء القادمين مسيحيون. إن الكنيسة الإنجليزية أقدمت على إقامة مدارس خاصة بها، إضافة إلى مدارس الإرسالية الأمريكية العربية.

وفي مقابلة مع السيد يوسف حيدر مدير مستشفى الإرسالية في البحرين عام ١٩٧٤ ذكر أنه يوجد في مدارس الإرسالية حوالي ٤٥٠ تلميذاً وتلميذة، يتولى مهمة تدريسهم ٢٣ مدرّسة. وهذه المدارس ابتدائية ومناهجها هي مناهج المدارس الحكومية نفسها فيما عدا الدروس الإضافية في الدين المسيحي. وذكر أنه في منتصف نوفمبر ١٩٧٤ أمرت وزارة التربية في البحرين مدارس الإرسالية بعدم السماح للتلاميذ المسلمين بحضور دروس الدين المسيحي. وهذه كانت من المشاكل الكبيرة في حينها التي واجهت الإرسالية والتي حاولت إدارتها إعادة الدرس إلى ما كان عليه لكنها لم تفلح في ذلك[٤١].

وهكذا نرى أنه بعد مضي ثلاثة أرباع القرن على بدء نشاطات الإرسالية الأمريكية العربية في البحرين لم تتمكن الإرسالية من تحقيق هدفها الأساس، ولكنها بدون شك قد خدمت سكان المنطقة تعليمياً في وقت لم يكن لديهم أية مؤسسات تعليمية حديثة خاصة بهم. ومما يدعو إلى الغرابة أن هذا النوع من النشاط التبشيري كان أحد العوامل التي أثرت بشكل مباشر أو غير مباشر في تشجيع التربية الإسلامية والتعليم الحديث وتقدمه في المنطقة كرد فعل لهذا النشاط.

الخدمات التعليمية للإرسالية في مسقط:

كانت مسقط ثالث محطة مهمة للإرسالية الأمريكية العربية، وكانت تعتبر من المحطات المهمة. في عام ١٨٩٦ افتتح القس بيتر زويمر (Peater Zwemer) مدرسة للبنين هناك. لقد كانت حقاً ثمرة جهوده الخاصة، وقد عهد إليه بثمانية عشر تلميذاً في بادىء الأمر[٤٢]. وسميت هذه المدرسة باسم «مدرسة الرقيق المحرر» ذلك أنها أسست في البداية

لتعليم أطفال العبيد* ورعايتهم من أجل تحويلهم إلى الدين المسيحي.

وكان معظم هؤلاء الأطفال من اليتامى، وقد كانت رعايتهم والعناية بهم بالنسبة للإرسالية عملاً إنسانياً يجب أن تضطلع به، ولكن أيضاً لغرض تبشيري.

لقد بدأت المدرسة بأعداد قليلة من الأطفال وكرست السنة الأولى لتأسيس المدرسة، وبعد تنظيم المدرسة جيداً جرى تعيين أول مدرّسة ومسؤولة عنها، وكانت السيدة (راشيل) أرملة أحد بائعي الكتب المقدسة المتجولين وخريجة مدرسة الإرسالية الأمريكية الثانوية في ماردين بتركيا(٤٣). في الحقيقة كانت اللغة الإنجليزية من أهم موضوعات الدراسة ولكن باعتبار أنهم في بلاد عربية كان لزاماً عليهم أن يقوموا بتدريس اللغة العربية أيضاً، وقد قاموا بذلك فعلاً** والكتاب المقدس «الإنجيل» بالطبع كان من أهم موضوعات الدراسة الرئيسة في هذه المدرسة التبشيرية. أما المشكلة الأولى التي واجهت مدرسة الإرسالية هذه فهي تعدد اللغات التي يتكلمها الأطفال الذين جاءوا من بلدان متعددة، وكان عدد الأطفال الذين لا يتكلمون اللغة العربية كبيراً مما جعل تنظيم الفصول الدراسية أمراً صعباً ، حيث كانت لغات هؤلاء الأطفال تتوزع بين البلوشية والسواحلية والهندوستانية والفارسية والعربية. وأكثر الأطفال لم يكونوا يعرفون غير لغتهم الأصلية. ولذلك فقد كانت اللغة الإنجليزية من أهم موضوعات الدراسة في المدرسة، وقد بُدىء بتعليم الحساب والجغرافيا فيما بعد، ولكنهم كانوا يقضون بعض الوقت في تعلُّم القراءة والكتابة والتهجئة.

---

* لقد ذكر القس (لويس سكدر) الابن في مقابلة له مع الكاتب في سبتمبر ١٩٧٦ في مدينة نيو برونزويك في الولايات المتحدة بأن الأسطول الإنجليزي قد أخذ هؤلاء الأطفال من سفينة للعبيد، وقد تطوع القس (بيتر زويمر) برعايتهم.

** تجدر الإشارة هنا إلى أن مستوى تعليم اللغة العربية لم يكن بالمستوى المطلوب، ذلك أن المعلومات المتوفرة توضح بأن المبشرين أنفسهم كانوا يقومون بهذه المهمة في الوقت الذي كانوا فيه أنفسهم يشكون من ضعفهم في اللغة العربية.

وقد ذكر جيمس كانتين مدى اهتمام التلاميذ وحماسهم للدراسة حيث قال: «وبعض هؤلاء الأولاد وبخاصة الهنود كانوا يتمتعون بقدرة على تعلُّم اللغات لو ثابروا عليها. أما الأولاد المسلمون فقد كانوا غير منتظمين ولم أكن لأتمكن من إغرائهم بالحضور لولا مكافآت الحضور التي كنت أقدمها لهم»(٤٤). ولكن جيمس كانتين لم يشرح لماذا كان الأولاد المسلمون غير منتظمين في الدراسة، وربما كان السبب الرئيس هو نفورهم من فرض تعلم الدين المسيحي عليهم، وقد كانت خلفيتهم الدينية وبيئتهم المسلمة تمنعهم تلقائياً من تشرّب الدين المسيحي. والدراسة في مدرسة الإرسالية كانت تبدأ وتنتهي بتلاوة من الانجيل والصلاة، كما كان الأولاد يؤخذون إلى الكنيسة بين الحين والآخر(٤٥). ولم يكن هذا نشاطاً مستقلاً ، بل كان يشكل جزءا من نشاط الإرسالية الديني، وهو في الحقيقة أقرب إلى النشاط الديني منه إلى التعليمي.

وأخذ عدد التلاميذ يتناقص في السنوات القليلة التالية حتى بلغ مجموعهم أحد عشر تلميذاً من أصل ثمانية عشر في البداية، والجدول التالي يوضح جنسيات التلاميذ ودياناتهم:

جدول رقم ٤ : ٣

جنسية التلاميذ ودياناتهم	عدد التلاميذ	ملاحظات
مسيحيون	٢	
من عائلة بائع الكتب المقدسة (عضو في الإرسالية)	١	
ابن المترجم في القنصلية البريطانية	١	
مسلمون من أهالي البلاد	٢	
مسلمون هنود	٢	اختفى أحدهما دون معرفة ظروف اختفائه أو مصيره.
أفارقة	٢	
المجموع	١١	

Source: N. A., jan-March 1907, p. 13 - 14.

وفي الوقت ذاته، كان في مدرسة الإرسالية صف خاص للبنات كانت السيدة كانتين تتولى مسؤولية التدريس فيه ستة أشهر في السنة. وكانت البنات يتعلمن اللغة العربية واللغة الإنجليزية والكتاب المقدس والخياطة. لقد كان معدل عدد الطالبات يتراوح بين خمس وثمان، وكانوا يعلمون الأولاد والبنات أجزاء من الكتاب المقدس في اللغة الإنجليزية والعربية[٤٦]. وبعد أربع سنوات من افتتاح المدرسة تخرج منها خمسة أولاد ووجد اثنان منهم عملاً في القنصلية البريطانية وثلاثة آخرون وجدوا أعمالاً في أماكن أخرى، وقد أرسل بعضهم إلى فروع الإرسالية في البحرين والبصرة[٤٧]. وترك جميع الأولاد الكبار المدرسة ولم يبقَ فيها غير صغار السن. وورد في أحد تقارير الإرسالية أن عدداً من التلاميذ في مدرسة الإرسالية مستمر في دراسته، وهناك صعوبات جمّة تحول دون استمرار نشاط المدرسة في الطريق نفسه الذي كانت تسير عليه. وبما أن بعض هؤلاء التلاميذ يعملون في المنازل بعد تركهم المدرسة نظراً لظروفهم الاجتماعية، فقد رأت الإرسالية من الضروري توجيه بعضهم للعمل في خدمة الأسر المسيحية تحقيقاً للهدف التبشيري الذي تسعى إليه الإرسالية[٤٨]. ويرينا جدول ٤:٤ أسماء بعض تلاميذ وأساتذة المدرسة التبشيرية في السنوات الأربع من نشاطها .

جدول رقم ٤ : ٤

أسماء المدرسين	أسماء التلاميذ	ملاحظات
١) القس بيتر زويمر ٢) ف. ج. بارني ٣) القس ج. كانتين	١) جيمس ٢) صموئيل ٣) حنا	ليس بين هؤلاء أي طفل من أبناء المواطنين العُمانيين

تابع: جدول رقم ٤ : ٤

أسماء المدرسين	أسماء التلاميذ	ملاحظات
٤) السيدة كانتين ٥) السيدة راشيل	٤) مرقص ٥) أندريه ٦) ستيفن ٧) أدريان ٨) هنري ٩) ناثان	بل انهم جميعاً يتامى ولقطاء•.
المجموع (٥)	المجموع (٩)	

Source: N. A., April - June 1899, p.8.

• يتضح من قراءة أسماء التلاميذ في الجدول أعلاه أنها أسماء مسيحية. لقد كان هؤلاء الأطفال هم لُقطاء وأبناء العبيد تولت الإرسالية مسؤولية تربيتهم وتعليمهم وأطلقت عليهم أسماء مسيحية.

ولسنوات عديدة متتالية كانت الخدمة التعليمية أو النشاط التعليمي للإرسالية في مسقط محدودة وغير ناجحة لأن العمل كان في أيدي مبشرين مسؤولين بشكل رئيس عن أعمال تبشيرية أخرى ولم يكونوا متفرغين للمهمة التعليمية، مثل القس (بيتر زويمر) والقس (ج. كانتين) و(ف. بارني)، هؤلاء كانوا رجال دين أساساً تحملوا مسؤولية التعليم لأسباب:

الأول: قلة عدد أعضاء الإرسالية مما أدى إلى تركيز النشاطات في أيدي قلة منهم في هذا المجال.

الثاني: الحرص على أن يتولى مبشرون، هذه المهمة لتحقيق الغرض التبشيري الديني من التعليم كونه وسيلة تبشيرية من أهم الوسائل التي استخدمتها الإرسالية.

وبالرغم من كل ذلك يمكننا القول إن الخدمة التعليمية كانت منتظمة نسبياً في السنوات العشر الأولى من عملها في تلك المنطقة، وخلال الحرب العالمية الأولى لم تتأثر خدمات الإرسالية هناك بشكل مباشر، ولكن نشاط الإرسالية بمجمله قد تأثر بشكل غير مباشر بظروف الحرب فقد كانت مسقط موقعاً استراتيجياً مهماً يسيطر على مدخل الخليج العربي ويطل على المحيط الهندي. وبعد انتهاء الحرب عادت الخدمة التعليمية إلى حالتها الطبيعية، وفي الوقت ذاته استمر الكتّاب بتأثيره الديني الواسع في تقديم الخدمات التعليمية التقليدية للمواطنين.

وفي عام ١٩٣٦ بدأت الحكومة المحلية بالتفكير في التعليم الحديث وافتتحت أول مدرسة لها في عام ١٩٣٨ واستقدمت المدرسين من سوريا، واستطاعت هذه المدرسة أن تجذب إليها بعض تلاميذ الإرسالية. ونتيجة لهذا الظرف وسعت الإرسالية من خدماتها التعليمية، ويبدو أن ظروفها آنذاك أصبحت أفضل من السابق، وقد ورد في تقرير للإرسالية ما يلي:

«هناك رغبة ظاهرة في التعليم هنا، ولكن الحكومة لا تستطيع تأمين المدارس الكافية. هناك فرصة رائعة أمام الإرسالية لتدريب الشبّان المحليين وفتح آفاق مستقبل أفضل أمامهم. يضاف إلى ذلك أنه يوجد هنا عدد متزايد من الأطفال من أبناء من نجحنا في تنصيرهم* ممن يجب أن يكونوا في مدارس مسيحية وليس في مدرسة القرآن (الكتّاب). ويجب استغلال الفرص المتوفرة من أجل ملكوت اللّه»[٤٩].

وقد وجد خريجو «مدرسة الرقيق المحرر»، في مسقط أعمالاً في أماكن مختلفة والقائمة التالية توضح مجالات عمل هؤلاء:

---

* لقد ذكر تقرير الإرسالية هذا أن هناك عدداً من الأطفال في مدرسة الإرسالية من أبناء من نجحوا في تنصيرهم. والحقيقة أن مصادر الإرسالية وغيرها لم تذكر إلاّ عدداً قليلاً جداً من الذين أصبحوا مسيحيين في كل منطقة الخليج (أنظر فصل النشاط الديني).

جدول رقم ٤ : ٥

مجالات عمل المتخرجين في مدرسة الإرسالية	عددهم	ملاحظات
الملتحقون ببرنامج تدريب الممرضات في البصرة	٣	
فتيات انتقلن إلى البحرين لرفع قدرتهن على التعليم	٢	
فتيات يعملن في مستشفى النساء في مسقط	٣	
عملوا في أماكن أخرى في مؤسسات الإرسالية	٢	
عملوا في مستشفى الرجال في مسقط	٣	
عملوا بصورة متقطعة في مؤسسات الارسالية	مجهول	
المجموع	١٣	

Source: Van Ess, D., op. cit., p. 33.

ولم يكن عدد متخرجي الإرسالية كبيراً حتى الآن، وربما يعود ذلك إلى الصعوبات الكثيرة التي كانت تعترض نشاط الإرسالية والتي كانت تحاول جاهدة التغلّب عليها.

وبعد فترة من الزمن أصبح التلاميذ الملتحقون بمدرسة الإرسالية يتكونون من أبناء الأُسر المسيحية، إضافة إلى أبناء المبشرين مع عدد ضئيل من أبناء الأهالي. وبعد افتتاح المدارس الحكومية شعر المبشرون بالقلق خوفاً من أن تجذب هذه المدارس التلاميذ الملتحقين بمدارسهم، وقد علّق السيد دايكسترا أحد قادة الإرسالية سنة ١٩٤٣ على ذلك بقوله:

«لم نكن نستطيع أن نسمح لأطفال مجموعتنا المسيحية أن يضيعوا منا أو أن يقعوا تحت تأثير الآخرين. إن المجموعة المؤلفة من ٢٤ طفلاً هي نُواة لقوة من الأهالي ممن سيقومون بتنصير مسقط والجهود التي صرفناها عليهم يجب ألا تذهب هباء»(٥٠).

في الحقيقة لقد كان السيد دايكسترا متفائل جداً بمستقبل خدماتهم في المنطقة، ولكن آماله لم تتحقق بسبب التطورات الحديثة في الأوضاع التعليمية والاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية.

وهكذا، فبرغم الجهود التي بذلها المبشرون في منطقة كانت الإرسالية تعتبرها مهمة جداً لم تكن النتائج مشجعة أو ناجحة. وكان عدد من استطاعت الإرسالية تنصيرهم في المنطقة ضئيلاً جداً . هذه صورة أخرى من صور نشاط الإرسالية التعليمي في مسقط. وللحقيقة يجب القول إنه رغم أن الغرض التبشيري كان وراء النشاط التعليمي للإرسالية إلاّ أن أهالي المنطقة كانوا ولا يزالون يشعرون بالتقدير لجهود الإرسالية لإدخالهم التعليم الحديث إلى المنطقة.

النشـــاط التعليمـي للإرســـالية في الكـــويت:

قبل أن تبدأ الإرسالية الأمريكية العربية نشاطها التعليمي في الكويت كان «الكتّاب» أو التعليم التقليدي هو الأسلوب الوحيد الذي يسيطر على النشاط التعليمي في البلاد، كما كان الحال في غيرها من مناطق الخليج العربي فيما عدا أن فكرة إقامة المدارس الحديثة بدأت مبكرة في الكويت، كما سيتضح.

في عام ١٩١٣ قررت الإرسالية أن تبدأ نشاطها التعليمي في الكويت وأخذ أدوين كالفرلي بالإعداد لافتتاح مدرسة في المستشفى الأمريكي التابع للإرسالية، ولكنه عدّل عن ذلك وأوجدها في منزل تابع لأحد المواطنين يدعى «بيت الربّان»[٥١] . لقد كان عدد التلاميذ في البداية قليلاً حيث لم يكن يزيد على اثني عشر تلميذاً. وقد ألّف السيد كالفرلي كتاباً لتعليمهم مبادىء اللغة الإنجليزية واللغة العربية. إن الدافع لالتحاق هؤلاء التلاميذ بهذه المدرسة هو تعلم القراءة والكتابة واللغة

الإنجليزية. وكان المبشرون في الحقيقة يعوّلون الكثير على رسالة ودور هذه المدرسة بالرغم من قلة عدد تلاميذها. وحول أهمية هذه المدرسة قال السيد أدوين كالفرلي:

«باعتبار أنها الطريقة الوحيدة أمامنا في الكويت للتأثير في الشباب بشكل متصل، لقد مكننا العدد البسيط من التلاميذ من أن نثق بهم وبمستقبل هذا النشاط واننا كنا على استعداد لقبول أعداد أكبر لو تمكّنا من اقناعهم للالتحاق بمدرستنا»[٥٢]. وخلال ثلاثة أشهر من افتتاح المدرسة ظهرت معارضة دينية قوية من المواطنين ضد نشاطها، والتي أدت إلى سحب أولياء الأمور معظم أبنائهم من المدرسة، وكانت هناك أسباب عدة لهذه المعارضة:

السبب الأول: أن السيد كالفرلي كان يأخذ الأولاد أسبوعياً إلى الصلاة يوم الأحد في الكنيسة. الثاني: أنه كان يعلمهم الدين المسيحي ويعطي كلاً منهم نسخة من الكتاب المقدس في اللغة العربية ليأخذها معه إلى والديه في المنزل. السبب الثالث: أن نشاطات الإرسالية التبشيرية كانت أيضاً تلقى معارضة متزايدة، خاصة عندما افتتحت الإرسالية مكتبة في السوق الرئيس لبيع الكتاب المقدس وكتب دينية أخرى، مما لفت انتباه رجال الدين، فبدأوا حملة واسعة من الوعظ في المساجد وفي لقاءاتهم مع الناس ضد النشاط التبشيري.

ونتج عن هذه المعارضة تطوران هامان: الأول: تأسيس «المدرسة المباركية» وهي أول مدرسة حديثة في الكويت. والثاني: تكوين «الجمعية الخيرية»، والتي سنأتي على توضيح مهمتها.

المدرسة المباركية:

أُنشئت هذه المدرسة في سنة ١٩١٢ على أسس حديثة نوعاً، وقد

سُميت المدرسة باسم حاكم الكويت آنذاك الشيخ مبارك. وكان الهدف الأول من انشائها مواجهة تحدي نشاط التعليم التبشيري الذي كان قائماً في البحرين وكان في طريقه إلى الكويت، والهدف الثاني كان لتدريب الكتبة لإدارة أعمال التجار الذين ساهموا في بناء هذه المدرسة عن طريق جمع التبرعات. لقد شيدوا مبنى ضخماً للمدرسة وعينوا السيد عيسى بن يوسف العيسى ناظراً عليها. وكانت المدرسة لا تختلف كثيراً في بداية الأمر عن «الكتّاب» التقليدي فيما عدا اهتمامها بالقراءة والكتابة والحساب التجاري. أما في بقية الموضوعات، فقد كان الدين الإسلامي محور العملية التعليمية، لكن مناهج المدرسة ما لبثت أن تطورت تدريجياً لتستوعب المزيد من الموضوعات الحديثة في الصفوف العليا.

ولم يكن حضور التلاميذ في المدرسة منتظماً ، خاصة في موسم الغوص على اللؤلو، عندما كان بعض التلاميذ يرافقون آباءهم إلى البحر.

والإحصائية التالية تبيِّن عدد التلاميذ في المدرسة في السنوات الخمس الأولى:

جدول رقم ٤:٦

السنوات	عدد التلاميذ	الرسوم بالروبيات	ملاحظات
١٩١٢	٢٥٤	٣٥٨٠	
١٩١٣	٣٤٦	٣٨٢٠	
١٩١٤	٣٣٢	٤٧٠٠	
١٩١٥	٣٠٤	٢٦٠٠	
١٩١٦	٣٤١	٣٤٢٠	

المصدر: عبدالله النوري، قصة التعليم في الكويت، القاهرة، ص٤٥.

وكان هناك ثلاثة أنظمة للتعليم في البلاد في آن واحد «الكتّاب» بشكله ومضمونه التقليدي ثم المدرسة التبشيرية التابعة للإرسالية الأمريكية العربية بأُسلوبها الحديث وأخيراً المدرسة الأهلية الحديثة «المباركية» والتي كانت أدخلت المدرسة التبشيرية بعض المواد التي استحدثتها المدرسة المباركية والتي تُعنى بالموضوعات التجارية، وقد أشارت دوروثي فان ايس إلى ذلك بقولها:

«كانت المهن التجارية تلوح في آفاق الكويت، يبدو أن التدريب التجاري هو ما يجب أن تقدمه الإرسالية لشباب الكويت. وقد خصصت ساعات المساء في مدرسة الأولاد لهذه الدراسة والتي اشتملت أيضاً على الكتاب المقدس وطُرق الحياة المسيحية»(٥٣).

وفي سنة ١٩٣٢ وصل العدد الإجمالي لتلاميذ الإرسالية والذي جرى تقديره بجمع الحضور الشهري للدوام الكامل والدوام الجزئي والدوام المسائي إلى ٤٢١ تلميذاً. وفي الوقت ذاته أصبح عدد طالبات مدرسة الإرسالية للبنات والتي بدأت بخمس طالبات إحدى وأربعين طالبة في سنة ١٩٣٢. والمنهج الدراسي في مدرسة البنات هو منهج مدرسة الأولاد نفسه ما عدا مادة الخياطة(٥٤).

وهكذا فإنّ مدارس الإرسالية استمرت بالعمل رغم المعارضة الشديدة التي واجهتها. ولكن إلى متى؟ في الحقيقة إن الإرسالية قد وجدت نفسها في عام ١٩٣٣ غير قادرة على الاستمرار في نشاطها التعليمي في مدرسة البنين في هذه المنطقة والسبب الرئيس لذلك هو العجز المالي الذي كانت تعاني منه مما أدى ذلك إلى إغلاقها.

وهذه المدرسة كانت بإشراف القس كالفرلي والقس يونج والقس ف.بارني(٥٥). ولم تفتح هذه المدرسة أبوابها ثانية في الكويت، لأن الكويت كانت قد بدأت رسمياً بتقديم الخدمات التعليمية الحديثة لأبنائها

منذ ذلك الوقت عن طريق افتتاح عدد من المدارس الحديثة مزودة بمدرسين من البلاد العربية. وبدأت قصة هذا التطور التعليمي في عام ١٩٣٦* عندما شعر بعض وجهاء البلاد أن المدرسة المباركية لم تعد تكفي حاجة البلاد من الخدمات التعليمية فقرروا تأسيس مديرية المعارف. وقامت الإدارة الجديدة بدعوة المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين لإرسال بعثة تعليمية لتنظيم المدارس الجديدة، ونتج عن ذلك افتتاح أربع مدارس ابتدائية سنة ١٩٣٦ - ١٩٣٧ ثلاث منها للبنين وواحدة للبنات أما الهيئة التدريسية فقد كانت من فلسطين وسوريا والعراق ومصر[٥٦] وبعد اكتشاف النفط في المنطقة أصبحت المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية للبنين والبنات تزداد وتتضاعف أعدادها. ولم يفسح هذا التطور السريع المجال للإرسالية بمواكبته والاستمرار في نشاطاتها التعليمية فقامت بإغلاق مدرسة البنات في نهاية الأربعينات. وهكذا انتهت نشاطات الإرسالية الأمريكية العربية التعليمية في الكويت قبل أن تنتهي خدماتها الطبية بوقت طويل والخلاصة أن هذا النوع من النشاط لم يحقق أهدافه كمدخل ووسيلة للتبشير المسيحي، ولم يكن له دور اجتماعي يذكر بالمقارنة بالخدمات الطبية التي قامت بها الإرسالية في المنطقة.

الخدمات التعليمية للإرسالية في المحطات الفرعية:

لم يكن للإرسالية الأمريكية العربية نشاطات تعليمية في محطاتها الفرعية مثل العمارة ومطرح للأسباب التالية:

أولاً: ان إمكانات الإرسالية التعليمية كانت محدودة، ولهذا فإنها لم تتمكن من التوسع في تقديم هذه الخدمات خارج محطاتها الرئيسة.

* يُلاحظ أن التعليم الحديث بدأ رسمياً في مناطق الخليج العربي تقريباً في وقت واحد وهو الثلاثينات من هذا القرن.

ثانياً: ان نشاطاتها التعليمية في محطاتها الرئيسة كانت تلقى معارضة شديدة من الزعامات الدينية في المنطقة، ولذلك فإن الإرسالية قد ركزت هذه النشاطات في محطاتها الرئيسة، لأن أي توسع في هذا المجال كان يعني توسيع نطاق المعارضة ضد عملها ككل.

ثالثاً: ان عدد التلاميذ المسلمين في مدارس الإرسالية كان محدوداً، وذلك لم يكن مشجعاً على افتتاح المزيد من المدارس في المحطات الفرعية، لهذه الأسباب فإن نشاطات الإرسالية التعليمية لم تمتد إلى محطاتها الفرعية.

ويمكن تلخيص نشاطات الإرسالية التعليمية بالحقائق المهمة التالية:

أولاً: لقد كان الهدف من التعليم من وجهة نظر الإرسالية هو وسيلة لنشر الإيمان المسيحي والكتاب المقدس.

ثانياً: انّ خدمات الإرسالية ونشاطاتها قد اختلفت من محطة لأخرى. ففي البصرة واجهت معارضة السلطات التركية والتي لم تكن موجودة في غيرها من محطات الإرسالية في تقديم نشاطاتها التعليمية بقليل وقبل أن تبدأ في محطاتها الأخرى.

لقد كانت خدمات الإرسالية التعليمية غير مستقرة في الكويت والبحرين بسبب المعارضة الدينية القوية هذا إضافة إلى متاعب الإرسالية المالية.

رابعاً: لقد كان للنشاط التعليمي المستمر في البحرين ومسقط أسباب ومبررات:

أ- ان هاتين المنطقتين كانتا تحت النفوذ البريطاني والسياسة البريطانية لم تكن تعارض العمل التبشيري أبداً في المناطق

الخاضعة لنفوذها.

ب - لأن البحرين جزيرة فقد كانت معزولة عن طريق القوافل التجارية البرية التي كات تمر عادة بالمناطق الأخرى كالكويت. وكانت ذات أثر ديني خاصة القادمة من نجد.

ويُضاف إلى ذلك أن البحرين أصبحت قاعدة لنشاط الإرسالية بعد البصرة، ولذا فإنها قد ركزت إمكاناتها واهتمامها في هذه المنطقة.

جـ - لقد كانت عُمان ولا تزال بحاجة شديدة للتعليم الحديث لأن هذه المنطقة لم تتطور كغيرها من مناطق الخليج، لذلك فإن خدمات الإرسالية الطبية وغيرها من الخدمات استمرت هناك.

خامساً: ان الخدمات التعليمية أثبتت فشلها كمدخل ووسيلة للتبشير المسيحي في هذه المنطقة لتعليم الأجيال الجديدة في منطقة الخليج العربي الإيمان المسيحي بهدف تنصيرهم، لقد كان الهدف نفسه دينياً وليس تعليمياً. أيضاً إن الإرسالية كانت تقوم بنشاطها التبشيري فور بدء عملها في أي محطة حيث كانت هذه الوسيلة تولد ردود فعل سريعة. لقد كانت الإرسالية

تمارس أنشطتها الدينية من خلال مؤسسات متعددة من بينها المدارس والمستشفيات وغيرها والتي كانت تستخدم لأغراض دينية. وسنتعرض للدور التبشيري لهذه المؤسسات في فصل قادم.

الـهوامش

1. The New English Bible, New Testment, op. cit., Matthew 4, p. 6.
2. ibid., Mark 4, p. 60.
3. ibid., Luke 5, p. 100.
4. Matthew Basil, Young Islamd and Trek, London 1927, pp. 191 - 92.
5. Hooton, S. W., The Missionary Campaign, Edinburgh and London, 1912, p. 120.
6. Samra, Mahmud, op. cit., p. 22.
   see also Tibawi, L.A. op. cit., p. 48.
7. Paul Monroe, The Moslem World of to-day, Editor Matt, R. J., London, 1925, p. 195.
8. ibid., p. 177.
9. ibdi., pp. 177-78.
10. Hooton, S. W., op. cit., p. 108.
11. ibid., pp. 121-122.
12. Tibawi, L.A., op. cit., London 1972, pp. 47-50.
13. ibid. p. 26.
14. النوري، عبد اللّه، قصة التعليم في الكويت، القاهرة، ص ٥٠ بدون تاريخ
15. Al-Noory, A., op. cit., p. 14.
16. ibid., 44.
17. Van Ess, D., Pioneers in the Arab World, Michigan, U.S.A. 1974, pp. 67-69.
18. Mason, A. D. and Barny, J.F., op. cit., p. 150.
19. Van Ess, D., op. cit., p. 66-67.
20. Samra Mahmud, op. cit., p. 22.
21. Van Ess, D., History of the Arabian Mission, op. cit., pp. 15, 18.
22. Van Ess, D., M. W., Education the Arab, Oct. 1931, p. 386.
23. Mason and Barny, op. cit., p. 151.
24. Van Ess, D., History of the Arabian Mission, op. cit., p. 18.
25. ibid., p. 15.
26. ibid., p. 18.
27. ibid., p. 19.
28. مجلة صدى الاسبوع، مقابلة مع السيد ناصيف، البحرين عدد ١٨٢، ١٠ يوليو ١٩٧٣
29. مقابلة الكاتب مع السيد أحمد ابراهيم، البحرين ١٣ نوفمبر ١٩٧٤

30. مجلة صدي الاسبوع، المصدر السابق ص ٢٢
31. المصدر نفسه ص ٣١
32. Van Ess, D., History of the Arabian Mission, op. cit., p. 20.
33. Al-Hamer, Y.A., Education in Bahrain 1940-1965, Bahrain 1969, pp. 7-8.
34. ibid., p. 8.
    See also, Kritzeck, J and Winder, B., The World of Islam, Studies in the honour of Philip Hitti, London and N.Y., 1959, p. 284.
35. Jackson, Ruth, Arabia Calling, No. 229, Autumn 1952, p. 10.
36. Van Ess., D., op. cit., p. 20.
37. ibid., p. 27
38. مجلة صدى الاسبوع، المصدر السابق ص ٢٤
39. Van Ess, D. op. cit., p. 27.
40. Al-Hamer, Y. A., op. cit., p. 8.
41. مقابلة الكاتب مع السيد يوسف حيدر، البحرين نوفمبر ١٩٧٤
    انظر ايضا مجلة البحرين، البحرين، اكتوبر ١٩٧٣ ص ٢٤-٢٥
42. Zwemer, M.S., op. cit., 1900, N.Y., p. 366.
43. N. A., Jan. - March, 1907, p. 12.
44. ibid., p. 12.
45. ibid., p. 13.
46. ibid., p. 14.
47. ibid., Oct. - Dec. 1899, p. 7-8.
48. ibid., p. 8.
49. ibid., pp. 23, 25.
50. Calverley, E., op. cit., p. 76.
51. Calverley, E., N. A., April-June 1913, p. 11.
52. Van Ess, D., op. cit., p. 26.
53. N. A., No. 161, 1932, p. 13.
54. Van Ess, D., op. cit., p. 26.
55. Tibawi, L. A., op. cit., p. 186. See also, Al-Noory, A., op. cit., p. 58.

الفصل الخامس

النشاط الديني للإرسالية العربية الأمريكية

إن هدف الإرسالية العربية هو التنصير التام للجزيرة العربية، ابتداء من الخليج العربي الذي اتخذ قاعدة للانطلاق، وقد عبّر الدكتور هاريسون عن هذا الرأي بوضوح:

«إننا نريدهم أن يصبحوا مسيحيين»(١)

والتبشير هو تقديم الانجيل ورسالته إلى العالم أجمع، والأعمال التي تؤدي إلى تحقيق هذه الرسالة هي صلب العمل التبشيري، وهذا الأسلوب يتصل اتصالاً وثيقاً بالخلق المسيحي أيضاً والذي ينص على أن الوسيلة الأساسية لنشر المسيحية في العالم هي التبشير بالانجيل، وقد أكد الانجيل على هذه الرسالة أكثر من مرة:

«فلتذهبْ إليهم وليكن لك أتباع بين جميع الأمم»(٢).

«ويجب أن يعمّ الانجيل كل الأمم»(٣).

التبشير في المفهوم المسيحي إذن هو نشاط ديني يهدف إلى تنصير غير المسيحيين، وقد عرف صموئيل بوم إت (Samuel Boom Itt) من سيام التبشير كما يلي: «العيش والعمل والحديث من أجل المسيح»(٤).

وقد ذهب الدكتور رويو هيكو كاواوا (Royo hiko Kaqawa) إلى أبعد من ذلك معتبراً التبشير مطلباً دينياً أساساً ، فقال:

«التبشير يعني تحويل الناس عن الأمور الدنيوية إلى ملكوت السماوات. إن هذا التحويل ضرورة مطلقة لأنه بدون إيقاظ الجوع الروحي فليس هناك أمل للفرد أو المجتمع أو الجنس أو الأمة»(٥).

وقد اعتبر أحد المبشرين الكنديين في الصين أن هدف التبشير هو

«إحداث تغيير في الحياة بحيث يصبح الإنسان مخلوقاً جديداً يعيش حياة يمكن أن نصفها بأنها انتقال من الموت إلى الحياة»[٦].

والواقع أن جميع هذه التعريفات تتفق على أن التبشير كفكرة مسيحية تعني نشر المسيحية في العالم. ويذهب العلماء المسيحيون إلى التأكيد على ضرورة التبشير إلى حد دفع هيو تومسون كير (Hugh Thomson Kerr) للقول: «لقد أرسلناه لا للوعظ الاجتماعي ولكن للخلاص، لا للحديث عن الاقتصاد بل للتبشير، لا للتقدم بل للصفح، لا للنظام الاجتماعي الجديد بل للمولد الجديد، لا للثورة بل للانبعاث الروحي، لا للتجديد بل للإحياء، لا للانعاش بل للبعث، لا للتنظيم الجديد بل للخلق الجديد، لا للديمقراطية بل للانجيل، لا للحضارة بل للمسيح. إننا سفراء ولسنا سياسيين»[٧].

ويتفق الجميع على أن التبشير هو ركن أساس من أركان الكنيسة الحديثة. ومع هذا فإن هناك خلافاً كبيراً على طبيعة النشاط التبشيري. لقد كان المبشرون يعملون على تحقيق أهدافهم بممارسة أنشطة مختلفة، وبعض هذه الأنشطة كالتعليم والخدمات الطبية هي وسائل غير مباشرة لتحقيق هدف ديني – كما أوضحنا في الفصلين السابقين. إن التبشير نشاط مباشر حيث يقوم المبشرون بمهمة التبشير بالانجيل وعقد الاجتماعات الدينية والوعظ لمن يرغب بالاستماع. ومهما يكن فإن صلاة الأحد والمراسم الكنسية من الجوانب المهمة في النشاط الديني، وهي بالتأكيد جزء أساس مهم من نشاط الإرسالية العربية. ولكن هل هذه الأعمال ذات طبيعة تبشيرية؟ وبعبارة أخرى هل تحقق أية أهداف تبشيرية؟ وهذه القضية من الموضوعات التي يكثر حولها الجدل وهناك بعض قادة التبشير المعاصرين ممن لا يؤمنون مطلقاً بالفكرة القائلة إن هذين النشاطين تبشيريان. وقد أكد أحد الباحثين المسيحيين ممن لهم خلفية تبشيرية بعبارات صريحة بأن مراسم العبادة التي تؤديها الكنيسة

ليست عملاً تبشيريا[٨] ، وهو يضيف قائلاً:

إنّ هذه الخدمات تهدف إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

١) عبادة اللّه الخالق المخلّص.

٢) تقوية عرى المودة بين جميع من يعبدون اللّه باسم السيد المسيح.

٣) تقوية إيمان أولئك الناس وممارستهم لذلك الإيمان في حياتهم اليومية «عن طريق قراءة الانجيل والوعظ والمراسم المقدسة والأناشيد الروحية وما إلى ذلك»[٩].

ووجهةالنظر الأخرى ترى أن التبشير ليس كلمة بسيطة ولا عملاً بسيطاً إنها عملية معقدة تهدف في حال نجاحها إلى تنصير التابع بطرق عدة منها ما هو مباشر ومنها ما هو غير مباشر، وكلها تهدف في النهاية إلى كسب التابع إلى الكنيسة ويصبح عندها واجب الكنيسة أن تعمق فهم التابع للمسيحية وتعمل على تنصيره النهائي. إن الصلوات والخطب والأحاديث مع أتباع الكنيسة وأخيراً الجو الديني المسيحي ضرورة للتابع المسيحي المخلص. وبعبارة أخرى فإنّ آخر مراحل العملية التبشيرية الناجحة هي الكنيسة وصلوات الأحد. وبهذا المعنى يمكن اعتبار الكنيسة وصلوات الأحد وسائل تبشيرية، وهناك من المبشرين من يعملون وفق هذه الطريقة، وقد أكد الدكتور ستانلي مايلري أن العمل التبشيري في الكويت كان ينتهج ثلاثة أساليب رئيسة في التبشير* وكانت صلوات الأحد واحدة من هذه الأساليب[١٠].

ويشتمل العمل التبشيري الديني في المنطقة على أنشطة متعددة كالرحلات، مكتبات الكتاب المقدس، الاتصالات الشخصية، استخدام

---

* عندما ذكر الدكتور مايلري أنه كان العمل التبشيري في الكويت ينتهج ثلاثة أساليب رئيسة في التبشير فهو يعني النشاط الطبي والتعليمي والديني.

المدارس والعيادات والمستشفيات للنشاط الديني، المطبوعات التبشيرية، وأخيراً صلوات الأحد والكنيسة. وسوف نتوسع في معالجة هذه الأنشطة في الصفحات التالية.

الرحـــــلات التبشـــــيرية:

لقد بدأ العمل التبشيري بعدد من الرحلات، وكان الهدف منها هو استكشاف المنطقة ودراسة عادات الشعب وتقاليده، والأهم من ذلك التعرف الى الاتجاهات الدينية في المنطقة، وكان المبشرون يقومون خلال جميع هذه الرحلات بتوزيع الكتاب المقدس بقصد التعرف الى رد الفعل لهذا العمل عند المواطنين. وكان أحد الأطباء يصاحب كل فريق في هذه الرحلات لكي يعطي الرحلة طابعاً طبياً تجنباً لأي معارضة من الناس أو الحكومات المحلية. وكانت معالجة بعض المرضى بمثابة جواز ينتقلون بواسطته من منطقة إلى أخرى.

وقد مرت هذه الرحلات بمراحل عدة، وكان هدفهم في البداية استكشاف المنطقة جغرافياً ودراسة حياة الناس وأفكارهم. وكانت الرحلات واسعة وسريعة ولم تكن تستغرق الواحدة منها سوى بضعة أيام.

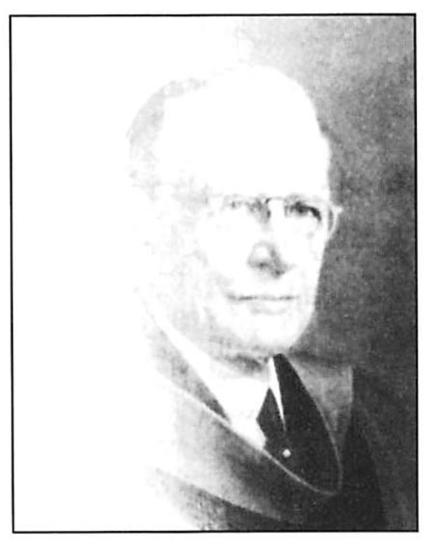
والمرحلة الثانية كانت أكثر شمولاً وعمقاً وبعد افتتاح محطة رئيسة أو فرعية في المنطقة أصبحت رحلاتهم تسير في اتجاهين: الأول يغطي القرى المحيطة بالمحطة، والثاني يتجه إلى الأماكن التي يزمعون إقامة محطاتهم التالية فيها. وكانوا خلال هذه الرحلات يبيعون الكتب الدينية بأسعار رمزية. ليس ذلك فقط، بل كان المبشرون يحاولون التحاور مع الناس عن حياة المسيح ورسالته.

وكانت المشكلة الرئيسة التي تواجه المبشرين في هذه الرحلات هي كيفية التعرف إلى الناس، وقد كانوا يبدأون دوماً بالسؤال عن عادات

الناس الدينية ثم يبدأون بالانتقال إلى رسالة المسيحية وعن الآيات القرآنية التي تحدثت عن السيد المسيح والعذراء.

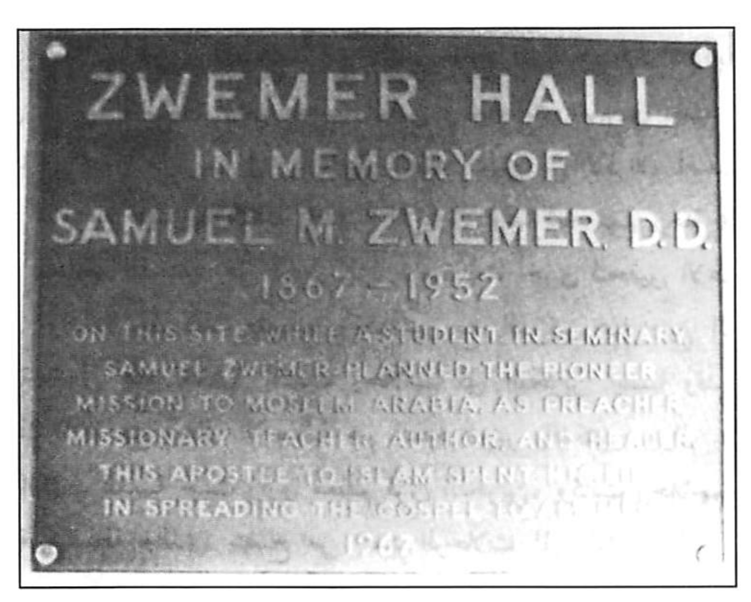
وكان السيد (ج. كانتين) والسيد (ص. زويمر) من الرواد وأول من بدأوا هذا النوع من الرحلات التبشيرية لدراسة الميدان الذي سيعملون فيه. وقد غادر السيد (كانتين) إلى بغداد ثم إلى المحمرة في أكتوبر ١٨٨٢، وتبعه السيد (زويمر) في هذا النوع من النشاط، وذهب أيضاً إلى بغداد في شهر آذار (مارس) من ذلك العام بحثاً عن بائع متجول للكتب الدينية في محطتهم الجديدة في البصرة، كما أنه اشترى بعض الكتب الدينية لمكتبة الكتاب المقدس هناك.

وبعد هذ الرحلات قام السيد (ص. زويمر) برحلته الأولى إلى الأحساء على ساحل الخليج العربي في عام ١٨٩٢. ومن هناك سافر إلى بعض المناطق القريبة منها لدراسة إمكانية إقامة عمل تبشيري هناك. وفي أثناء هذه الرحلات أجرى مقابلات مع الناس ومع الموظفين الأتراك وباعهم بعض الكتب الدينية. وكان موقف الناس والسلطات منهم في ذلك الحين طبيعياً ولم يجدوا ما يُريب في زيارة هذا العدد القليل من الأفراد، أضف إلى ذلك عدم معرفتهم بالأهداف الدينية للزيارة. وقد شجعتهم رحلة السيد (زويمر) بنجاحها المحدود على تكرار الزيارة مرة بعد أخرى لتحقيق الأغراض ذاتها. وبدأوا بعد ذلك بتوسيع رحلاتهم مع التركيز على بيع الكتب الدينية، وفي عام ١٨٩٩ امتدت رحلاتهم إلى البحرين أيضاً، وقد قام بزيارتها ثلاثة من رجال الإرسالية هم السيد (زويمر) والدكتور (ورال) وأحد باعة الكتب الدينية، حيث زاروا معظم قرى البحرين، وكانت رحلاتهم هذه واسعة ونشيطة. والذي يتضح من عدد الرحلات إلى تلك المنطقة والتي بلغت إحدى عشرة رحلة في سنة ١٩٠٠ قطعوا خلالها ما لا يقل عن ٣٧٣٥ ميلاً واستغرق ذلك ٤٨٧ يوماً من بائعي الكتب



القس صموئيل زويمر الزعيم الحقيقي

للارسالية الامريكية العربية



لوحة تذكارية في فناء معهد اللاهوت في نيوبرونزويك في ولاية نيوجيرسي الامريكية

المقدسة[١١]، وفي تلك السنة نفسها قام الدكتور (ورال) وأحد بائعي الكتب المقدسة برحلة إلى القطيف إلى الشمال من الأحساء، ومما ساعد على قيامهم بهذه الرحلة أن الدكتور (ورال) وهو قائد الرحلة كان حاصلاً على شهادة دبلوم تركية تسمح له بممارسة الطب. وقد كانت هذه الشهادة شرطاً أساساً لممارسة الطب في تلك المناطق من قبل الأطباء غير الأتراك.

وتتلخص منجزاتهم في السنوات الماضية في تأسيس محطات عدة في البصرة والبحرين ومسقط ومد رحلاتهم إلى المناطق الداخلية من الساحل كالقطيف. وقد وجدوا أن عليهم أن يعملوا الكثير إذا أرادوا تغطية المنطقة التي كانوا يعتبرونها ميداناً لعملهم.

لقد كانت عُمان وشبه الجزيرة العربية من المناطق التي شملتها هذه الرحلات في تلك المدة لأن هذه المناطق كانت تقع ضمن ميدان عمل الإرسالية. وقد باعوا ٣٦٤٦ نسخة من الكتاب المقدس في السنة الأخيرة أي سنة ١٩٠٠[١٢].

وقد بلغت هذه الرحلات الناصرية في العراق والتي أصبحت واحدة من محطاتهم الفرعية وحازت على اهتمام الإرسالية فترة من الزمن. وفي سنة ١٩٠١ قام الدكتور هاري ويرسوم (Harry Wiersum) وأحد باعة الكتب المقدسة بزيارة تلك المنطقة في قارب صغير، وقد اعترضهم في الطريق بعض رجال السلطات التركية. وكان الدكتور (ويرسوم) ورفيقه يحملان معهما بعض الكتب الدينية. وبما أن قانون الجمارك كان يقضي بالتصريح بكل ما يحملونه معهما لكن تفتيشهما أدى إلى العثور على الكتب الدينية ومصادرتها. وكان تفتيش أمتعة المبشرين درساً قاسياً لهم ولكنهم لم يعرفوا كيف يستفيدون من ذلك الدرس. وكان من الواضح أن أسلوب التبشير المباشر لم يكن مجدياً وفكروا في التركيز على

الأساليب غير المباشرة، ولكنهم استمروا بالعمل المباشر وغير المباشر دون أن يحققوا النتائج المرجوة. وقد أدركوا مؤخراً أن العمل المباشر لا يعود عليهم إلاّ بالمتاعب، ولذلك فقد كانوا يسعون جاهدين لأصطحاب طبيب معهم في كل رحلة من هذه الرحلات. وبالتدريج أصبحت معظم هـذه الرحلات طبية يرافقها أحد رجال الدين وليس العكس كما كان الحال سابقاً.

وفي أثناء هذه الرحلات كانوا يقابلون أنواعاً كثيرة من الناس وأولهم الأهالي المسلمون والذين كان معظمهم من الأميين والموظفين الأتراك والجنود. وكان لكل من هذه الفئات خلفيتها الثقافية، التعامل والتفاهم مع هذه الفئات المتنوعة من الناس يقتضي من المبشرين عدم اقتصار نشاطهم على هذه الرحلات القصيرة. وقد أدركت الإرسالية هذه الحقيقة وهذا هو ما دعاهم إلى إعطاء الأولوية لإقامة أكبر عدد من المحطات. وقد جلبت عليهم هذه السياسة مزيداً من المتاعب لأن عملهم أصبح يغطي مساحات شاسعة وجعلهم يتوسعون أكثر مما تتيحه لهم إمكاناتهم. وهكذا فإن هيئتهم التبشيرية وكذلك إمكاناتهم كانت محدودة، والذي جعل تأثيرهم في الناس محدوداً أيضاً واضطرهم إلى التخلي عن بعض محطاتهم كالناصرية وبعدها العمارة كما سيتضح لنا فيما بعد. وأحياناً كانوا يقلصون من عدد رجالهم في بعض المحطات الرئيسة أو الفرعية تاركين فيها اثنين أو ثلاثة من المبشرين في مناطق يعد سكانها بمئات الألوف من الناس، ومع كل هذا فإن رحلاتهم قد امتدت إلى الساحل الجنوبي الشرقي من منطقة الخليج العربي.

وفي عام ١٩٠٤ قام المبشرون برحلات عدة من مسقط إلى المناطق الداخلية المجاورة وإلى داخل عُمان، وحاولوا زيارة أكبر عدد من الأماكن. ولم تواجه هذه الرحلات أية معارضة ملحوظة ولكن عدم وجود

المعارضة لم يكن يعني الرضى بالأهداف التبشيرية وكان السبب يرجع بشكل رئيس إلى وجود الطبيب من أعضاء الفريق، والذي جعل هذه الرحلات مفيدة ومقبولة بسبب حاجة المنطقة الشديدة إلى المعونة الطبية. يضاف إلى ذلك أن الأهالي والذين كانوا في غالبيتهم من الأميين لم يتمكنوا من هضم الأفكار الجديدة وكان المبشرون يستخدمون لغة عربية ركيكة ويحملون أفكاراً جديدة وغريبة مما جعل من العسير على الناس إدراك المرامي البعيدة لهذه الرحلات.

مكتبات الكتاب المقدس:

كانت مكتبة الكتاب المقدس واحدة من أهم المؤسسات التبشيرية والتي كانت تقام عادة في مكان يتوسط السوق لاجتذاب أكبر عدد من المواطنين. وكان المبشرون يعتقدون أن دور المكتبة أهم بكثير من مجرد بيع الكتب الدينية. إذ كان أهم أهدافها هو لقاء الناس والتحدث إليهم وكسب صداقتهم. وكانت البصرة أول قاعدة للإرسالية، ولهذا فإنها شهدت افتتاح أول مكتبة للكتاب المقدس في عام ١٨٩٢.

وكانت هذه المكتبة شيئاً لم يألفه الناس ولم يسبق لهم رؤية ما يشابهها في بلادهم من قبل، ولذلك فقد كان الكثيرون يزورونها لشراء الكتب والتحدث إلى هؤلاء الغرباء ومعرفة ما يجري من الأمور. وكان لكل من زوار المكتبة دافع خاص، فبعضهم كان يأتي بدافع حب الاستطلاع، وبعضهم كانوا مرضى وجاءوا يسألون عن المستشفى أو المستوصف. وبشكل عام فإن معظم الناس لم يكونوا يدركون السبب الذي يدعو هؤلاء الأوروبيين الذين كانوا يسيطرون على معظم أجزاء العالم في ذلك الوقت للمجيء إلى بلادهم الفقيرة لبيع بعض الكتب مقابل قليل من المال!

ويمضي الوقت بدأ الناس يدركون أن هذا المكان لم يكن مجرد مكتبة

عادية ولكنه كان مؤسسة مسيحية وإحدى الوسائل التي يستخدمها المبشرون للتأثير فيهم تأثيراً دينياً. ولم يكن من الممكن بقاء مكتبة الكتاب المقدس وحدها في هذه البلاد وبين هؤلاء الناس. ولهذا ظهرت مؤسسات مسيحية أخرى كالمؤسسات التعليمية والطبية والتي كانت تهدف إلى دعم المكتبة وإعطائها طابعاً إنسانياً إضافة إلى مهمتها التبشيرية.

وقد لاقى نشاط المكتبة في البداية مقاومة شديدة من أهالي البصرة من المسلمين، وبخاصة من زعمائهم الذين شعروا بأن هذا النشاط يمكن أن يسيء إلى الدين الإسلامي. وقد اعتبرت الإرسالية هذه المعارضة أمراً طبيعياً، وأن الناس قد بدأوا يستمعون تدريجياً إلى الرسالة المسيحية. وقد زاد الاقبال على الكتب الدينية في السنة الثانية والثالثة من افتتاح المكتبة، ويمكن إرجاع ازدياد الإقبال عليها إلى عوامل عدة والعوامل التالية هي أهمها:

أ – حاجة الأهالي إلى القراءة نظراً لعدم وجود مكتبات حديثة مشابهة في ذلك الوقت.

ب – كان بعض الزعماء الدينيين والمتعلمين من أهالي البلاد يشترون هذه الكتب لمعرفة ما تحويه ومدى خطورتها حتى يتمكنوا من مواجهتها.

جـ – كما أن البعض يشترون الكتب تقرباً من الإرسالية للحصول على العناية الطبية.

د – لقد أنشئت هذه المكتبات في فترة مهمة شهدت حربين عالميتين، وكان المتعلمون والمتنورون من الناس يرغبون في معرفة أخبار العالم والتي كانت مكتبة الكتاب المقدس توفرها عن طريق الجرائد والمجلات.

إن دور بائع الكتب لا يقل عن دور الكتاب الذي يبيعه، حيث كان يقوم بالزيارات المحلية، وفي كل زيارة من هذه الزيارات كان يبيع الكتب المقدسة ويتحدث مع الصيادين والتجار في متاجرهم ومنازلهم ومع عامة الناس في الأسواق. وكانت هذه الزيارات تغطي مسافات قصيرة وتستغرق ما لايزيد على بضع ساعات. أما الزيارات البعيدة والتي تتطلب أياماً عدة تترك للمبشرين، وعلاوة على ذلك فقد كان بائع الكتب كثيراً ما يغلق مكتبته لبعض الوقت ويرافق المبشرين في زيارتهم للقرى والمناطق المجاورة.. وكان الدور الذي يلعبه بائع الكتب الدينية على جانب كبير من الأهمية مما جعل الإرسالية تدقق كثيراً في اختيار من يقوم بهذه المهمة. لقد كانت هناك أسس معينة لاختيار هؤلاء الأشخاص وأهم هذه الأسس ما يلي:

١ - يجب أن يكون بائع الكتب المقدسة محلياً ومن أهل البلاد لأنه هو القادر على فهم الناس وكيفية التعامل معهم، ويعرف كيف يقدم لهم الرسالة المسيحية.

٢ - يجب أن يكون مسيحياً ملتزماً التزاماً عميقاً وعلى إيمان تام بسمو وعظمة الرسالة التي يحملها.

٣ - يجب أن يتمتع بموهبة خاصة للعلاقات العامة ليدرك طبيعة من يقابلهم ويتعامل معهم. يتضح هذا الفهم من التصور التالي لدى المبشرين عن الإنسان العربي:



السيد يعقوب شماس الذي عمل لمدة طويلة بائعاً للكتب المقدسة التابعة للارسالية الامريكية العربية في الكويت

«ان العربي المعتز بنفسه... يجب أن ندنو منه بالطريقة السليمة. ويجب أن ننظر بالاحترام اللائق للحيته، وللأفكار التي يحملها عن الحشمة ولاحترامه لجميع المقدسات والتقاليد الراسخة»[١٣].

ويجب أن يعرف بائع الكتاب المقدس كيف يشجع ويقوي إيمان المتنصرالجديد لأنه المبشر الأقرب من غيره إلى الناس.

ولم يكن العمل في مكتبة الكتاب المقدس مقتصراً على بائع الكتب ولكن أحد المبشرين الدينيين كان يقضي ساعتين أو ثلاثاً يومياً في المكتبة محدثاً الناس عن المسيحية محاولاً الابتعاد قدر الإمكان عن التعرض للإسلام*. وإضافة إلى ذلك فقد كان يحاول أن يبسط أفكار الانجيل لأنه كان يعلم بأنه يتعامل مع أناس أميين وجهلة في الغالب.

والحقيقة أن مكتبة الكتاب المقدس كانت ذات طبيعة تبشيرية، وكان هدفها الرئيس توزيع الكتب المقدسة والتحدث إلى الناس عن الإيمان المسيحي، والذي كان يطبعها بالطابع التبشيري الصريح مما حدا برجال الدين والزعماء المسلمين إلى اعتبارها نوعاً من الغزو المسيحي للمنطقة لابد من مواجهته.

وقد حملت هذه المكتبات الناس على الاعتقاد بأنها كانت تهدف إلى تحدي السيطرة الإسلامية في المنطقة بأجمعها. ومن الطبيعي أن تبدأ المعارضة على مقياس ضيق في البداية ثم أخذ نطاقها بالاتساع تدريجياً. وكان حب الاستطلاع يسيطر على الناس في بادىء الأمر ويحدوهم الشوق لمعرفة المزيد عنها، ولكن طبيعتها التبشيرية كانت سريعاً ما تتضح للكثيرين. وفي هذه المرحلة تبدأ المعارضة في اتخاذ شكل ظاهر. وقد بدأت المعارضة والصراعات المحلية حول المؤسسات

* لقد اتبع بعض المبشرين هذا التكتيك وهو عدم مهاجمة الإسلام، ولكنه ليس قاعدة عامة، حيث كانت اجتهادات فردية، وكما يتطلب الموقف، لكن المبشرين مع ذلك كانوا حذرين وهم يخوضون في الأمور الدينية أو غيرها.

التبشيرية، وبخاصة مكتبة الكتاب المقدس منذ الأيام الأولى من إنشائها. وأخذت المعارضة المحلية تقوى وتنمو تدريجياً إلى أن أصبحت قوية مع مرور الأيام.

جدول رقم ٥ : ١

احصائيات بيع الكتب المقدسة وغيرها من شهر يناير إلى شهر مارس ١٨٩٣

اللغة	الإنجيل	العهد القديم والجديد	الأجزاء	مجموع مبيعات الكتب المقدسة	الكتب التعليمية	الكتب الدينية
العربية	٣	٧	٦٨	٧٨	٦٠	٨١
العبرية		٦	٧	١٣		
التركية	١	١	١٨	٢٠		
الفارسية	١	١	٣	٥	٥	
الإنجليزية	٣	٩		١٢	١٠٣	٣٧
الفرنسية	٢		٢			
الألمانية			١	١		
الفرنسية – العربية			٤	٤		
الإنجليزية – العربية			٢	٢	١٢	
التركية – العربية			٣	٣	٣	
العبرية –الانجليزية	١		١			

Source : N. A., Jan-May 1893 Basrah, p. 6.

جدول رقم ٥ : ٢

قيمة الكتب المباعة بالدولار

النوع	يناير	فبراير	مارس	المجموع
كتب مقدسة	٢,٠٨	٣,٥٠	٥,٥٨	١١,١٦
كتب دينية	٨,٠٥	٢,٤٠	٤,٤٢	١٤,٨٧
كتب تربوية	٩,٢٥	١٣,٥٠	٢٠,٨٥	٤٣,٦٠
المجموع	١٩,٣٨	١٩,٤٠	٣٠,٨٥	٦٩,٦٣

Source: N. A., Jan-May 1893 Basrah, p.6.

جدول رقم ٥ : ٣
مبيعات الكتب، الربع الأول ١٨٩٥

اللغة	انجيل	العهد القديم والجديد	أجزاء	كتب مقدسة	كتب دينية	كتب تربوية
العربية	٤	٥	١٥٣	١٦٢	٦٤	٧٧
الفارسية		١	٢٣	٢٤	١	
التركية			٢١	٢١	٤	٤
العبرية			١٨	١٨		
الأرمنية		١		١		
الإنجليزية	١	١		٢	١	٤٣
الفرنسية	١		١	٢		
البرتغالية		١		١		
المجموع	٦	٩	٢١٦	٢٣١	٧٠	١٢٤

Source: N. A., First Quarter 1895, P. 7.

وقد واجهت مكتبة الكتاب المقدس في مسقط سنة ١٨٩٧ مشكلة رئيسة عندما بدأ رجال الدين حملتهم ضد النشاط التبشيري هناك. كانت هذه المعارضة بتأثير الأفكار الوهابية [١٤]. وفي اعتقاد بعض المبشرين أن للعربية السعودية بموقعها المهم في شبه الجزيرة العربية وقيادتها الدينية ومعارضتها للنشاط المسيحي تأثيراً في إثارة وتشجيع هذه المعارضة. ولكن ذلك النوع من المعارضة لم يكن مقتصراً على مكان محدد، بل كان في الواقع يشمل المنطقة التي كانت الإرسالية تعمل بين سكانها، تلك المعارضة كانت تختلف من مكان إلى آخر وكانت تتنوع طبقاً ليقظة الناس ومستوى نشاط العمل التبشيري. ونتيجة لهذه الموجة من المعارضة أغلقت الإرسالية مكتبة الكتاب المقدس في الناصرية في سنة ١٩٠٢، وقد جاء إغلاقها في وقت كانت الإرسالية تتوقع لمحطاتها الفرعية أن تنمو وتتوسع. وما من شك أن الإرسالية لم تكن في موقف يمكنها من الدخول في منازعات مع أهالي البلاد في أرضهم وبين

شعبهم، ولكنها كانت تأمل أن يأتي اليوم عندما يتمكنون من التغلب على تلك المشكلة. ولكن ذلك اليوم في تلك المحطة - كما ورد في تقرير الإرسالية - لم يأتِ أبداً ولم تفتتح المكتبة هناك بعد ذلك مطلقاً(١٥).

وكانت المعارضة في الكويت والبحرين أشد وأكثر تنظيماً مما كانت عليه في المناطق الأخرى. وفي سنة ١٩١٣ شدد الزعماء الدينيون حملتهم ضد العمل التبشيري وافتتحوا نادياً ثقافياً إسلامياً في البحرين باسم «النادي العربي الإسلامي» برئاسة أحد رجال الدين وهو محمد بن مانع والذي كان من أصل نجدي. ويعتبر من المسلمين المتحمسين ومن أنصار المذهب الوهابي(١٦). ولم يكن ابن مانع هو قائد المعارضة الوحيد في البحرين، بل إن قاضي البحرين الشيخ قاسم بن مهزع والذي يرجع أصله إلى الأجزاء الوسطى من شبه الجزيرة العربية أي الحجاز كان أيضاً من كبار زعماء المعارضة. وقد أخذ القاضي بالتركيز على تعليم الشباب الذين درسوا العلوم الإسلامية في مدرسة أخيه «أحمد». وكان يؤكد في تعليمه على خطورة العمل التبشيري(١٧). وكان الشيخ ابن مهزع وأخوه يشكلان جناحاً قوياً للمعارضة في البحرين عندما كان (س. زويمر) يبذل كل ما في وسعه لتأسيس مكتبة الكتاب المقدس وغيرها من المؤسسات المسيحية. وفي سنة ١٩١٣ قامت في الكويت جمعية أخرى للمعارضة وهي «الجمعية الخيرية»، وكان هدفها الرئيس هو مناهضة العمل التبشيري. وقد حاولت الجمعية بناء مقاومتها كرد فعل لنشاط المبشرين - كما سيتضح من البندين الأول والثاني من خطتها:

١) إن أول ما ستقوم به جمعيتنا من أعمال هو: تعيين واعظ مسلم عالم بأمور ديننا ليعظ أبناء شعبنا.

٢) وقد قررنا أن نأتي بطبيب وصيدلي مسلم لمعالجة مرضى بلادنا»(١٨).

وقد قامت هذه الجمعية بإنشاء مكتبة جيدة ولكن الجمعية لم تستمر

THE GROWTH IN BOOK SALES AND VALUES DURING THE FIRST TWELVE YEARS OF THE MISSION'S WORK IN THE REGION

نمو المبيعات واسعارها في السنوات الاثنتي عشرة الاولى من عمل الارسالية في المنطقة

No. of Scripts. Sold
2200
2000
1800
1600
1400
1200
1000
800
600
400
200

1893
1894
1895
1896
1897
1898
1899
1901
1902
1903
1904

Value of sales in Rupees
220
200
180
160
140
120
100
80
60
40
20

No. of Sales
عدد النسخ
Value
المبالغ

الجدول ٥ : ٤

مكتبات الكتاب المقدس في محطات الإرسالية

المحطات الرئيسة والفرعية	العدد	سنة التأسيس	المدة	ملاحظات
البصرة	١	١٨٩١	٠	أغلقت بانتهاء عملهم هناك.
البحرين	١	أوائل ١٨٩٣	٢	أُعيد افتتاحها
مسقط	١	١٨٩٣	١	
الناصرية	١	١٨٩٧	٤	
العمارة	١	١٨٩٧	٠	أغلقت سنة ١٩٠٢
الكويت	١	١٩٠٣	٦	أغلقت بعد الحرب العالمية الأولى أغلقت ١٩٠٤ وافتتحت سنة ١٩١٠ أغلقت ثانية في نهاية الخمسينات

Source: Neglected Arabia, 1891 - 1910

طويلاً لأن الشيخ مبارك أمرها بالتوقف عن أعمالها لأنه شعر بأنها تعارض سياسته فهو نفسه الذي سمح للإرسالية بالعمل في بلاده. يُضاف إلى ذلك أن معظم من كانوا يزورون مكتبة الكتاب المقدس من الكويتيين كانوا يذهبون هناك للمحاورة فقط متهمين الإرسالية بأنها تهدف إلى هدم الإسلام وإبداله بالمسيحية.

اختار المبشرون موقع مكتبتهم بالقرب من السوق الكبير مقابل الجامع الرئيس. وكان هذا الموقع هو أنسب مكان للقاء جموع كبيرة من الناس والعمل بينهم، ولكنه في الوقت ذاته سبب للمبشرين كثيراً من المتاعب بسبب موقعه مقابل أكبر مساجد المدينة، والذي جعلهم يقفون وجهاً لوجه مع زعماء المسلمين التقليديين الذين كانوا يستخدمون المسجد للصلاة واللقاءات اليومية.

ويرينا هذا الجدول سنوات افتتاح مكتبات الكتاب المقدس* وسنوات إغلاقها في جميع محطات الإرسالية الرئيسة والفرعية.

لقد حاول المبشرون الاستمرار في نشاطهم التبشيري بالرغم من المعارضة. وكان اهتمامهم ينصب على عدم إثارةالمزيد من المعارضة، ولكن هذه السياسة كانت صعبة ولم يكن تحقيقها بالأمر السهل في مدينة صغيرة كالكويت والتي تتمتع بنظام ديني واجتماعي متماسك. وكان الشيء الوحيد الذي مكنهم من البقاء في الكويت هو موقف أمير البلاد المؤيد بسبب حاجة عائلته وشعبه لخدماتهم الطبية(١٩).

الدور التبشيري للمستشفى والمستوصف:

لقد كانت الخدمات الطبية دوماً هي المدخل الرئيس للتبشير وقد عالجنا هذا الموضوع بالتفصيل في فصل سابق. وسنؤكد في هذا الفصل على الدور التبشيري غير المباشر للمستشفى والمستوصف.

كان المستشفى والمستوصف يستخدمان استخداما جيداً للعمل التبشيري الذي كان معظمه يجرى عن طريق هاتين المؤسستين. وكان الأطباء يقومون بالوعظ وكذلك مساعدوهم ورجال الدين الذين كانوا يجلسون بين المرضى ويقرأون آيات من الكتاب المقدس. وكان المرضى يصغون بصمت أثناء القراءة والتفسير الذي كان يتبعها كما كانت الصلاة تتلو القراءة عادة. وقد قال السيد علي حسين يصف ذلك:

«منذ عشرين عاماً مضت كنت مريضاً وقررت أن أذهب إلى المستشفى الأمريكي في الكويت وكنت بحاجة إلى عملية. وقد أجراها لي الأطباء، ولقيت في المستشفى كل الرعاية، وقد قضيت هناك ثلاثة أسابيع وفي كل

* لا تزال بعض مكتبات الإرسالية موجودة في بعض مناطق الخليج في مسقط والبحرين والكويت، وهي تابعة للكنيسة الانجليكانية البروتستانتية.

يوم كان أحد رجال الدين يأتي للجلوس بجانب كل مريض ويحدثه بعض الوقت وقد تحدث أحدهم معي ويبدأ يسألني عن أحوالي الاجتماعية وعن أحوال عائلتي ثم انتقل بالحديث إلى الدين وكانت لغته العربية جيدة. ولم يهاجم الإسلام بل كان معظم حديثه يتركز حول السيد المسيح و كان أحياناً يقرأ لي من الانجيل وفي اليوم الأخير أهدوني نسخة منه»[٢٠].

وكان المبشرون يقومون بالوعظ بين المرضى في العيادات أو في الأجنحة أو عندما كانوا يزورونهم في منازلهم. وكان رجال الدين كثيراً ما يزورون المرضى ويجلسون عند أسرتهم ويحدثونهم عن موضوعات مختلفة تتعلق بحياتهم وأحوالهم الاجتماعية والاقتصادية وبالتدريج ينتقلون إلى الحديث عن الدين، وقد قال أحدهم:

«لقد كان لزيارة المرضى قيمة كبيرة»[٢١].

وكان الطبيب أيضاً يلعب دوراً مزدوجاً، إذ كان يعالج المريض من ناحية ويحدثه بضع دقائق عن الدين من ناحية أخرى وعند خروج المريض من المستشفى كان المبشرون يحاولون زيارته في منزله وكثيراً ما كانوا يدخلون معه في نقاش ديني واجتماعي.

وكان الشيء نفسه يحدث مع المرضى من النساء. وعلى أية حال لم يكن النساء بنفس تعاون الرجال واهتمامهم لأن القليل منهن يأتين يومياً والأقل كنّ يستطعن القراءة والكتابة، ولذلك فإن حديث المبشرين مع النساء كان في غاية البساطة وقد أكد أحد تقارير الإرسالية على ذلك:

«وخلال الصلاة كان بعض النساء يوشكن أن يقلن آمين؛ ولكنهن لم يكن ينهضن للصلاة»[٢٢].

وقد ذكر القس (جـ. بنينجز) يصف الحال في الكويت:

«وكان السيد (دي يونج) بمساعدة بائع الكتب الدينية يقوم بالتبشير

في المستشفى بانتظام واخلاص»[٢٣].

وكان عدم الاهتمام الذي يوليه بعض المرضى من المسلمين لهذا المنحى التبشيري الذي يتبناه العاملون في المستشفى والعيادة دليل على القناعة بعدم إيجابيته وكانت حاجة الأهالي للعناية الطبية وعدم وجود بديل آخر للعلاج الطبي الحديث في المنطقة في ذلك الوقت يجعلهم يقبلون هذا الوضع ويصغون إلى المناقشات التبشيرية.

والواقع أن معظم المواطنين الذين كانوا يأتون إلى المستشفي كانوا من المسلمين العاديين، وكانوا يأتون أساساً للعلاج الطبي وكانت مشاعرهم الدينية الإسلامية تجعلهم أكثر صلابة في أمور دينهم. وكان هذا الموقف هو الرد العام الذي كان يشعر به الكثيرون من المرضى الذين قابلهم كاتب هذه السطور أثناء عمله الميداني وقد أيده المعمّرون ممن عاشوا مع المبشرين في أواخر الأربعينات والخمسينات والستينات في الكويت والبحرين.

وكانوا أثناء قيامهم بالعلاج يبيعون الكثير من الكتب الدينية للمرضى: «إن الكتاب المقدس هو العمود الفقري للمستشفى، وهو السبب الوحيد لوجودنا هنا»[٢٤].

وكان بعض المرضى يشترون هذه الكتب تظاهراً منهم بالاهتمام بها، في حين كان الآخرون يشترونها اعتقاداً منهم بأنهم لن يلقوا العلاج اللازم إنْ لم يشتروها، وأخيراً كان هناك من يشترونها من باب المجاملة، ومعظم من كانوا يشترون هذه الكتب لم يكونوا يعلمون شيئاً عمّا تحويه لجهلهم بالقراءة. ولم تكن هذه الحقيقة لتغيب عن المبشرين ولكنهم كانوا يظنّون بأن المرضى سيجدون من يستطيعون قراءتها لهم.

إن المستشفى والمستوصف كانا يهيئان فرصة جيدة للعمل التبشيري

ويخلقان الجو المناسب للاتصال الشخصي مع المرضى، وهذا بدوره كان يمهّد لتكوين الصداقات وتبادل الزيارات مع المرضى بعد مغادرتهم المستشفى. يُضاف إلى ذلك أن الخدمة الطبية التي يقدمها المستشفى كانت ذات أهمية كبرى للأهالي مما اضطر الزعماء المحليين إلى التغاضي عن العمل التبشيري الذي كان يصاحبها أو يتبعها بعد انتهاء العلاج، وكان الأهالي يشعرون في كثير من الأحوال وبخاصة أولئك الذين لديهم حساسية خاصة نحو التبشير بأن الجانب الديني الذي يرافق المستشفى والمستوصف هو الثمن الذي يدفعونه لقاء العلاج الطبّي الحديث. وفي بعض الحالات شجّع الجو التبشيري المريح والآمن للمستشفى بعض المبشرين من أمثال القس (بنينجز) في السنوات الأولى من عملهم في الكويت على توسيع آفاق عملهم التبشيري خارج حدود المستوصف، حيث كان يزور المواطنين كثيراً ويشجعهم على زيارته مما أثار معارضة رجال الدين المحليين الشديدة والذي أدى إلى تدخل الشيخ مبارك شخصياً ليطلب من القس (بنينجز) أن يكتفي بمزاولة نشاطه الديني في حدود المستوصف[٢٥] ومن هذه الواقعة يتبيَّن لنا مدى الخدمة التي كان العمل الطبي يؤديها للتبشير. وقد استطاع حاكم البلاد أن يوقف نشاطهم التبشيري خارج المستشفى والذي يعني اعتراف الحكومة المحلية بالعمل التبشيري وإعطاءها إذناً ضمنياً بمزاولته ضمن حدود المستوصف فقط. وكان الحاكم والناس يدركون حاجتهم البالغة إلى العلاج، ولهذا كان عليهم أن يدفعوا الثمن. كما كان هناك شعور بعدم قدرة العمل التبشيري على التأثير الديني. وفي واقعة مماثلة استطاعت السيدة مايلري والتي كانت تعمل أيضاً في الكويت حيث أن زوجها كان واحداً من أطباء الإرسالية أن تقوم بزيارة عدد من المنازل حيث ذكرت:

«وقد قابلوني بالترحيب وأجلسوني في أرفع مكان، وتلقيت دعوات

عدة بالبقاء وتناول العشاء مع الأصدقاء، وقد قمت بتلبية دعوات عدة للغداء مع الأصدقاء كلما سنحت لي الفرصة»[٢٦].

وفي الحقيقة لم تكن هذه الزيارات ناجحة من الناحية التبشيرية وقد قالت السيدة (مايلري) تعلّل السبب:

«لم تكن الفرصة تتهيأ دوماً للقراءة لهم»[٢٧].

وقد أكدت ذلك في تقريرها الميداني لمجلس الإرسالية في الولايات المتحدة الذي قالت فيه:

«إن الرغبة في الدخول في مناقشات دينية أو الاستماع إلى رسالة الانجيل تكاد تكون معدومة، إن المستشفى هو الذي يهيىء للاتصالات مع المرضى ودوره مهم»[٢٨].

والسبب في ذلك أن الناس الذين كانت تزورهم من باب المجاملة والضيافة لم يكونوا ليستطيعوا منعها من الزيارة أو عدم مقابلتها لأن هذا المجتمع لا يسمح بسوء معاملة الضيف. إضافة إلى ذلك أن السيدة (مايلري) كانت زوجة الطبيب الوحيد في الإرسالية وكان المجتمع يرحب بها إكراماً له. والواقع أن الدكتور (مايلري) كان الطبيب الوحيد في الكويت في ذلك الوقت، وكان يقوم بدور مهم في خدمة المجتمع مما جعله هو وزوجته من الناس المهمين في نظر الجميع.

وقد ارتكب المبشرون في تلك الأيام خطأ في تفسيرهم لمواقف الأهالي. وحقيقة الأمر أن سكان شبه الجزيرة العربية بمن فيهم سكان الخليج كانوا يُعرَفون بكرمهم، ولذلك فإن تقاليدهم الاجتماعية تفرض عليهم أن يلاقوا ضيوفهم بكل ترحاب. وكان عليهم أن يعاملوهم بحرارة ومودة كبيرتين مما يشجع ضيوفهم على قول ما يرغبون. أما قبول ما يقولون والاقتناع به فهو أمر آخر ولكن الانطباع العام الذي كان المبشر يخرج به هو النجاح التام في التأثير بهم. والواقع أنه لم ينجح مطلقاً،

فالمضيف حريص على إرضاء ضيفه - أي المبشر - ولذلك فإنه كان يتركه يقول كل ما يشاء على أمل أن يغيّر موضوع الحديث ولم يكن المضيف يتجادل مع الزائر في العادة إما رغبة منه بأن لا يتيح له فرصة للإطالة، وإما ان معلوماته كانت غير قادرة على مجاراة ضيفه أو إدراك مراميه. ومهما كان موقف المضيف فإن أحداً منهم لم يكن يرغب في معرفة أي شيء عن المسيحية أكثر مما ذكره القرآن. وكان المبشرون في مخططاتهم يرون أن:

«العمل التبشيري هو أصل الشجرة أما بقية المؤسسات كالطب والتربية فهي مجرد فروع لهذه الشجرة»[٢٩].

وبعبارة أخرى فإن الغاية هي العمل التبشيري وليست المؤسسات الأخرى سوى الوسائل الرامية لتحقيق هذه الغاية. وكان أهالي منطقة الخليج ينظرون إلى الأمر بطريقة مغايرة تماماً. فهم يرون أن كل ما يحتاجونه هو المستشفى وان عليهم قبول المؤسسات الأخرى لأن الإرسالية لم تكن لتفتتح المستشفى والمستوصف بدونها. وكان كل من الفريقين يحمل وجهة نظر متعارضة مع الفريق الآخر والسبب في ذلك حاجة المنطقة الماسة للخدمات الطبية ولأن هذه الخدمات كان تمس حياة كل فرد في هذا المجتمع. وكان الناس يرغبون في الاستفادة من الخدمات الطبية لأنها كانت الخدمات الطبية الحديثة الوحيدة في المنطقة. أما من الناحية الدينية فإنهم لم يكونوا يشعرون بأنهم يعيشون في فراغ ديني ولم تكن لديهم رغبة في تبديل ديانتهم بديانة أخرى.

صلاة الأحد

لقد كانت صلاة الأحد هي العبادة الوحيدة التي أدخلها المبشرون إلى المنطقة، وهي أشد المداخل التبشيرية راحة.

وتهدف إلى تعريف وتنوير من يحضرون هذه الصلاة بالعقيدة المسيحية، وإشراك أكبر عدد ممكن من الناس في هذه الصلاة. وهكذا فإن أهداف هذه الصلاة واضحة، وكان من الطبيعي أن تولي الإرسالية هذه الطقوس أهمية خاصة بين الأنشطة التي تقوم بها في المنطقة فهي.. أولاً تتيح لأفراد الإرسالية ممارسة شعائرهم وتؤثر في الأهالي. ثانياً بدعوتهم لحضور هذه الصلوات. ولم تكن صلاة الأحد تلقى اهتماماً من الناس لطبيعتها التبشيرية الصريحة، بل انها على العكس من ذلك أثارت المعارضة المحلية التي كانت تقاوم هذا النوع من النشاط التبشيري. ولذلك لم يتمكن المبشرون من إقناع الناس بحضور هذه الصلاة وحتى القلة النادرة ممن حضروها مرة لم يعودوا إلى تكرارها أبداً.

وقد مرت صلاة الأحد بمرحلتين: الأولى من بداية عمل الإرسالية حتى اكتشاف النفط، حيث كان هذا النوع من العبادة مقصوراً على المبشرين ومساعديهم وقليل جداً من المواطنين، وبدأت المرحلة الثانية منذ اكتشاف النفط حتى الآن و خلال هذه المرحلة كانت الصلاة للمبشرين وقلة من المواطنين إضافة إلى الأعداد الكبيرة من المسيحيين التي وفدت على المنطقة بحثاً عن العمل.

وكانت صلاة الأحد في البداية تقام بالإنجليزية ثم أصبحت تقام تدريجياً بالعربية والإنجليزية في آن واحد وإقامة الصلاة باللغة العربية تهدف إلى إغراء الأهالي للانضمام إليهم، ومع ذلك فقد بقي عدد من يؤمونها قليلاً جداً. وكان القسم الأكبر من الحضور يتألف من أعضاء الإرسالية الأوروبيين والبحارة من السفن الراسية في موانىء الخليج كالبصرة ومسقط. وللتغلب على تردد المواطنين في حضور هذه الصلاة قررت الإرسالية أن تفتح مدرسة الأحد في كل محطة من محطاتها. وكانت هذه المدارس تختلف عن خدمات الإرسالية التعليمية العادية

والتي سبق أن عالجناها في فصل سابق، والطلبة في هذه المدارس صغاراً وكباراً لا يتعلمون سوى الإيمان المسيحي، وقد أنشأت السيدة (ورال) أول مدرسة من هذا النوع في البحرين في عام ١٩١١، وقد جمعت عدداً من الأطفال وبدأت تعلمهم الانجيل وكيف يؤدون الصلوات المسيحية. وكان عدد الحضور غير مستقر ولكن المعدل كان في حدود خمسة عشر تلميذاً كل يوم أحد[٣٠]. وكان الآباء يرسلون أبناءهم إلى هذه المدارس لعدم معرفتهم بأنها تعلم الإيمان فقط، وكانوا يرغبون في أن يتعلم أبناؤهم العلوم الحديثة واللغة الإنجليزية، وعند اكتشافهم أن أولادهم لا يتعلمون هذه العلوم سُحب معظمهم من المدرسة. ومع هذا فإن الإرسالية لم تتوقف عن القيام بهذا النوع من العمل واستمرت بالعدد الباقي من الأطفال والذين كانوا من اليتامى والأطفال غير الشرعيين، ثم بدأت الإرسالية في البحرين في افتتاح صف للنساء في مدرسة الأحد، ويبدو أن الإرسالية كانت تهتم بالتأثير في النساء أكثر من اهتمامها بالتأثير في أية فئة أخرى من سكان المنطقة. ويرجع السبب إلى وجود وقت فراغ لدى النساء اللائي كان أزواجهن ينشغلون عنهم في أعمال الحقل. وبالنسبة للكويت والبحرين في موسم الغوص (والذي يستغرق من شهرين إلى ثلاثة أشهر والتي يقضيها الرجال في البحر بعيداً عن أسرهم) فقد كانت النساء يجدن جو الإرسالية ملائماً جداً لقضاء الوقت بشيء من الفائدة في وقت لم تكن توجد فيه أندية أو مدارس أو غيرها مما يمكن أن يعينهن على قضاء الوقت. فكان هذا واحداً من الأسباب التي كانت تدعوهن إلى الاشتراك في أمثال هذه الأنشطة. والسبب الآخر هو حاجتهن للرعاية الطبية التي كانت الإرسالية تقدمها للمنطقة، وكنّ يعتقدن أن الالتحاق بأنشطة الإرسالية سيدفع الإرسالية إلى تقديم ما يحتجن إليه من علاج ويعطيهن الأولوية عند احتياجهن لمثل هذه الرعاية.

وكانت صلاة الأحد في الكويت تجري بالأسلوب نفسه الذي كانت تجرى به في البحرين. وكان المبشرون يقيمون هذه الشعائر عادة في الهواء الطلق في «بيت الربان»؛ الذي استأجروه لهذا الغرض قبل إنشاء الكنيسة في تلك المنطقة[٣١]، وكان الأهالي الذين يشتركون في هذه الصلاة قليلين جداً وأخذت أعدادهم تتناقص للأسباب نفسها التي حدثت في البحرين.

وكما كانت عليه الحال بالنسبة لمكتبة الكتاب المقدس، فقد كانت صلاة الأحد لا تتمتع بأية شعبية بين سكان المنطقة. والواقع فإن كاتب هذه السطور في لقاء له مع المعمرين* في المنطقة وأولئك الذين عملوا مع الإرسالية من المواطنين قد أكدوا على أن طقوس الأحد بصلواتها ومناقشاتها ومدرستها لم يكن لها أية جاذبية لدى الأهالي. فالناس لم يكونوا يجنون منها أية فائدة كالفوائد التي كانوا يجنونها من الخدمات الأخرى كالمستشفى أو المستوصف أو حتى الأخبار أو القراءة العامة في مكتبة الكتاب المقدس.

أما فيما يختص بالحكومات فقد كان رد فعلها على مدارس الأحد يختلف من منطقة إلى أخرى فحكومة الكويت مثلاً لم تعر الأمر أي اهتمام، ورغم أنها لم تكن تؤيدها إلاّ أنها كانت تعتقد أن تأثيرها ضئيل جداً. أما السلطات التركية في البصرة فقد عارضت وجود هذه المدرسة وحاولت أن تقيدها. أما في البحرين ومسقط فإن نفوذ السلطات البريطانية منع الناس من مقاومة هذه الممارسات أو معارضتها. وعلى العموم فإن صلاة الأحد لم تتمكن من تثبيت جذورها في المنطقة لأن الإرسالية لم تتمكن من تنصير عدد كبير من الأهالي، ولهذا فقد بقيت

---

* إن لفظ (المعمرين) هنا يعني المسنين. أردنا توضيحه لأن هذا اللفظ يطلق في المغرب العربي على المستوطنين الغربيين الذين كانوا يسيطرون على اقتصاد المنطقة ويدعمون الاستعمار فيها.

مقتصرة على أعضاء الإرسالية وعائلاتهم وغيرهم من المسيحيين ممن قدموا إلى المنطقة في السنوات التالية.

الكنيســـــة:

إن الكنيسة هي أهم مؤسسة تبشيرية على الاطلاق، فقد كانت مكاناً للصلاة والوعظ ولقاء الناس، والمعنى الآخر للكنيسة هو المجتمع المسيحي أو الجماعة المسيحية وليس المبنى فقط. وكانت إقامة الكنيسة تعطي العمل التبشيري طابع الدوام وهي في نظر المبشرين صلب العمل التبشيري وغايته النهائية. وقد أكد القس هوتون (Rev. Hoton) ذلك بقوله:

«إن الكنيسة حقاً هي غاية ونهاية جميع مجهوداتنا»[٣٢].

وكانت الفكرة التي تسيطر على المنتمين إلى الإرسالية العربية هي التبشير في كل شبه الجزيرة العربية والتمسك بها إلى أن تنمو الكنائس المحلية وتتمكن من الاضطلاع بمسؤوليات العمل التبشيري، وهكذا فإن إقامة الكنيسة كان المرحلة النهائية في العمل التبشيري وهو الهدف الذي تتوجه جميع المجهودات لتحقيقه، والواقع أن الهدف من العمل في تلك المنطقة كان ذا شقين كما عبّر عنه (ادوين كالفرلي):

«تعريف العرب بالمسيح ليتقبلوه مخلصاً لهم، وثانياً: تأسيس كنيسة مسيحية محلية تتمتع بالحكم الذاتي والكفاية الذاتية والقدرة على التوسع»[٣٣].

وكان أول أهداف الكنيسة هو كسب المتنصرين ولكن خبرة الإرسالية وإدراكها لصعوبة تنصير الناس جعلها تؤمن أخيراً بأن الكنيسة المحلية هي أهم المؤسسات التبشيرية وأكثرها إلحاحاً لأن تنصير غير المسيحيين يجب أن يتم على أيدي أبناء شعبهم بعد تنصير بعض هؤلاء الناس وافساح المجال أمامهم لمتابعة العمل، حيث كانوا يعتقدون أن

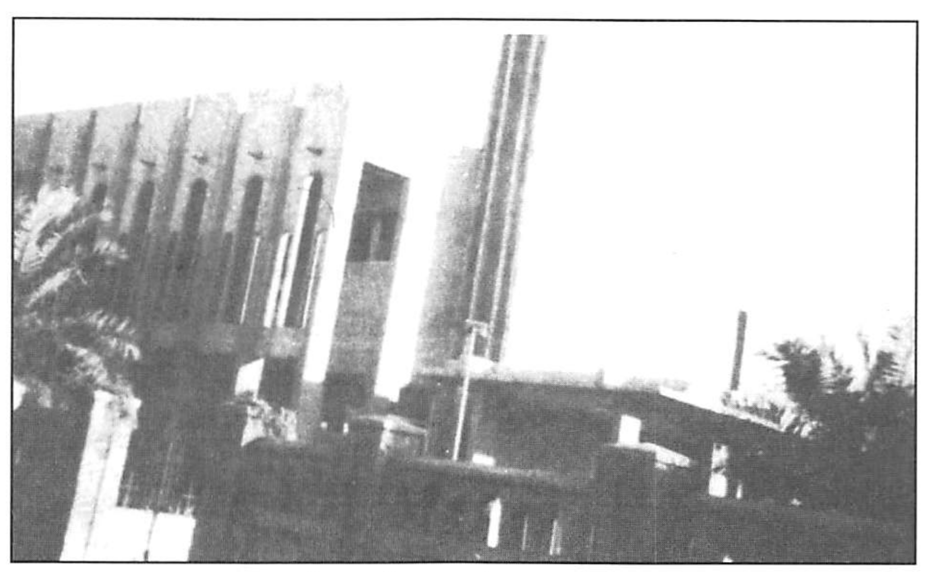
هذه إحدى الوسائل وأبعدها أثراً لأن الكنيسة ستتقدم على أيدي الوعاظ والمعلمين المحليين.

وكان المبشرون يؤجلون إقامة الكنيسة تجنباً لإثارة معارضة المواطنين، ويبدأون بإقامة الخدمات الإنسانية إلى أن يستطيعوا كسب عطف الناس ومودتهم عندها يقيمون الكنيسة الركيزة المهمة في العمل التبشيري.

وجاء تأسيس الكنائس في المنطقة بعد سنوات عدة من العمل هناك. لقد كانوا يؤدون شعائرهم الدينية في أول الأمر في المستشفى أو في منازلهم. ثم بدأوا بعدها بإقامة الكنائس الصغيرة والتي تطورت فيما بعد حتى أصبحت كنائس عادية.

وفي عام ١٩٠٤ منعهم ضيق المكان في محطة البحرين من إقامة شعائرهم الدينية وأصبح بناء الكنيسة أمراً لا مفر منه وقد استخدم المبشرون ومساعدوهم هذه الكنيسة الصغيرة للصلاة والاجتماعات لمدة ثلاثين عاماً إلى أن أصبحت الكنيسة مركزاً لنشاط الإرسالية التبشيري في تلك المنطقة. وقد وفد إلى المنطقة فيما بعد أعداد كبيرة من المسيحيين نتيجة لتطور المنطقة ونموها في السنوات التالية وأصبحت الكنيسة عندها مركزاً اجتماعياً ودينياً في آن واحد، ومكاناً لإقامة الأعراس والجنائز والتعميد والصلاة ، إضافة إلى إدارة الأعمال التبشيرية بين المسلمين. وقد أنشئت أول كنيسة صغيرة في البصرة سنة ١٩١٣م، واعتبر المبشرون انشاءها خطوة إلى الأمام في عملهم التبشيري. وكان يؤم هذه الكنائس المبشرون أنفسهم ومساعدوهم والذين كانوا في غالبيتهم من المسيحيين والبحارة الأجانب الذين كانوا يأتون أحياناً إلى موانيء الخليج. أما المسلمون فقد كانوا قلة ضئيلة.

وقد تطورت الكنيسة في مسقط بالأسلوب نفسه المتبع في المحطات الأخرى. ويدّعي المبشرون أن الثلاثين سنة الأولى من عملهم



صورة لكنيسة الارسالية الامريكية العربية بالبحرين

التبشيري شهدت تقدماً في عدد الحضور إلى الكنيسة[٣٤]. أما فيما يتعلق بالأهالي فقد كان حضورهم محدوداً جداً لأن مجموع من تنصروا لم يزد على أربعة أشخاص إضافة إلى العدد القليل من اليتامى الذين نشأوا في محيط الكنيسة وبيئة مسيحية.

ولم تختلف أوضاع الكنيسة في الكويت عمّا كانت عليه في المحطات الأخرى. وبعد مدة طويلة من إقامة الشعائر الدينية في المنازل وفي مستشفى النساء قرر المبشرون أن يبنوا كنيسة لهم وبدأت الاستعدادات لهذا العمل في نهاية العشرينات. وفي سنة ١٩٣٢ تم بناء الكنيسة في الكويت وأصبحت جاهزة لإقامة الشعائر. وكانت مؤسسات الإرسالية بالطبع تهيىء تسهيلات وفرصاً أفضل لتنفيذ المخططات التبشيرية في المنطقة، وكانت الصلوات تقام في الكنيسة باللغتين العربية والإنجليزية.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية أصبحت الكويت من المناطق المهمة المنتجة للنفط. وقامت الحكومة ببناء ميناء كبير في الجزء

الجنوبي الشرقي من البلاد، ونشأت هناك بالتدريج مدينة حديثة سميت بالأحمدي. وفي سنة ١٩٥٦م، أنشأت شركة النفط لاتباعها كنيسة انجليكانية جديدة في مدينة الأحمدي وأصبح المسيحيون من مختلف الجنسيات ممن يعملون في الكويت يحضرون الصلاة في كنيسة الإرسالية وفي الكنيسة الانجليكانية بالأحمدي، ولا تزال هاتان الكنيستان قائمتين إلى الآن وتقام فيهما الشعائر الدينية كالمعتاد. وفي السنوات التالية تم إنشاء عدد من الكنائس للطوائف المسيحية المختلفة المتواجدة في المنطقة.

وجرى العمل في إقامة الكنائس في المحطات الفرعية بالخطوات نفسها التي تم فيها إنشاء المؤسسات المشابهة في المحطات الأخرى. وفي عام ١٩٤٥ شهدت العمارة إنشاء أول كنيسة صغيرة فيها، وكانت الشعائر الدينية تقام فيها لأعضاء الإرسالية ولبعض المرضى الذين كانوا يأتون للعلاج من أماكن نائية، ولكن الكنيسة أغلقت على أية حال مع إغلاق المحطة بأجمعها نتيجة لقيام الحكومة بإغلاق المستشفى.

وكانت مطرح هي المحطة الفرعية التالية التي اعتبرتها الإرسالية منطقة استراتيجية لأنها تفتح الطريق أمام العمل التبشيري في الأجزاء الداخلية من عُمَان، وقد أكد الدكتور (بول هاريسون) على هذه الناحية بقوله:

«إن أمل عمان هو في كنيسة مخلصة نشيطة، مهما كانت صغيرة، والتي تكون بداية لأشياء أفضل في تلك الامبراطورية بحجارتها السوداء وفقرها المدقع. ولكن ما الذي ستكون عليه كنيسة المستقبل في مطرح وعمان؟ إنها ستكون كنيسة تتميز بالتفاني والاستقلال عن كل دعم ضار من القوى الدخيلة»[٣٥].

ومهما يكن من أمر فإن آمال الإرسالية بالانتشار داخل عمان لم تتحقق رغم كل ما بذلته من الجهود بسبب التأثير الكبير للمعارضة

الداخلية في شبه الجزيرة ونفوذها الكبير في المناطق المجاورة لها مثل عُمان. والحق أن بعض المبشرين قاموا بمحاولات جادة لتزويد هذه الكنائس بالوعّاظ والقادة من مؤسساتهم الأخرى. وكانوا يعتقدون أن هذه الكنائس يجب أن تقوم على ثلاثة مبادىء كما ذكر القس هوتون (Rev. Hoton):

«الاكتفاء الذاتي، والحكم الذاتي والتوسع الذاتي... إن المُثل العليا الذي تطمح لها هذه المبادىء الرئيسة هي طبعاً... أننا يجب أن نقيم في كل ميدان كنيسة مستقلة، ليست كالابنة التي تتطلع إلى الدعم المادي أو الروحي من والديها ولكن كأخت مستقلة استقلالاً تاماً من خلال المشاركة التامة»(٣٦).

ومن الأهمية بمكان أن نعرف ما إذا كانت الإرسالية قد حاولت تطبيق هذه المبادىء أم لا. إن الإرسالية قد أنشأت كنائس عدة في محطاتها الرئيسة وقد كانت هذه الكنائس تحت إشراف أعضاء الإرسالية المباشر حتى الآن، وهناك أسباب عديدة تجعلهم يصممون على التمسك بهذه الكنائس ويرفضون تسليمها إلى المسيحيين من أهالي البلاد. إن المبشرين يميزون بين المسيحي العادي وبين المسيحي المبشر، فالمبشر يحمل رسالة لتنصير الآخرين ولكن هذه ليست مهمة المسيحي العادي، ولهذا فإن الإرسالية ترى أن الهيئة التبشيرية هي التي يجب أن تتولى العمل التبشيري إلى أن يجدوا المبشرين من بين من يتم تنصيرهم من الأهالي. ولكن الإرسالية إلى ذلك الوقت لم تتمكن من تنصير العدد اللازم من الناس القادرين على الاضطلاع بهذه المسؤولية، ولهذا، لم يكن هناك بديل عن أن يقوموا بذلك بأنفسهم ويستمروا فيه. ولكن المسيحيين المحليين الذين قابلهم المؤلف أثناء عمله الميداني كانوا ينظرون إلى الأمر من زاوية أخرى ويقولون إنه يصعب على المبشرين الذين أنشأوا

العمل أن يتركوه لغيرهم لأنهم يعتقدون أن المسيحيين المحليين غير مؤهلين لمتابعة هذا العمل بالأسلوب نفسه الذي انتهجته الإرسالية، وهم يعتقدون أن هذه المواقف كانت من الأسباب التي أدت إلى فشل الإرسالية في تحقيق أهدافها(٣٧). وهكذا فإن الإرسالية قد تمكنت من بناء الكنائس العديدة في محطاتها الرئيسة والفرعية، لكن الأمر الذي لا يزال غامضاً هو لماذا لم تتحول هذه الكنائس إلى «كنائس محلية»؟ وظل المبشرون يستخدمونها ويخضعونها لإشرافهم. ولم يتحول حلم تسليم العمل إلى المتنصرين المحليين إلى حقيقة وظلّ الهدف أبعد ما يكون عن التحقيق.

التأثيــــر الدينـــــي

لقد كان التنصير هو الهدف الأساس للعمل التبشيري وهذا هو السبب الذي دعا الإرسالية العربية إلى الذهاب إلى منطقة الخليج العربي لتحويل المسلمين إلى اعتناق المسيحية. ولذلك فإنّ المعيار الوحيد الذي يمكن به الحكم على نجاح مهمتهم هو التنصير. إن الموضوع الرئيس الذي سنسعى لتقويمه فيما يلي هو أثر المدخل التبشيري من خلال جميع الأعمال التبشيرية للإرسالية.

من الغريب أن المبشرين في كتاباتهم وتقاريرهم كانوا لا يشيرون إلى هذا الأمر إلاّ بشكل عام أو مقتضب مع أنه الهدف الأساس الذي نذروا أنفسهم لتحقيقه! ومن الواضح على أية حال أن تجنبهم للدخول في تفاصيل هذا الموضوع يعود إلى ضآلة عدد من نجحوا في تنصيرهم. والمعلومات المتوفرة بين أيدينا تبين أن عدد من نجحوا في تنصيرهم خلال هذه الفترة الطويلة من العمل في المنطقة لا يزيد على أربعة أشخاص، وهم عيسى الداوي وأصله من الأحساء والذي اعتنق المسيحية في الكويت في سنة ١٩٢٥. وكان مصابا بمرض خطير، وقد أهملت

عائلته أمره فالتجأ إلى المستشفى الأمريكي في الكويت، حيث وجد رعاية جيدة وشفي من مرضه، وعندئذ اعتنق الديانه المسيحية ومات في سنة ١٩٥٠ ودفن خلف الكنيسة البروتستانتية في الكويت[٣٨]. والشخص الثاني هو مراش بن بلال في مسقط الذي توفي في نهاية عام ١٩٣٠ ووقع خلاف حول ما إذا كان سيدفن على الطريقة الإسلامية أم المسيحية كما أن أسرته قد اشتكت إلى الحاكم طالبة منه التدخل لإرجاع أرملته إلى بيتها عندما التجأت إلى مقر الإرسالية بعد موت زوجها[٣٩]. والشخص الثالث السيدة خيرية حيدر من البحرين والتي كانت من أصل فارسي وجاءت إلى البحرين مع زوجها بعد الحرب العالمية الأولى بحثاً عن عمل، وكان زوجها يعمل في الغوص على اللؤلؤ وكان عمله يتطلب منه أن يغيب من شهرين إلى ثلاثة أشهر في البحر، حيث كانت زوجته تعيش أثناء غيابه في ظروف سيئة، وأحياناً لم تكن تستطيع الحصول على وجبة واحدة في اليوم، ولم تلقَ أية رعاية من المجتمع. وأصيب أطفالها الثلاثة بالجدري، وقد قالت عندما قابلها كاتب هذه السطور سنة ١٩٧٤ وكان عمرها حينئذ ٨٢ عاماً:

«كنت أتردد كثيراً على مستشفى الإرسالية في البحرين لمعالجة أطفالي ونفسي. وكنت أحصل على معونة إنسانية ورعاية جيدة، ووجدت أن المسيحيين أفضل من المسلمين. وفي أثناء ذلك الوقت كان المبشرون يقومون بتعليمي ويحدثونني عن الدين المسيحي. وبعد وفاة زوجي ذهبت إلى المستشفى وأخبرتهم بأنني أرغب في أن أصبح مسيحية فرحب بي المبشرون وعينوني رئيسة لدار الأيتام التابعة للإرسالية في هذه المحطة وتضم الأطفال غير الشرعيين، وكان هؤلاء الأطفال ومن بينهم أطفالي الثلاثة يعيشون في جو مسيحي وهكذا أصبحوا مسيحيين. وأُريد أن أعترف بأن ظروفي الاجتماعية وبخاصة ضرورات العيش هي السبب



السيدة خيرية حيدر وولدها يوسف حيدر في مقر المستشفى الامريكي في البحرين

الأساس لتحولي عن الإسلام واعتناقي للمسيحية»(٤٠).

وكان الرابع رجل من عُمان جاء إلى مستشفى الإرسالية في مسقط وأخبر المبشّرين بأنه يؤمن بالمسيحية، إلاّ أن جميع المصادر قد أغفلت ذكر اسمه(٤١).

وقد أنتجت مدرسة «العبيد المحررين للبنين» وهي المؤسسة المسيحية الثانية للتنصير المباشر عدداً من المسيحيين والذين كانوا بدورهم من اليتامى، وقد مات بعضهم والبعض الآخر يعملون الآن في الولايات المتحدة، وقد نشأوا في جو مسيحي، وهكذا أصبحوا مسيحيين. وقد أتينا على ذكر التفاصيل المتعلقة بهذه المدرسة في فصل سابق.

وكان هناك أيضاً بعض الأشخاص ممن تظاهروا بالاقتناع بالمسيحية خدمة لمآربهم الشخصية ولكنهم ما لبثوا أن عادوا إلى الإسلام بعد تحقيق أغراضهم، وأحد هؤلاء كان يُدعى يوسف المال من قطر والذي اعتذر عن مقابلة المؤلف. وقد دلّ البحث* غير المباشر على أن حاجته للطعام والدواء كانت السبب في تظاهره باعتناق المسيحية وهو الآن في السبعين من عمره ولا يميل إلى التحدث عن هذه التجربة.

وهذا في الواقع هو جميع ما تمكنت الإرسالية من تحقيقه في مجال التنصير.

وهناك أسباب عديدة لتأثير الإرسالية الضعيف على هؤلاء الناس. أما من وجهة نظر المبشرين فإنهم يرجعون فشلهم إلى أسباب عدة، فيعتقد الدكتور بنينجز المسؤول عن الخدمات الطبية للإرسالية في البحرين أن سبب فشلهم يرجع إلى:

---

* كان أحد المراجع في هذا الشأن الدكتور علي الكواري وهو الآن من العاملين في شركة نفط قطر، وله بحوث قيِّمة في المجال الاقتصادي.

«أنهم لم يحملوا الرسالة المسيحية بالطريقة الصحيحة. وثانياً لأن المسلمين شديدو التمسك بعقيدتهم. إن الكيان السياسي والاجتماعي والعائلي للمسلمين مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحياة الاجتماعية ولهذا فإن من الصعب على القادمين من الخارج أن يحدثوا أي تغيير»(٤٢).

وقد أيدت السيدة نايكرك هذا الرأي بقولها:

«بما أن دين الدولة في منطقة الخليج هو الإسلام فإن هناك ضغطاً اجتماعياً قوياً ضد أي تغيير كهذا»(٤٣).

ومن الثقات في هذا الخصوص (القس لويس سكدر) الابن الذي يُرجع عدم نجاحهم إلى عوامل أشد تعقيداً. وقد جرى لقاء بينه وبين المؤلف في نهاية عام ١٩٧٤م، ولهذا فإن تقويمه لمنجزات الإرسالية مبني على التطورات الحديثة في المنطقة وليس على الأحوال التي كانت تسودها في السنوات الأولى من عمل الإرسالية. ويرى (سكدر) أن تقويم الأثر الشامل للإرسالية في منطقة الخليج أمر على درجة كبيرة من الصعوبة ولكنه قال:

«إن تطور المؤسسات الصحية في مختلف البلاد وحتى تطور المدارس والمؤسسات الدينية يدين إلى الإرسالية وإنْ كان ذلك مصدراً للمنافسة. وهذا النوع من التطور، على أية حال، ليس دوماً بالمستحسن»(٤٤).

إن إرجاع فشل العمل التبشيري في المنطقة إلى غنى المنطقة في العصر الحديث ليس صحيحاً تماماً، ولكن ما من شك أنه كان أحد العوامل التي أدّت إلى هذه النتيجة. إنّ تقويم كلمات القس (سكدر) يحمل على الاعتقاد بأنه ربما كان يريد أن يقول: إنه بدون المستشفى والمدرسة لم يكن من الممكن أن تحقّق الإرسالية شيئاً ذا قيمة لأنّ الحكومات المحلية قد أقامت أمثال هذه المؤسسات والتي كانت خدماتها أرفع مستوى من الخدمات التي تقدمها الإرسالية بعد اكتشاف النفط هناك. ومع ذلك فإن

التساؤل يظل قائماً، ماذا عن الفترة التي امتدت على طول نصف قرن من نشاط الإرسالية قبل اكتشاف النفط؟ ولماذا لم تستطع الإرسالية التأثير في الناس طوال تلك الفترة عندما كانوا فقراء وأكثر تعاوناً؟ ما من شك أن اكتشاف النفط يمكن أن يفسر عدم وجود متنصرين جدد في السنوات الأخيرة ولكنه لا يمكن أن يكون مبرراً للفشل طوال نصف قرن من نشاط الإرسالية في تلك المنطقة قبل اكتشاف النفط، أضف إلى ذلك أن النفط لم يظهر في جميع بلدان المنطقة وحتى المناطق التي وجد فيها النفط ليست كلها غنية فعمان وجنوب العراق وبعض أجزاء الجزيرة العربية ظلت فقيرة لفترة قريبة. إن عدم نجاح مهمة الإرسالية يرجع إلى أسباب أهمها:

أولاً: ان توقعات الإرسالية كانت مثالية أكثر منها واقعية لأنهم ظنّوا أن التأثير على المسلمين أمر سهل، وأنهم يجب أن يبدأوا من شبه الجزيرة العربية.

إن تحويل مسلم عن دينه في الجزيرة العربية لا يقل صعوبة عن تحويل كاثوليكي يعيش في الفاتيكان عن دينه.

ثانياً: لم تفهم الإرسالية تماماً موقف الناس من عملها التبشيري، وقد استنتجت أن سلوك الأهالي الودي كان دليلاً على قبولهم للمسيحية في حين أن دوافع الناس إلى ذلك كانت مختلفة، والتي كان أهمها حاجتهم لخدمات المبشرين الإنسانية.

ثالثاً: ان الزعماء المسلمين كانوا يعارضون هذا العمل بشدة ويقفون في طريق نجاحه. وكانت النوادي التي أنشأوها في مناطق عديدة تهدف إلى تنظيم المعارضة ضد العمل التبشيري، كما كانوا أيضاً يستخدمون المساجد لمثل هذه الحملات لإجبار الحكومات المحلية على الوقوف في وجه النشاط التبشيري وتذكير الناس بأن الهدف الأساس من وراء هذا

العمل هو هدم دينهم وإحلال الدين المسيحي مكانه.

رابعاً: ان المبشرين بالغوا في تقدير جهل أهالي المنطقة واستنتجوا أنه سيسهل من مهمتهم في التأثير بهم، ومع ذلك فإن المبشرين لم يستهينوا بشدة تمسك هؤلاء الناس بدينهم، كما أن سكوتهم كان يرجع بشكل رئيس إلى حاجتهم إلى خدمات المبشرين الطبية. وقد ظن المبشرون أن جهل أهالي المنطقة كان دليلاً على جهلهم بأمور دينهم والذي جعل من السهل عليهم تحويلهم إلى المسيحية.

خامساً: قلة عدد أفراد الإرسالية وضيق مواردها المالية من الأسباب التي أدت إلى عجز الإرسالية عن تحقيق أهدافها.

سادساً: تورط بعض المبشرين في الأوضاع السياسية للمنطقة وعلاقتهم بالسلطات الاستعمارية أعطى الناس انطباعاً بأن المنظمات التبشيرية كانت لها أهداف سياسية. وسنعالج هذا الموضوع بالتفصيل في الفصل القادم من هذه الدراسة.

المطبوعات التبشيرية

إن الكلمة المكتوبة من الوسائل التبشيرية المهمة. وعن طريق الكلمة المكتوبة كان المبشرون يستطيعون الوصول إلى الناس الذين كانوا يسعون إلى تنصيرهم والتأثير في أفكارهم، أضف إلى ذلك أن تطور الطباعة في عصرنا الحديث قد سهّل عملية انتقال الأفكار. وكانت المهمة الأولى بالطبع التي يسعى المبشرون لتحقيقها في هذا المجال هي ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية.

الكتاب المقدس (الانجيل)

ومما يدعو إلى الغرابة أن الترجمة المكتوبة للكتاب المقدس إلى

اللغة العربية لم تستخدم كثيراً إلاّ في عصرنا الحديث. وبوجه عام فقد قامت محاولات لترجمة الكتاب المقدس في الماضي ولكن الترجمات الأولى كانت أبعد ما تكون عن الصحة، وربما كانت الترجمات العربية القديمة للكتاب المقدس والتي اكتشفت في دير القديسة كاترين في سيناء(٤٥) هي أقدم الترجمات المعروفة. وتكشف هذه الترجمات كما ذكر (ل.سكدر) عن ظاهرة تدعو إلى الاهتمام وهي أن المسيحيين كانوا يتحدثون اللغة العربية والمسلمين كانوا يستخدمون الأدعية نفسها والكلمات نفسها(٤٦). وبعض الترجمات الأولى تعود إلى بداية الحروب الصليبية.

ومن الجدير بالذكر أن الشكوك تدور حول مدى تداول الترجمات العربية القديمة للكتاب المقدس والذي كان رغم جميع الجهود محدوداً وتقتصر أهميته على قيمته التاريخية. ويبدو أن معظم الترجمات القديمة للكتاب المقدس قد فقدت.

ويتفق بعض العلماء المسيحيين وبخاصة المتصلون منهم بالإرسالية العربية على ما ترجمه الدكتور (فانديك) للكتاب المقدس إلى العربية سنة ١٨٦٥من الترجمات المهمة(٤٧)، وهي الترجمة الرئيسة التي اعتمدت عليها الإرسالية العربية والتي جعلت العمل التبشيري أمراً ممكناً. ومع هذا فإن المبشرين الآخرين في البلاد العربية الأخرى كانت لهم ترجماتهم الخاصة. وكانت ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية وطباعته بحروف عربية جيدة أحد أهم الأعمال التي قام بها المبشرون الأمريكيون في بيروت* (٤٨)، وليست هذه هي المحاولة الأخيرة لترجمة الكتاب المقدس فهناك ترجمات حديثة أخرى.

إن المشكلات التي واجهت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية كثيرة وأبرز هذه المشكلات هي أن اللغة العربية المستخدمة لم تكن لغة

* أنظر الفصل الأول، حول تاريخ ترجمة الكتاب المقدس.

ممتازة: إن الأسلوب الجيد على الأخص لكتاب مقدس كالانجيل في العالم العربي أمر بالغ الأهمية. من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن المسلمين يعتبرون لغة القرآن هي كلام اللّه فجمال إيقاعها وعمق معانيها هي في نظر العرب جزء من معجزة وحي القرآن. إن لغة القرآن تتمتع بمكانة سامية تجعل اللغويين والشعراء ينظرون إليها على أنها المثل الأعلى والقدوة التي يسعون للتشبه بها. ولهذا فإن ترجمات الكتاب المقدس والتي قام بها مترجمون من ذوي المقدرة المتوسطة في اللغة العربية كانت ترجمة ذات مستوى رديء. وهكذا فإن الكتاب المقدس وهذا النوع من الترجمات لا تستطيع منافسة القرآن الكريم. لذا فإن المسلمين الذين كانوا يحاولون تنصيرهم يتوقعون من الكتاب المقدس أن يكون مكتوباً بلغة أدبية راقية، ولكن لغة الكتاب المقدس لم تعطِ مثل هذا الانطباع، وقد أكد العديد من الكتّاب على هذه الحقيقة وقال الأب (هوتون) بهذا الخصوص:

«إن الترجمات الأولى كثيراً ما تكون ضعيفة»[٤٩].

والواقع أن العديد من العرب المحليين واللغويين ممن قرأوا بعض أجزاء الكتاب المقدس وممن قابلهم المؤلف في عمله الميداني أجمعوا على أن ترجمة الكتاب المقدس ضعيفة وينقصها التشويق والجاذبية ولا تغري بالقراءة. إن العرب كانوا يفخرون دوماً بلغتهم والكلمات سواء كانت مسموعة أو مقروءة تعني بالنسبة لهم الشيء الكثير.

مطبوعات الإرسالية التبشيرية:

وإضافة إلى الكتاب المقدس وترجمة بعض أجزاء منه كان المبشرون يطبعون ويوزعون قليلاً من الأعمال المطبوعة والكتيبات والنشرات والكتب، وكان هذا العمل المحدود يهدف إلى تعريف المنطقة بالمسيحية

ومناهضة الأنشطة الدينية الأخرى وبخاصة الإسلامية. ومن سوء الحظ لم يتمكن المؤلف في عمله الميداني من العثور على مطبوعات تبشيرية متوفرة أو متداولة أو حتى مصنفة إلاّ القليل والذي يدل على ضآلة العمل التبشيري في هذا المجال. وقد جاء ذكر الكتيبات القليلة المكتوبة لتعريف أهالي المنطقة بالمسيحية في التقارير المكتوبة عن الإرسالية العربية الأمريكية بأيدي روادها وقادتها.

وأحد المنشورات التي تكثر الإشارة إليها ترجمة لمقالة مناوئة للإسلام بعنوان:

«المسيح أو محمد وبأيهما تثق»(٥٠).

ومن مساوىء هذا النوع من المطبوعات أنها تعمل على خلق التعقيدات بدلاً من حلّها، وبدلاً من تعريف المسلمين بالجوانب الإنسانية والدينية للمسيحية فإن هذه المقالة قد جلبت نقمة الناس.

وما من شك أن الكلمة المطبوعة هي إحدى الوسائل التبشرية. وكانت الإرسالية العربية تستطيع الإفادة منها في خدمة أهدافها، ولكنها على أية حال لم تستخدم هذا الأسلوب بالكثافة اللازمة، ومع ذلك فقد نجحت الإرسالية باستخدام وسائل أكثر كلفة واستهلاكاً للوقت كالطب والتعليم. والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لم تستخدم الإرسالية المطبوعات على هيئة منشورات تطبع محلياً لتوزيعها بين السكان المحليين؟ ويمكن أن نجد الإجابة في النقاط التالية:

١ – اللغة العربية: لم يكن من الممكن أن تطبع المواد التبشيرية في اللغة العربية لأن أحداً من قادة المبشرين أو كبار أعضاء الهيئة التبشيرية لم يكن يتقن اللغة العربية، وقد شكلت هذه الصعوبة عقبة رئيسة. إن القدرة على التحدث باللغة العربية وكتابتها بشكل مقبول يتطلب

القدرة على التحدث باللغة العربية وكتابتها بشكل مقبول يتطلب عمقاً جيداً في فهم اللغة والذي لم يكن متوافراً لهيئة الإرسالية في ذلك الوقت.

٢ – كان المبشرون يعتمدون كثيراً على توزيع الكتب المقدسة وبخاصة الإنجيل، وكان بعضهم يعتقد أن توزيع الانجيل أهم الأعمال التبشيرية في حين كان آخرون يرون أنه عمل غير كاف كما ذكر الأب (بارني):

«ليس هناك عامل منشط كالإنجيل، ولذلك فإن الإرسالية حاولت إقامة نظام لتوزيع الكتب المقدسة يجعل الانجيل في متناول كل من هم في مجال نشاطه. ولكن لا أحد يقول إن هذا وحده كاف كعامل تبشيري. لا شك أن هناك حاجة للشرح والإقناع وحتى مهاجمة الخطأ»[٥١].

إن التأكيد على توزيع الكتاب المقدس أكثر من غيره من المطبوعات الدينية واحد من أهم الوسائل الراسخة لدى البروتستانتيين في عملهم التبشيري، وهذا كما سبق أن ذكرنا من نقاط الخلاف بينهم وبين الكاثوليكيين، وهكذا فإن الإرسالية العربية كأي مؤسسة بروتستانتية أخرى كانت تعمل ضمن هذه الخطة، ولذلك فإنها لم تولِ المطبوعات الأخرى الهادفة إلى التأثير في أهالي المنطقة أي اهتمام.

٣ – الطباعة والتوزيع: كانت الإرسالية تواجه صعوبة في الطباعة ولم تكن توجد أية دور للطباعة الحديثة في معظم محطاتها، ولهذا فقد كانوا مجبرين على البحث عن مصادر أخرى ليبقى العمل مستمراً. لقد كانوا يطبعون ما يحتاجونه من منشورات في أمريكا والقاهرة وبيروت وينقلون المطبوعات إلى ميدان العمل وكانت معظم مطبوعات الإرسالية تأتي من ثلاثة مصادر:

الأول، من المؤسسات الأمريكية البروتستانتية في مصر منها «الجمعية الأدبية الأمريكية المسيحية»*. وكان إنتاج هذه الجمعية رديئاً ومحدوداً جداً بالمقارنة بحاجات الإرسالية اليومية، ولكنها مع ذلك سدّت فراغاً في وقت لم يكن للإرسالية مصادر أخرى. وقد ساعدت حليفتهم في بيروت وهي «المطبعة الأمريكية»** في هذا الأمر بطباعة بعض المواد التي تلزمهم. وكان المصدر الثالث للمطبوعات يأتي عن طريق محاولاتهم إنشاء مطبعتهم الخاصة والتي كانوا يعقدون عليها آمالاً عظيمة، ولكنها لم تصل إلى الحد الذي يلبي حاجاتهم. وكانت المطبعة المذكورة مهمة جداً لأعمالهم الدينية والدنيوية في الميدان. وقد وجدت الإرسالية من الضروري إقامة مطبعتها الخاصة في مسقط عام ١٨٩٥. اختاروا مسقط بالذات بسبب سيطرة البرتغاليين القوية عليها. ومع هذا فإن طاقة هذه المطبعة الصغيرة كانت محدودة وكان نموها بطيئاً. وربما تكون الأبعاد السياسية لمطبوعاتها قد حدّت من إنتاجها، ولكن يبدو أن المقالة التي نشرتها ضد الإسلام والتي سبق أن ذكرناها هي التي أدت إلى القضاء عليها لما أثارته من معارضة دينية حادة.

٤ – كان معظم سكان المنطقة من الأميين، حيث كان عدد من يستطيعون القراءة والكتابة منهم قليل جداً. هذه هي العقبات الرئيسة التي كانت تحول دون وصول المبشرين إلى عقول الناس عن طريق المطبوعات، ولهذا فإنهم وجدوا الاتصال المباشر أكثر سهولة وأعمّ

---

* قامت هذه الجمعية في عام ١٩١١ باسم «اللجنة الأمريكية لمطبعة النيل» وبعد سنوات عدة وسّعت نشاطها ليشمل بعض الدول الأخرى، وكانت هذه الجمعية تهتم بنشر الانجيل عن طريق الكلمة المطبوعة.

** ساعد المبشرون الأمريكيون في بيروت والذين كانوا يعملون هناك قبل قيام الإرسالية العربية بكثير هذه المؤسسة الجديدة على الوقوف على قدميها وعلى الأخص في المراحل الأولى من عملها.

فائدة في منطقة كهذه. لقد كان المبشرون على درجة كبيرة من النشاط في توزيع الانجيل على من يستطيعون القراءة، ولكن أثر ذلك كان محدوداً في إقليم شديد الاتساع وبين هذه الأعداد الكبيرة من السكان الذين كان معظمهم من الأُميين.

جدول رقم ٥ : ٦

مقدار مبيعات الانجيل والكتب الأخرى لمحطة البحرين سنة ١٩٠٠ في اللغات: عربي - إنجليزي، وعربي - تركي

	النوع	الكمية
١ -	اناجيل	١١
٢ -	العهد القديم والعهد الجديد	١٤
٣ -	أجزاء	٦٩٥
٤ -	كتب دينية	٨٦٨
٥ -	كتب تربوية	١٨٥
	المجموع	١٧٧٣

Source: Neglected Arabia, Jan, - April, 1901, p. 21.

ولإيضاح هذه النقطة فإن الجدول رقم ٥ : ٥ يعطينا فكرة عن الكمية المحدودة من المطبوعات التي تم توزيعها في محطة واحدة - البحرين - في عام واحد. وكما يتضح من الجدول فإن عدد الأناجيل الموزعة في المنطقة لم يزد على أحد عشر إنجيلاً وعدد العهود أربعة عشر عهداً. وإذا قارنّا هذا العدد بعدد سكان البحرين آنذاك البالغ خمسين ألفاً يتضح لنا ضآلة هذا التوزيع.

٥ - كما أن العامل السياسي لعب دوراً في عدم وصول المطبوعات التبشيرية إلى أهدافها. وقد بدأت الإرسالية عملها في البصرة والتي

كانت حينئذ تحت الحكم التركي. وكانت السلطات التركية تراقب كل ما يتصل بالعمل التبشيري، كما كانت جميع مطبوعاتها تحتاج إلى موافقة السلطات، وقد أشار الأب (ف. بارني) إلى ذلك بقوله:

«ولا يمكننا أن نبيع كتاباً أو حتى وريقة بدون ختم الرقابة... والواقع أن الأعمال الكبيرة ممنوعة بما فيها توزيع الكتب الدينية، ويعتبر العثور عليها في حيازة أي مواطن تركي أمراً خطيراً»[٥٢].

وحتى في المناطق الخاضعة للحكم البريطاني فقد كانت الإرسالية تواجه بعض الصعوبات ولكنها ليست بخطورة الصعوبات نفسها التي كانت تواجهها في البصرة:

٦ - وهناك أيضاً المعارضة الدينية المحلية والتي كان يقودها الزعماء المسلمون والذين كان لهم تأثير قوي في الناس. وكانوا يناهضون المطبوعات التبشيرية التي تهدف إلى تنصير شعبهم. لقد استخدموا كل الوسائل المتاحة لمعارضتهم كالمسجد والمؤسسات التعليمية (الكتّاب) والاتصالات الشخصية. وكان لهؤلاء الزعماء الدينيين تأثير حتى على حكوماتهم المحلية. وكان المسجد يستخدم لأمرين في هذه الحملة: لتحذير الناس من خطورة العمل التبشيري إذا تركت له حرية العمل بينهم، وللضغط على السلطات المحلية لوضع حد لهذه النشاطات، وكانوا أيضاً يستخدمون الاتصالات الشخصية والتي كانت ذات فائدة كبيرة في مجتمع كهذا في ذلك الوقت. وقد كان للكتّاب أيضاً دور كبير في مناهضة الأعمال التبشيرية، ولم تكن المطبوعات تستخدم كثيراً للدعاية، لأن طباعتها كان يجب أن تتم خارج البلاد كما أن عدد من يستطيعون القراءة كان ضئيلاً.

المطبوعات المتعلقة بالإرسالية

إن نشاط الإرسالية المحدودة في إصدار المطبوعات الهادفة للفت أنظار الناس وتهيئتهم لتقبل المسيحية كان يقابله نشاط واسع في الكتابات والمطبوعات التي تدور حول الإرسالية العربية وتاريخها ومشكلاتها والنواحي السياسية والاجتماعية والجغرافية المتعلقة بالمنطقة. وكان قادة الإرسالية وبخاصة (س.زويمر) يكتبون كثيراً وكانت كتاباتهم غنية بالمعلومات المفيدة مما جعل معلومات الناس في الغرب عن المنطقة تتأثر كثيراً بكتاباتهم ومن الصعب أن نتصوّر كيف تمكنت الإرسالية العربية من إصدار هذا الفيض الغزير من المطبوعات عن الإرسالية والمنطقة وعجزت عن كتابة المادة التبشيرية التي تؤثر في أبناء المنطقة وتساعد على تنصير أعداد منهم.

ومن المؤكد أن صعوبة اللغة كان لها دور في هذه النتيجة كما أن سهولة الكتابة باللغة الإنجليزية جعلت من الممكن لقادة الإرسالية أن يكتبوا عن الإرسالية العربية وعن المنطقة. ولا شك أن الدعاية والتأييد اللذين يمكن أن تحققهما الارسالية عن طريق هذه الكتابات في الغرب كانا سبباً قوياً لنشاطهم البالغ في نشر أخبار الإرسالية والإقليم بدلاً من العمل بما يعود بالفائدة على أهالي الإقليم أنفسهم.

أثر المطبوعات التبشيرية للإرسالية

كانت المطبوعات أسلوباً تبشيرياً أضعف المداخل التي لجأت إليها الإرسالية بما في ذلك المدخل الطبي والتعليمي والاتصالات الشخصية إلخ. ويرجع ذلك إلى عاملين رئيسين:

فمن ناحية كانت كمية المطبوعات ونوعيتها، كما سبق أن ذكرنا، محدودة. ومن ناحية أخرى فإن عرب المنطقة والذين هم من المسلمين

كانوا يملكون ثروة غزيرة من الأدب والكتابة الدينية المكتوبة بلغتهم. وحقيقة الأمر أن عرب ذلك الإقليم كانوا يملكون لغة ذات أدب غني بالنثر والشعر الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة لديهم. أما الانجيل فقد أشرف على ترجمته أناس لا يتقنون العربية والذي نتج عنه نصوص ذات مستوى منخفض عجزت عن التأثير في الناس. إن عرب هذه المنطقة لديهم دين يؤمنون به. وهم ينظمون شؤون معاشهم طبقاً لتعاليمه. وقد أكد (بول هاريسون) من كبار قادة الإرسالية على هذا الأمر بقوله:

«يتمتع العربي بعقلية متدينة، وهو أكثر تديناً من الأمريكي العادي»[٥٣].

ولهذا فإن أي كتابة مسيحية لابد أن تكون ذات مستوى رفيع لتتمكن من الوقوف أمام الأدب العربي والإسلامي في المنطقة.

ومن الأسباب المهمة التي أضعفت دور الأدب والكتابات كمدخل تبشيري هو أن أهالي المنطقة وزعماءها الدينيين كانوا يدركون جيداً أن هذه الكتابات هي هجوم مباشر على دينهم، وهو موجه ضد تراثهم وثقافتهم. ولهذا فقد كان ردهم على الكتابات المسيحية بشكل عام سلبياً[٥٤]. لكنه كان محدوداً حيث إنهم لم يدركوا الأبعاد الأخرى للنشاط التبشيري، خاصة النشاط السياسي.

الـهَوامــــش

1. Harrison, P. Doctor in Arabia, op. cit., p. 30.
2. New English Bible, op. cit., Matt, 28 : 19.
3. ibid. Mark, 13 : 10.
4. Zwemer, M.S., Evangelism To-day, Message not Method, N. Y., p. 14.
5. ibid., p. 14.
6. ibid., p. 14.
7. ibid., p. 16-17.
8. مقابلة الكاتب مع القس لويس اسكدر الابن، سبتمبر ١٩٧٦، نيو برونزويك، نيوجيرسي، الولايات المتحدة
9. المصدر السابق
10. Dr. Mylrea Stanley, N.A., Sept. - Dec., 1916, p. 15.
11. ibid., June-Sept., 1895, p. 6.
12. ibid., Jan-March and April-June, 1895, pp. 7-8.
13. Van Ess, John, Ibid., April-June, 1903, pp. 12-13.
14. ibid., Oct.-Dec., 1897, pp. 4-5.
15. ibid., July-Sept. 1902., p. 7.
16. Al-Hamer, Y.A., op. cit., p. 7.
17. مبارك الخاطر «ابن مهزع»، ورقة قدمت الى المؤتمر الاسلامي في ليبيا ١٩٧٣–٦
18. Al-Noory, A., op. cit., p. 58.
19. N.A., April-June, 1901, p. 15-16.
20. مقابلة الكاتب للمواطن علي حسين، الكويت، يوليو ١٩٧٧
21. Rev. Pennings, J. Coerrit, Arabia Calling, op. cit., No. 330 Winter 1952-53, p. 7.
22. N. A., op. cit., No. 161, 1932, p. 8.
23. Arabia Calling, No. 235 Spring 1954, p. 11.

24. Ibid., p. 11
25. **N. A.,** Jan. - March, 1911, pp. 8, 12.
26. Ibid., April - June, 1914, p. 3.
    See also Ibid., Jan - March, 1901, p. 5.
27. Ibid.
28. Ibid., No. 161, 1932, pp. 7 - 8.
29. مقابلة الكاتب مع حيدر خليفة، الكويت، نوفمبر ١٩٧٤
30. **N. A.,** op. cit., Jan. - March, 1907, pp. 4 - 5.
31. Ibid., 1911, pp. 16-17. See also Ibid., 1916 Dr. Mylrea, p. 15.
32. Rev. Hooton s.w., op. cit., pp. 95-6.
33. Van Ess, Dorothy, **History of the Arabian Mission,** op. cit., p. 5.,
34. Mason and Barny, op. cit., p. 126.
35. Harrison, **P. Doctor in Arabia,** pp. 277-80.
36. Hooton, S. W., op. cit., pp. 95-97.
37. مقابلة الكاتب مع يعقوب شماس، الكويت، نوفمبر ١٩٧٤
38. Van Ess, D., **History of the Arabian Mission,** op. cit., pp. 6, 9, 10, 12.
39. I. O. R., R/15 OC 3/66, 14 Dec. 1930, See also Ibid dated 20 Jan., 1931
40. مقابلة الكاتب للسيدة خيرية حيدر، البحرين نوفمبر ١٩٧٤
41. مقابلة الكاتب مع د. بنينجز، البحرين، نوفمبر ١٩٧٤
42. مقابلة الكاتب مع السيدة نايكرك، البحرين، نوفمبر ١٩٧٤
43. مقابلة الكاتب مع القس لويس سكدر الابن، الكويت، أكتوبر ١٩٧٤
44. Rev. Scudder, L. Jr.., **Muslim-Christian Interaction,** 1973, p. 3., quoting from Dr. Harvey Stwal, **Doctor Dissertation,** Part II, p. 151 University of Utah, Salt Lake City, Utah, U. S. A.
45. Rev. Scudder, L. Jr.., **Muslim-Christian Interaction,** 1973, p. 4. paper.
46. Rev. Zwemer, S., op. cit., **Arabia: the Cradle of Islam,** p. 316.
47. Samra, Mahmud, op. cit., p. 23-24.
48. Rev. Hooton, op. cit., p.130.

49. Mason and Barny, op. cit., pp. 91-92.
50. Rev. Barny, F., N. A., Oct. - Dec., 1905, p. 4.
51. ibid., p. 5.
52. Harrison, P., M. W., Vol XII, July 1922, No. 3., H.Y., p. 225.
53. ibid., pp. 225-26.
54. ibid., pp. 228 - 29.

الفصل السادس
النشاط السياسي للمبشرين

العمل التبشيري والاستعمار:

كان الاستعمار نتيجة لحدثين هامين وقعا في أوروبا. أولهما الاكتشافات الجغرافية في القرن السادس عشر، وثانيهما: الثورة الصناعية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وبناء على ذلك بدأت الدول الاوروبية مغامراتها التوسعية في العالم في القرن التاسع عشر بحثا عن أسواق جديدة لبضائعها وعن مصادر جديدة للمواد الخام.

عندها بدأ المبشرون أيضا أعمالهم التبشيرية في البلاد غير المسيحية التي وقعت تحت النفوذ الاستعماري. وقد وجد الجانبان أن بينهما هدفا مشتركا يجب أن يتعاونا لتحقيقه. والواقع أن زعماء الفريقين كانا يحملان فكره دينية سياسية مشتركة. وقد تكونت هذه العقلية الغربية نتيجة للتطورات الثقافية التي شملت الأحداث السياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية منذ فجر تاريخهم ابتداء بالحروب الصليبية وعصر النهضة والاصلاح الديني والاكتشافات الجغرافية والثورة الصناعية والاستعمار في القرن التاسع عشر. وقد أحدثت هذه الأمور تغييرات طبيعية وثقافية واقتصادية وسياسية عميقة والتي كانت مصحوبة دون شك بتغيرات عظيمة مماثلة في الجانب الروحي.

وبالرغم من مرور السنين الطويلة ومن هذه التغيرات العميقة. فان العقلية الغربية في القرن التاسع عشر ظلت تحمل طابع التفكير الصليبي، ولهذا فان المبشرين والقوى الاستعمارية كانوا يعملون معا.

ومن المفيد أن نحاول التعرف الى طبيعة العلاقة التي كانت تربط

بينهما، وكيف رأى المبشرون أن الاستعمار هو الجسر الذي يمكنهم بواسطته العبور الى البلاد غير المسيحية؟ لقد ذكرت السيدة كرو (Crowe) بهذا الخصوص ما يلي:

«انها لحقيقة جغرافية ان التوسع الاستعماري كان الاشارة المباشرة لبدء العمل التبشيري» [١] .

وقد أكد السيد دي لاسي أوليري (De Lacy O'Leary) ذلك بقوله:

«ان النفوذ الغربي هو أيضا مسؤول عن وجود المبشرين المسيحيين» [٢].

«الواقع ان هناك ارتباطاً بين الاساليات المسيحية والمؤسسات الاستعمارية. ان فتح العالم امام الاستعمار قد أتاح الفرصة كذلك للكنائس المسيحية الغربية للتفكير في الارساليات التبشيرية في البلاد الأجنبية» [٣] .

وقد أكد جيمس باركس على «ان مصالح المبشرين الدينية قبل الحرب العالمية الأولى كانت تجد عونا كبيرا في وجود القناصل الاوروبيين الذين كانوا يؤمنون لها قدرا معينا من الهيبة السياسية» [٤] .

ولكن جيمس كانتين وهو من رواد الارسالية العربية الأمريكية عبر عنها بالطريقة التالية:

«من المؤكد ان البرتغاليين .. الذين نهبوا سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية لم يفعلوا شيئا يحبب بتعاليم الرب . . . وقد خضع الساحل الشرقي من عمان طوال مئة وخمسين عاما لحكومة مسيحية مطلقة. ان القصة بمجملها محزنة لنا، حيث لم يكن هناك تأثير ديني مسيحي» [٥].

وقد ختم ستيفن نيل (Stephen Niell) هذه الآراء بعبارة واحدة عندما قال:

«ونتيجة للارساليات المسيحية في عهد الاستعمار فان الكنيسة

المسيحية موجودة في كل ركن من أركان الدنيا» (٦).

هذه بعض الأمثله من آراء المبشرين عن طبيعة العلاقة بين العمل التبشيري والاستعمار. ويمكن أن نخلص من قراءة هذه الآراء الى أن هناك ارتباطا بين الاثنين. وقد خدمت القوى الاستعمارية العمل التبشيري في اتجاهين:

- تمهيد الطريق أمامها لممارسة نشاطها (٧).
- توفير الحماية لها في ميدان عملياتها.

ويرى المبشرون ان وجود عملهم وحمايته لم يكن ممكنا بدون مساعدة القوى الاستعمارية. ولم يكن هذا الدعم بدون ثمن. فقد وجد المبشرون أنفسهم متورطين في السياسة عن طريق تقديم التفاصيل عن الاوضاع السياسية والاجتماعية وغيرها في المنطقة في تقارير منتظمة إلى السلطات في بلادهم. وقد مكن اتصال المبشرين المباشر بأهل البلاد وبزعمائهم من الحصول على معلومات لم تكن القوى الاستعمارية تستطيع الحصول عليها بدونهم.

وقد أجبرت هذه العلاقة الأهالي على مقاومة الاستعمار والتبشير بالمستوى نفسه دون أي تمييز بينهما، لقد كان الاثنان غربيين ومسيحيين، وكان المبشرون يعملون تحت جناح القوى الاستعمارية، واستمر هذا الارتباط السياسي حتى الحرب العالمية الثانية، ولكنه بدأ يضعف باضمحلال الاستعمار التقليدي. لقد وضعت هذه المرحلة الجديدة حدا للروابط المشتركة الطويلة بين التفكير السياسي والديني عند الغربيين والذي بدأ مع نشوء الاستعمار الغربي في العصر الحديث. ولكن هذا لا يعني على أية حال ان الصلات بينهما قد انقطعت تماما وسيتضح لنا ذلك من دراسة العلاقة بين الارسالية العربية والقوى السياسية في

منطقة الخليج العربي. ولا بد من اضافة نقطة أخيرة قبل التقدم في هذا البحث وهي ان هذا التورط السياسي لم يكن ليشمل المبشرين جميعا اذ إن بعضهم كانوا غير راضين عن الاستعمار في شتى صوره وأشكاله ولكن هؤلاء كانوا قلة ولم يكونوا قادرين على التأثير في الروابط بين ارساليتهم والقوى الاستعمارية في وقت كان كل جانب يحتاج الى معونة الجانب الآخر. يضاف الى ذلك المفهوم الذي كان يحمله معظم المبشرين: وهو أن الاستعمار هو الذي فتح أبواب العالم على مصراعيها أمام العمل التبشيري: وان الحضارة الغربية هي حضارة مسيحية والتي يجب ان تصل الى العالم عن طريق التعاون بين المؤسسات السياسية والمؤسسات الدينية.

الارسالية العربية الامريكية والقوى السياسية في المنطقة:

لقد بدأت الارسالية نشاطها في المنطقة في وقت أصبحت فيه العلاقات بين القوى المختلفة معقدة وصعبة. ودخلت القوى المحلية والقوى العالمية في صراع حاد للسيطرة على هذه المنطقة الهامة من العالم (منطقة الخليج العربي). لقد أدى هذا الصراع الى القضاء على الامبراطورية العثمانية واخضاع الوطن العربي لنفوذ القوى الغربية، وكان عمل الارسالية حساسا في تلك الفترة الحرجة ولكنها نجحت في الخروج منها، ووجدت مجالا جيدا لنشاطها في ظل السيطرة الغربية.

وكانت القوتان الرئيستان في المنطقة هما السلطات العثمانية والبريطانية، وكانت حدة الصراع السياسي بينهما تتزايد الى أن بلغ حدا ينذر بالانفجار عندما بدأت الارسالية عملها في منطقة الخليج العربي. وما من شك في أن هذا الصراع قد ترك بصماته على نشاط الارسالية، حيث وجود السلطات التركية في جنوب العراق والسلطة البريطانية في

منطقة الخليج. وقد كان لهذا الموقف أثر كبير في الحد من نشاط الارسالية وأدى الى نشوء علاقة خاصة بين الارسالية وبين هذه القوى السياسية. فالسلطات التركية أولا كانت تسيطر على جميع البلاد العربية كسلطة اسلامية، وكان لهذا أثر سلبي في جميع أنواع العمل التبشيري في البلاد. والواقع ان الصدام بينها وبين هذه السلطات بدأ بافتتاح أول محطة تبشيرية لها في البصرة، وفي أثناء ذلك أصبح للاستعمار البريطاني نفوذ كبير في المنطقة التي ستكون المسرح الحقيقي لنشاط الارسالية العربية التبشيري، وكان للاستعمار البريطاني موقف خاص من هذا النوع من النشاط، فقد كان يهمه أن يعلم ما اذا كان هذا النوع من النشاط سيؤدي الى احتمال مجيء مواطنين امريكيين للاستقرار في المنطقة والذي كان من وجهة نظرها سيمهد الطريق أمام الادارة الامريكية لتحقيق أطماعها السياسية هناك، وفي الوقت ذاته كان المسيحيون بحاجة الى مساعدتها والذي حمل السلطات البريطانية على ان تنظر اليهم بعين العطف كونهم مسيحيين بروتستانت غربيين.

وكانت الارسالية تجد نفسها في موقف حرج عندما يحتدم الصراع بين هاتين السلطتين، ولكن هذه المشكلة سرعان ما تلاشت بانهيار الامبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الاولى. ومنذ ذلك الحين خضعت المنطقة للنفوذ البريطاني، فأصبحت علاقات الارسالية ترتبط بالنفوذ البريطاني فقط. وكان الهدف الرئيس لهذه العلاقات هو تأمين وجود العمل التبشيري في المنطقة ومساندته. هذا الهدف يتطلب أيضا اقامة علاقات طيبة مع الحكومات المحلية: وقد اضطر هذا الموقف السياسي المعقد الارسالية لانتهاج مسلك يبتعد كثيرا عن مهمتها الأساسية كقوة تبشيرية. والواقع ان هذا المسلك كان يهدف الى خلق مناخ ملائم لأعمالها التبشيرية. ولا بد من معالجة علاقات الارسالية

العربية بالقوى السياسية في المنطقة بشيء من التفصيل.

علاقات الارسالية مع السلطات التركية:

كانت الارسالية العربية في بادىء الأمر تتعامل مع السلطات العثمانية في البصرة التي أقامت فيها محطتها وقاعدتها الاولى. وكانت هذه المنطقة كجزء من العراق واقعة تحت النفوذ التركي عندما بدأت الارسالية نشاطها هناك، ولم تكن الارسالية تتوقع أن تلاقي أية صعوبات رئيسة على يدي السلطات العثمانية لأنها كانت تمر في ذلك الوقت بفترة من الضعف. وتحدد اعتراض السلطات التركية الرئيس بأن أطباء الارسالية يجب أن يحصلوا على شهادة دبلوم تركية ليسمح لهم بمزاولة العمل هناك؛ كما ان هذه السلطات كانت تخشى ان يكون للمبشرين علاقات سياسية مع السلطات البريطانية والتي كانت العدو الرئيس للعثمانيين في ذلك الوقت.

ان موقف السلطات التركية لا يسمح للمبشرين بمهاجمة الاسلام أو القاء الخطب ضده أو بيع أو توزيع اية منشورات ضد الاسلام في الاماكن العامة. وكانت تعتبر هذا أمرا طبيعيا لأنهم كانوا يحكمون البلاد باسم الاسلام، وكانوا يخشون ان يكون وراء هذه الاعمال التبشيرية أهدافا سياسية. وقد سبب هذا الموقف بعض المتاعب للارسالية ولكنها لم تكن من الخطورة بحيث تهدد العمل التبشيري في المنطقة.

وما من شك في أن وضع الارسالية القلق في ذلك العهد كان بين المشكلات التي واجهتها، ولكنها كانت تدرك ان مستقبل المنطقة سيكون في أيدي السلطات البريطانية، ولهذا فإنها رسمت سياستها على هذا الأساس أي ان تتعامل مع السلطات البريطانية اكثر من تعاملها مع أية جهة أخرى. وموقفها هذا كان طبيعيا جدا بسبب التعاطف الكبير بين

القوى الاستعمارية الغربية وبين المبشرين: ولأنهم كانوا يستطيعون الحصول على حمايتها والتعاون معها، وقد أكد هذا الشعور الرسالة التي تلقتها الارسالية من وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ الخامس من نيسان (ابريل) سنة ١٩١٠ جاء فيها:

« ان حكومة صاحب الجلالة تتعاطف تعاطفا تاما مع مشروع الارسالية الامريكية في مسقط» (٨).

وقد واجه نشاط الارسالية بعض الصعوبات في المناطق الخاضعة للسلطات التركية، ولكن عمل الارسالية كان يتصف بالمرونة كي تتمكن من البقاء وتصل الى هدفها بالتأثير في منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية، ولذلك فإنها لم تتخذ مواقف متشددة من هذه السلطات في أي ظرف من الظروف لأنها لم تكن تملك القوة التي تمكنها من الوقوف في وجه السلطات في تلك الانحاء كما لم تكن ترغب في الدخول في نزاعات قد تضع حدا لنشاطها التبشيري كلية وتنحرف بها عن هدفها الأساس وهو الهدف الديني.

والحقيقة ان السلطات التركية كانت تخشى النشاط التبشيري، ولكنها لم تتخذ أية اجراءات ضده لأنها كانت تعلم ان المبشرين كانوا يعملون بصفتهم رعايا للبلاد التي ينتمون اليها وتحت حماية علم بلادهم. وقد حافظت الارسالية العربية على وجودها بسبب جنسيتها الامريكية لأن نزاع السلطات التركية الحقيقي كان مع السلطة البريطانية وليس مع السلطة الامريكية، وعندما كانت تعترض المبشرين أية صعوبات يلجأون الى قنصليتهم طلبا للمعونة والتي كانت تقدم لهم في العادة وتوفر لهم الحماية اللازمة.

ولم تقف الصعوبات التي لاقتها الارسالية في البصرة امام نشاطها

في منطقة الخليج ابتداء بالبحرين التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني، لكن الارسالية كانت تقوم بنشاطها في غاية الحذر بسبب الاوضاع السياسية الحساسة في المنطقة في ذلك الوقت.

علاقات الارسالية بالسلطات البريطانية :

عندما بدأت الارسالية عملها في المنطقة كان النفوذ البريطاني ينمو تدريجيا الى أن تمكن من السيطرة على المنطقة بكاملها. وكان خصمه الرئيس في الشرق هو الامبراطورية العثمانية، ولهذا فقد كانت تهتم بكل نشاط يأتي من المناطق التي تسيطر عليها. وحيث ان نشاط الارسالية قد بدأ من البصرة فقد اهتم البريطانيون كثيرا بنشاطها هناك وكانوا يخشون من أمرين: الأول، هل يمكن ان تقبل السلطات العثمانية بمثل هذا النشاط بدون مقابل؟ والثاني: هل يمكن ان يكون هؤلاء المبشرون الامريكان بداية لنفوذ امريكي يخطط له في المنطقة؟ ولهذا كان موقف السلطات البريطانية منهم هو السماح لهم بالعمل مع وضعهم تحت سيطرتها التامة. كما انها حاولت ان تقدم خدمات طبية مشابهة لخدماتهم لاهالي المنطقة. وكانت وجهة نظرهم هي ان توفّر هذه الخدمات سيجعل من الوجود الامريكي أمرا لا مبرر له في المنطقة.

وقد وضعت هذه السياسة موضع التنفيذ في عمان عندما طلب سلطان عمان تزويد بلاده بالخدمات الطبية في سنة ١٩٠٠، ويبدو ان هذا الطلب جاء بتأثير النفوذ البريطاني وبمشورتهم حيث قدمت بعثة طبيّة هندية لهذا الغرض ووضعتها الحكومة البريطانية تحت اشرافها وفي تلك السنة نفسها ايضا أوقفت الحكومة البريطانية مجلس الطب الصحي في البحرين عن العمل. وفي عام ١٩٠٥ انتقلت المسؤولية الى معتمدها في تلك المنطقة بعد انتشار وباء الطاعون في الجزيرة. وقد شهد ذلك العام

بناء مستشفى فكتوريا التذكاري، والذي انشأته السلطات البريطانية في البحرين. وفي عام ١٩٠٤ قامت المعتمدية البريطانية أيضا بافتتاح صيدلية وعيادة خارجية في الكويت [٩]. والوقع ان جميع الانشطة الطبية التي اقامتها السلطات البريطانية جاءت ردا على أعمال الارسالية العربية لكي تثبت عدم وجود أي مبرر للوجود الامريكي في المنطقة مع ان هذه الخدمات كانت بشكل رئيس موضوعة تحت تصرف الجنود والمواطنين البريطانيين وتقدم لهم الخدمات الطبية اللازمة.

ولكن هذه السياسة لم تضع حدا لنشاط الارسالية العربية، ولهذا فكرت السلطات البريطانية بوضعها تحت اشرافها التام. ويتضح هذا من رسالة الكابتن شكسبير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت والمؤرخة في الثالث من آب (أغسطس) سنة ١٩١٠ والتي جاء فيها :

«من وجهة نظرنا الخاصة فإنني أقر بأن هذا الاقتراح لن يكون أبدا ضارا بمصالحنا، بل انه سيساعد على دعم موقفنا في الكويت بشكل لم يسبق له مثيل. ويجب ان تبقى الارسالية في هذه الظروف تحت حماية الحكومة البريطانية» [١٠].

ويبدو ان السلطات البريطانية كانت تعتبر نشاط الارسالية اكثر من مجرد عمل تبشيري. ويؤكد ذلك الرسالة الموجهة من بيرسي كوكس المقيم البريطاني في الخليج الى وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ١٥ آب (أغسطس) ١٩١٠ والتي جاء فيها:

«ان ارسالية الكويت (فرع الارسالية العربية) ستكون مستقلة تماما عن ارسالية البصرة . . . والارسالية تقدر وضع البريطانيين الخاص في الكويت» [١١] .

ويتبين من هذه الرسالة ان السلطات البريطانية كانت تشك في فرع

الارسالية في البصرة، وقد تأكد ذلك ايضا في «تعهد الارسالية» والذي جرى توقيعه في اجتماعها السنوي في البحرين في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٠. سبق أن أتينا على ذكر هذه الوثيقة في فصل سابق.

وقد جرى اصدار هذا التعهد بسبب الضغوط البريطانية على الارسالية وخاصة في الكويت التي تقع على الحدود الجنوبية للاراضي العراقية.

والحقيقة ان السلطات البريطانية قد عارضت سياسة الشيخ مبارك في بأدى الأمر بالسماح للارسالية بالعمل في الكويت ولكنها لم تفرض رأيها عليه وترغمه على عمل ما لا يريد، بسبب وجود معاهدة بين الطرفين وقعت في عام ١٨٨٩ والتي أصبحت الكويت بموجبها تحت الحماية البريطانية. وقد تعلمت السلطة البريطانية درساً بعدم التدخل من خبرتها في مسقط . اضف الى ذلك أنها كانت حريصة على نيل صداقة حاكم الكويت بسبب موقع بلاده على رأس الخليج العربي في وقت كان الصراع بين البريطانيين والعثمانيين على أشده قبل الحرب العالمية الاولى.

لقد كان أهم ما يعني البريطانيين: هل موقف المبشرين معاد للسياسة البريطانية أم لا، وقد جرى التأكد من ذلك في عدد من التقارير الرسمية والرسائل التي كان معظمها سريا. والرسالة التالية الموجهة من المعتمد السياسي البريطاني في المنطقة الى نائب المقيم البريطاني في منطقة الخليج توضح هذا القلق البريطاني حول هذا الأمر، جاء فيها:

«إنني على يقين من أن موقف بعض من قابلتهم من المبشرين لا يتصف بمودة حقيقية، وأي فرد يحمل مشاعر معادية للبريطانيين يجد فرصة كبيرة للاساءة الينا نظرا لما للارسالية من تأثير عن طريق المستشفى او المدرسة، ومن الامور التي يصعب اكتشافها او محاربتها الزيارات التي تقوم بها المبشرات الى الحريم. ويبدو ان الحكومة

الامريكية على علم . . . بنشاطات الارسالية العربية . . . وأي فرد من اعضائها يسبب متاعب بخصوص الحرب فان على جميع أفراد الارسالية ان يتركوا المنطقة . . . ومن المناسب الوصول الى اتفاق مع حكومة الولايات المتحدة لتحذير الارسالية العربية من ان للحكومة البريطانية وضعاً خاصاً في الخليج (الفارسي)، وأنه عندما يقوم المبشرون بعمل يسيء للمصالح البريطانية يجب عندها ان يتعرضوا للسحب» [١٢] . (انظر الملحق رقم ٢).

وفي هذا الموقف انعكاس نشاط الارسالية العربية التبشيري على المسؤولين البريطانيين في المنطقة، لقد جاء رد الفعل هذا من أولئك الذين يخشون أن يكون لهذا النشاط هدف مزدوج ديني وسياسي وخصوصا ان بريطانيا نفسها قد مرت بمثل هذه التجربة، فقد كان هناك الجنرال هيج Haig على سبيل المثال والذي كان شخصا عسكريا وسياسيا ومبشرا في آن واحد قد زار سواحل الجزيرة العربية وكان وراء فكرة التبشير المسيحي في تلك المنطقة [١٣] .

ويقي خوف البريطانيين من النشاط التبشيري الامريكي قائما، وعقدت بعض عناصر مخابراتهم صلات وثيقة معهم ليعرفوا بالضبط موقفهم من بريطانيا ويتضح هذا جيدا من قراءة الرسالة التالية:

«الى : هـ . ف. بسكو (H.V. BISCO) المقيم السياسي البريطاني في الخليج (الفارسي).

سري ٥٠٥ رقم ١٨ من المعتمدية السياسية البريطانية في الكويت بتاريخ ١٨ شباط (فبراير) ١٩٣٢: في اعتقادي أن فان ايس افضل المبشرين هنا على الاطلاق، وهو يتفوق على الجميع في سعة الافق واتساع التفكير. وهو مؤيد للبريطانيين أيضا ولذلك فانه لا يتمتع بشعبية كبيرة لدى الباقين من جماعته» [١٤] .

يتضح من قراءة هذه الرسالة ان بعض المبشرين الأمريكان كانوا يؤيدون الانجليز في حين كان البعض الآخر ضدهم وربما يكون هناك البعض ممن كانوا حياديين. ولكن ما الذي يحدث عندما يصبح احد المبشرين مؤيدا للبريطانيين؟ ما من شك ان هذا يعني تورّطه في السياسة حين يحاول جاهدا ان يثبت للسلطة انه ليس معاديا لها. وقد أدى ذلك الى تورّط المبشرين في السياسة لكي يبقوا ويعملوا في المنطقة، وهذا واضح من هذا التقرير الهام الذي كتبه الدكتور بول هاريسون، وهو واحد من أنشط قادة الارسالية العربية قال فيه:

« .... أما فيما يتعلق بالاوضاع السياسية فان أقوى شيخ في المنطقة على الاطلاق هو حمدان شيخ «ابوظبي». انه رجل فريد من نوعه، كان متعاوناً مع الحكومة البريطانية الى درجة انه استحق التقدير بنظرهم ... من تلك الحكومة ... أما من الناحية الظاهرية فاننا لا نجد شيئا سوى التعاون مع الحكومة البريطانية ولكن ليس من الصعب ان نرى ان هذا التعاون مشوب بشيء من التّحفّظ. فمن ناحية هناك تخوف من ازدياد النفوذ البريطاني لانهم يشعرون ان تفوقهم يعني اختفاء العبودية، وهذا الشعور يقتصر بشكل كبير على الطبقة العليا الضئيلة ... ان الهيبة البريطانية، على أية حال، تعاني كثيرا بسبب ممثل الحكومة هناك ويرجع اليه السبب الى حد كبير في أن الاحترام والاعجاب الذي يجب أن يصاحب الولاء يكاد يكون معدوما. وبغضّ النظر عن صحة ذلك أو عدمه، فانه قد نجح في تكوين انطباع بأنه قادر على تحقيق كل ما يريد » (١٥).

وتشير هذه الرسالة الى أن الارسالية متورطة على نحو مباشر في الامور السياسية للمنطقة، وهذا الأمر لا يزال بحاجة الى حسم. ان هذا التقرير قبل كل شيء هو تقرير سياسي بكل ما في الكلمة من معنى،

والسؤال هو : ما هي العلاقة بين نشاط الارسالية الانساني والقضايا السياسية؟ وما هي الفائدة التي تعود على الارسالية عندما يقوم الدكتور هاريسون كطبيب بكتابة تقرير للسلطات البريطانية عن الشيخ حمدان حاكم «أبوظبي» يقول فيه انه حاكم ذكي ذو ميول للحكومة البريطانية الخ ...؟!

هناك احتمالات عدة لتفسير تقرير الدكتور هاريسون: الأول، ان هناك اتصالا وثيقا في عقول ذلك الجيل من المبشّرين بين الفكر الديني والفكر السياسي الامبريالي، ولذلك فقد كانوا يشعرون بأنهم يجب ان يتعارفوا في كلا الميدانين السياسي والديني بالرغم من انهم كمبشرين يدّعون أن لهم أهدافا مختلفة، إضافة الى انهم كأناس متعلّمين قادمين من بلاد منفتحة فانهم لا يستطيعون أن يفصلوا أنفسهم عن الحياة الثقافية والتي تعتبر السياسة جزءا منها. ولكن تقرير الدكتور هاريسون يبين بوضوح انه قد انحاز الى جانب الاستعمار البريطاني كعميل ينصح هذه السلطات بكيفية التعامل مع شيوخ المنطقة، ويقّدم لها التفاصيل عن الاوضاع السياسية في المناطق التي قام بزيارتها. والثاني، كما أوضح القس لويس سكدر الابن فان الدافع من وراء مثل هذا التقرير هو ان الدكتور هاريسون، نظراً لشكوك السلطات البريطانية في النشاط التبشيري، أراد أن يثبت لها ان موقف الارسالية غير معاد للسياسة البريطانية لتسمح للارسالية بالبقاء والاستمرار في عملها التبشيري في هذه المنطقة [١٦]، ولكن تفسير القس سكدر لا يكفي لتبرير تورط الارسالية السياسي لأنه من الخطأ الاعتقاد بأن هذا التصرف سيقضي على شكوك السلطات البريطانية في نشاط الارسالية لأن مثل هذا الموقف قد يؤكد للسلطات البريطانية تدخل الارسالية بالقضايا السياسية واحتمال انها تلعب دورا مزدوجا بالعمل للمصالح البريطانية والامريكية في آن واحد، إضافة الى

ان هذا النشاط يتعارض مع الأهداف الدينية والانسانية التي يجاهر بها المبشرون إلا إذا كانوا يعتبرون مثل هذا النشاط هو أحد أهدافهم الانسانية. إن هذا التقرير يبين تورّط الارسالية في خدمة الاستعمار. لقد أقدمت السلطات البريطانية على اعادة النظر في سياستها هناك، حيث «بدأت في مدّ نفوذها على طول ساحل الخليج كما ذكر المعتمد السياسي في البحرين في رسالته الموجهة الى نائب المقيم البريطاني في المنطقة والمؤرخة في الرابع مع أيار (مايو) ١٩١٧ (١٧).

إن السماح للمبشرين الامريكان بالعمل في منطقة خاضعة خضوعا تامًا للنفوذ البريطاني لم يكن بدون مقابل. لقد تعاونت الارسالية مع السلطات البريطانية لأنها أدركت انها لا يمكن ان تضمن مستقبلها في المنطقة بدون هذا التعاون ولا تستطيع الحصول على موافقة الحكومة البريطانية للعمل هناك. ولم يكن هذا التعاون يقتصر على هذا التقرير فقط فقد حدث اكثر من ذلك في الكويت على سبيل المثال. فبعد ابرام المعاهدة البريطانية - الكويتية في عام ١٨٩٩ حاول المبشرون الأمريكان التدخل في القضايا السياسية عن طريق مساعدتهم لحاكم الكويت ضد عدوه الذي كان يقوم بهجمات متكرّرة على حدود بلاده من شبه الجزيرة العربية التي يحكمها ابن سعود. وقد ذكرت اليانور كالفرلي، وهي أول طبيبة في الكويت، وعضوة في الارسالية العربية، بأن المبشرين كانوا يعقدون اجتماعات متوالية مع الكابتن شكسبير المعتمد السياسي البريطاني في الكويت ليشرحوا له السياسة الامريكية (١٨). وأضافت أن الدكتور مايلري، وهو أحد أهم أعضاء الهيئة الطبية في الكويت، قد اصطحب الطيار البريطاني في عام ١٩٢٠ لاستطلاع جيش ابن سعود الذي كان يتحرّك لغزو الكويت. وكان الدكتور مايلري يلقي المنشورات من الطائرة على هذا الجيش والتي تطلب من المهاجمين

الانسحاب من أراضي الكويت وإلا فإن الطائرة ستهاجمهم [١٩]. كما ذكرت بأن الدكتور مايلري قد دعا لحضور اجتماع سياسي للقيادة البريطانية على ظهر سفينة حربية بريطانية كانت راسية في المياه الاقليمية للكويت وقد حضر الدكتور مايلري اجتماعات عدة من هذا النوع [٢٠]. والحدث الهام التالي الذي وقع أثناء الحرب العالمية الأولى في البصرة والذي يؤكد وجود تعاون بين المبشّرين والسلطات البريطانية فقد أشارت دوروثي فان إيس الى ذلك بقولها:

«. . . وبعد ذلك بأيام عدة اجتمع الشيوخ العرب الخمسة الكبار في المنطقة في غرفة المطالعة مع زوجي (جون فان إيس) وقد كتبوا بمساعدته ومشورته تصريحا بتأييد الحلفاء والذي سيكون ذا فائدة كبرى للقوّات البريطانية» [٢١].

لقد كان الباعث على هذه الأنشطة والتي كانت كلها سياسية اقتناع الارسالية بأن القوى الاستعمارية هي مفتاح للعمل التبشيري في البلاد غير المسيحية. وقد أكد بول هاريسون هذه الفكرة بقوله :

«إن أكبر رصيد سياسي للادارة الاستعمارية في اقليم ما هو سمعة طبيب الارسالية المقيم. وهكذا فإن الانجيل، بما له من تأثير في قلوب المسلمين يجب ان يتحمل وزر جميع شرور الاستعمار الغربي. إن المبشّر يؤمن في كثير من الأحيان أن الأمل الوحيد للانجيل هو في حماية الحراب الغربية. وما لم يحصل المبشّرون على حماية الحكومات الغربية بقوتها الحربية فان حياتهم ستكون مهددة، ولن يتمكنوا من اعلان الرسالة المسيحية» [٢٢].

والحقيقة ان الارسالية قد حصلت على دعم السلطات البريطانية في المنطقة، وكان المبشرون يرحبّون في منازلهم في جميع محطات

الارسالية بالعديد من البريطانيين الذين كانوا يعملون في المنطقة والعديد من الجنود البريطانيين في مستشفياتهم [٢٣]، وخصوصا أثناء الحربين العالميتين. ومن الأمثلة الأخرى على التعاون بين الارسالية والسلطات البريطانية ما ذكره صموئيل زويمر عن مساعدة البريطانيين له عندما قرّر ان يسافر الى داخل الجزيرة العربية، حيث ذكر:

«لقد تلطف الكولونيل موكلر (Mockler) المقيم البريطاني بمنحي جواز سفر خاص ولي الحق في استخدام مرافق من البوليس في حالة الضرورة»[٢٤].

ومع ان قلق البريطانيين كان لا يزال مصحوبا بالحذر، الا انه كان يلازم كل عمل من أعمال الارسالية حتى في الأمور التافهة، كما حدث عندما استقدمت الارسالية أجهزة الأشعة السينية للمرة الأولى فان المعتمد السياسي البريطاني في البحرين بعث برسالة الي المقيم السياسي في منطقة الخليج يعلمه بأن الارسالية العربية تفكر في شراء وحدة للاشعة السينية لاستخدامها في مستشفى البحرين [٢٥].

وما من شك ان السلطات البريطانية كانت قلقة بشأن نشاط الارسالية لأنها كانت لا تريدها ان تحرك الأهالي باعتبار ان نشاط الارسالية قد يؤدي الى توعية الناس بواقعهم خاصة ان التعليم كان أحد وسائلها. والحقيقة ان المبشرين عندما جاءوا الى منطقة الخليج العربي حملوا معهم مشاعرهم القومية ومزجوها بتفكيرهم الديني، ومن هنا جاء قلق البريطانيين فيما اذا كان لهذا التفكير أثر في وجودهم ام لا. ومن المفيد أن نعرف موقف المبشرين المتأخرين نحو العلاقة بين السلطات البريطانية والارسالية. لقد ذكر القس لويس سكدر الابن:

«ان هذه السلطات الاستعمارية تميل الى النظر الى المبشرين الامريكان كخطر دخيل على المصالح البريطانية في أي منطقة تتواجد

فيها. لقد كان البريطانيون يحملون هذه النزعة من الشك نحو كلّ ما يتصل بالارسالية العربية» [٢٦].

ومن الواضح ان موقف القس سكدر يختلف عن موقف رواد الارسالية، فهو ضد الاستعمار وكل نوع من انواع العلاقة معه ولكنه يعتبر العلاقة بين الطرفين كانت أمرا طبيعيا وهو يفسّر ذلك بقوله إن هناك رباطا ثقافيا بين البريطانيين والامريكان، وهذا العامل في نظره عامل هام فهناك اللغة المشتركة وشعور الاخوة بينهم كمسيحيين وغربيين، كما ان أعداد الفريقين كانت قليلة في المنطقة [٢٧]. ان ما يوحي اليه القس سكدر في تفسيره لتورط الارسالية في الشؤون السياسية في ذلك الحين هو ان الارسالية لم يكن لها غرض سياسي ولكنه فرض عليها. وهو في الواقع يعبر عن التفكير التبشيري المعاصر والذي كان قد تغيّر عما كان عليه في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وهكذا فان العلاقة بين الارسالية والسلطات البريطانية قد سمحت للارسالية بالبقاء ومتابعة نشاطها طوال كل هذه السنين. وقد لعبت هذه العلاقة أيضا دورا في فشل المبشرين لأن تورطهم السياسي جعل الناس ينظرون اليهم على انهم عملاء للسلطات الاستعمارية. ومن جهة أخرى فان هذه العلاقة قد ساعدت السلطات البريطانية في المنطقة بتزويدها بمعلومات مفيدة عن حياة السكان السياسية والاجتماعية وعن حكامهم. كما ان السلطات البريطانية كانت تستخدم منشآت الارسالية وخاصة أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

علاقات الارسالية بالحكومة الامريكية :

كانت الولايات المتحدة وانجلترا تعتبران نفسيهما أكبر ممثلتين للمسيحية البروتستانتية في العالم، ولقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر

التبشيري المنعقد في أدنبره عام ١٩١٠ وأقر المجتمعون أن هناك تأثيرات قوية تدفع الحكومات الى تبنّي سياسة تحد من حرية العمل التبشيري في المناطق الخاضعة لسيطرتها. وقد وضعت هذه السياسة موضع التطبيق ولكن بشيء من الحذر. وقد وجدت بعض هذه الحكومات أثناء الحرب العالمية الأولى أن من الضروري عدم فسح المجال أمام المبشرين من الجنسيات المعادية (٢٨). ولكن الحكومات، وبخاصة الحكومة البريطانية، لم تكن تطبق هذه السياسة ما لم تشعر بتورط المبشرين في السياسة المعادية لها.

أما فيما يتعلق بالارسالية العربية وعلاقاتها بالحكومة الامريكية، فان من الممتع أن نرى كيف استطاعت الارسالية اقامة علاقات طيبة مع السلطات الامريكية والبريطانية في وقت واحد.. لقد ذكر لوريمر:

«ان النشاط الامريكي في الخليج بقي على حاله حتى سنة ١٩٠٠ وفي تلك السنة جرى تعيين قنصل امريكي في البصرة. وفي احدى المرات سببت نشاطات الارسالية العربية في البحرين بعض المتاعب للسلطات البريطانية التي كانت مسؤولة عن سلامة المبشرين (٢٩).

وهناك ثلاث نقاط رئيسة تتصل بهذا الموضوع : أولا :

أن البريطانيين قد اقتنعوا بأن النشاط التبشيري يمكن أن يرتبط بالموضع السياسي عندما ذكر لوريمر Lorrimer أن الممثل القنصلي الامريكي قد عين في الوقت نفسه الذي بدأت فيه الارسالية أعمالها في البحرين التي سببت بعض المتاعب للسلطات البريطانية هناك.

ثانيا: لم يذكر لوريمر شيئا عن طبيعة المتاعب التي ذكرها وما اذا كانت سياسية أو غير سياسية.

ثالثا: لقد أكد لوريمر حماية البريطانيين للمبشرين والتي ساعدتهم بدون شك على العمل هناك لأنهم شعروا بأن القوى الاستعمارية تحميهم ولكن المبشرين كانوا يشعرون بأن الحماية الحقيقية هي حماية حكومتهم لهم. وقد رحب المبشرون بدخول امريكا الحرب العالمية الأولى لأن هذا سيوحد العالم الأنجلو - ساكسوني سياسيا ودينيا ويساعدهم على الاستمرار في نشاطهم (٣٠).

وقد حمل هذا الامر الولايات المتحدة على تبنّي سياسة حماية جميع الرعايا الامريكان في خارج البلاد سواء مبشرين أو تجارا. لقد كان في هذه السياسة تشجيع كبير للمؤسسات الدينية. ومن هنا يتبين أن حكومة الولايات المتحدة كانت أكثر حزما في التمسك بالايمان المسيحي وفي تشجيع المحاولات التبشيرية المسيحية في الشرق الأوسط وفي غيرها من الدول (٣١). وقد أكد جون دي نوفر على هذا عندما قال:

«ومن الامريكان العاملين في الشرق الأوسط المبشرون من الطوائف البروتستانتية المختلفة والذين تغلغلوا في أجزاء عديدة من المنطقة.

لقد كانوا يطلبون المعونات المالية والدعم الأدبي من وطنهم وكانوا المرآة التي يرى الامريكان الشرق الأوسط من خلالها، كما كانوا كثيرا ما يطلبون الدعم الدبلوماسي من دولهم ويحصلون عليه» (٣٢).

واستنادا لهذا فان من الواضح تماما وبدون أدنى مجال للشك ان المبشرين كانوا متورطين سياسيا، ولا يبدو هذا غريبا على ضوء التطور الاستعماري في نهاية القرن التاسع عشر أو بداية القرن العشرين. ولكن عندما نسمع تبريرا لهذا من أحد قادة الارسالية العربية في الوقت الحاضر فان هذا يوحي بأن العقلية السائدة في القرن التاسع عشر لا تزال حية بين مبشري اليوم والذي يظهر بوضوح من رد السيدة نايكرك

بخصوص تورط الارسالية العربية السياسي:

«اننا أحيانا نتورط في السياسة عندما تقول بلادنا أو تفعل شيئا لمصلحة العرب الذين نعيش ونعمل بينهم . . . لقد حاولنا أن نكون مواطنين صالحين وسفراء لبلادنا إضافة الى خدمة اللّه باخلاص بخدمتنا للانسانية»(٣٣) .

لقد اعترفت السيدة نايكرك بوجود روابط سياسية بين الارسالية والحكومة الامريكية وانهم يتورطون في السياسة عندما تفعل حكومتهم شيئا لا يتعارض مع مصلحة العرب كما يدعون. وهذه الكلمات في الواقع ذات صفة عامة، وليس من الواضح ما اذا كانت تعني انهم يؤيدون مواقف دولتهم أم لا، كما أن عبارة «في مصلحة العرب» تحتاج أيضا الى توضيح.

ومن المحتمل ان تفكير المبشرين وخلفيتهم قد جعلهم يعتقدون أن سياسة دولتهم كانت جيدة وصحيحة في وقت كانت هي ضارة بمصالح العرب. كما أن عبارة «إننا حاولنا أن نكون مواطنين صالحين ... وسفراء لبلادنا». غير واضحة أيضا !

هل لهذا الأمر أية أبعاد سياسية؟ وان كان الأمر كذلك فان هذا يعني أن المبشرين كانوا مرتبطين بسياسة الولايات المتحدة الخارجية ارتباطا جديا أم أنها تعني بهذا أن المبشرين يجب أن يحافظوا على مستوى جيد من الخدمات الانسانية كي يثبتوا للعالم الخارجي أن الشعب الامريكي يقوم بمساعدة الشعوب المتخلفة؟ وهذا الموقف على أية حال بعيد جدا عن هدف المبشرين الحقيقي والذي هو في جوهره ديني يهدف لخدمة الايمان المسيحي.

والواقع أن المبشرين كانوا يعملون في المنطقة بصفتهم مواطنين أمريكيين وقد استخدموا جنسيتهم مظلة لتحمي وجودهم وعملهم

التبشيري. وحدث مرة أن قبض أحد رجال البوليس الاتراك على السيد جيمس كانتين أحد رواد الارسالية في البصرة وعندما أخذ الى مركز الشرطة قال:

«لقد قبض هذا الرجل عليَّ في الطريق، وبما أنني مواطن أمريكي فليس له حق في ذلك، لقد سبب لي حرجاً وهو أمر خطير يسيء للعلاقات بين حكومتكم وحكومتي»(٣٤) .

ولم يكن السيد كانتين يستطيع أن يقول لو لم يكن متأكدا من حماية حكومته. وأكثر من ذلك عندما أتى السيد زويمر في أول الأمر الى مسقط ليفتتح فيها محطة للارسالية ساعده الوجود البريطاني على ذلك، كما يتضح من الآتي:

«وبسبب وجود قنصل بريطاني في تلك البقعة فان موقف السيد زويمر كان أقل صعوبة»(٣٥) .

وقد أكد اثنان من كبار رواد الارسالية المساعدة الفعالة التي كانت الدول الغربية تقدمها وهما: س.زويمر و ج.كانتين واللذان قالا :

«وكان يساعدنا كثيرا في هذا الخصوص العلاقات الودية بين الارسالية في ميدان العمل وبين القنصليات الامريكية والبريطانية»(٣٦) .

وهكذا، فان المبشرين كانوا يعملون في جو من الأمان بسبب الحماية التي تكفلها حكوماتهم لهم حتى في المناطق الواقعة تحت السيطرة البريطانية بسبب الترتيبات المعقودة بين بريطانية وامريكا في السياسة الخارجية، وبخاصة فيما يتعلق بالعمل التبشيري، كما سبق أن ذكرنا، ولكن كان يشوب هذه السياسة شيء من الحذر من جانب السلطات البريطانية خاصة عندما كان البريطانيون يشكلون القوة الوحيدة التي تسيطر سيطرة تامة على المواقع الاستراتيجية هناك وأهمها البحرين ومسقط.

والواقع أن التطورات الأولى في مسقط ومطرح كانت مشابهة لما حدث في البحرين والبصرة والكويت. فقد كانت السلطات البريطانية تشك في العمل التبشيري في مطرح، وقد احتج حاكم مسقط بشدة على نشاطهم ورفض في بادىء الأمر أن يسمح لهم بمتابعة العمل في مطرح. وجاء هذا الرفض بعد أن أرسل سلطان مسقط يبلغ القنصلية الامريكية بأن المبشرين قد قاموا بالتدابير لاستئجار منزل وافتتاح مستشفى في مطرح بدون الحصول على اذن منه. وقد أعلمهم في مطلع عام ١٩٠٩ بانه لن يوافق على مشروعهم المقترح ورجاهم أن يقتصروا في نشاطهم على مسقط[٣٧] .

والأسباب التي دعته لاتخاذ هذا القرار هي الآتية :

١ - إن الإرسالية لم تسع للحصول على إذن منه وقد كان يرى أنّ أي نشاط أجنبي في أرضه يجب أن يحصل على موافقته.

٢ - انه كان يخشى أن تتمكن الارسالية بخدماتها الطبية من التأثير في شعبه، وتحاول تحويلهم عن دينهم والذي كان يبدو له أنه هدفهم النهائي.

٣ - إنه كان يعتقد بسماحه لهم بتقديم الخدمات الطبية في مطرح سيكون من الصعب عليه ان يرفض طلبهم بالتوغل في المناطق الداخلية من البلاد للغرض نفسه، لأن توغلهم في هذه المناطق من شأنه أن يخلق له المتاعب.

٣ - وقد خشي أيضا من التعرض للضغط السياسي في حالة لجوء الارسالية لحكومة الولايات المتحدة الامريكية لإرغامه على الموافقة والذي من شأنه أن يؤثر في موقفه وعلاقاته مع السلطات البريطانية[٣٨].

وكان موقف الولايات المتحدة الرسمي من النشاط التبشيري في

مسقط واضحا من الرسائل التالية المتبادلة بين نائب القنصل الأمريكي بالوكالة في مسقط وفيصل سلطان مسقط وعمان:

«من نائب القنصل الامريكي بالوكالة في مسقط.

الى : سلطان مسقط

التاريخ ٢٣ مارس ١٩٠٩

سـيدي،

.. طبقا للقوانين الدولية الخاصة بحماية المبشِّرين، فان المبشِّرين الموفدين من الطوائف الدينية في الولايات المتحدة الى البلاد المحمّدية (أو) بلاد الوثنيين لهم الحق في الحصول على جميع أنواع الحماية التي يخوّل القانون الدولي هذه الحكومة بتقديمها الى المواطنين للاقامة في بلاد أجنبية لمزاولة أعمالهم المشروعة»[٣٩] .

يتضح لنا من هذه الرسالة حماية حكومة الولايات المتحدة ودعمها المباشر للمبشرين، وقد أصرّ السّلطان بقّوة في اجابته على قدرته تأمين الحماية للرعايا الأمريكان في بلاده بدون أي تدخّل من أية جهة. وكان رده كالآتي:

من سلطان مسقط ..

الى : نائب القنصل الأمريكي بالوكالة

التاريخ الثاني من ابريل ١٩٠٩، مسقط

ان هناك تفاهماً متبادلاً بيننا بخصوص السماح للآخرين بالتجارة والعيش هنا. وانني أحمي رعاياكم بكل عناية في جميع الأوقات وأزوّدهم بكلّ ما يشعرهم بالراحة فيما عدا الطبيب الذى يريد افتتاح مستشفى هنا وهذا ما لا استطيع السماح له به. وقد سبق أن قمت بالترتيبات اللازمة كي يقوم طبيب بتقديم العلاج المجّاني هنا في

مطرح ولا أظن اننا بحاجة الى أكثر من ذلك هناك»[٤٠] .

ولكن ردّ السلطان أدّى الى احتجاج أمريكي شديد اللهجة والذي يتّضح من ردّ القنصل الأمريكي التالي:

«من نائب القنصل الأمريكي بالوكالة . .

الى : سلطان مسقط

بتاريخ الثالث من ابريل سنة ١٩٠٩ مسقط

يشرفني أن أقول إنني أحتج بشدّة على هذا التمييز المهين ضد الأطباء الأمريكيين وحقوقهم في أراضي سموّكم»[٤١] .

ورداً على هذا الموقف الأمريكي كتب السلطان رفضا شديد اللهجة أيضا في رسالته لنائب القنصل الأمريكي بالوكالة والمؤرخة في الثالث من ابريل ١٩٠٩.

« إنني أرفض السماح للمبشّرين بافتتاح مستشفى في مطرح، بلّغ الحكومة الأمريكية انها لا تستطيع ارغامي على فعل ما لا أريد»[٤٢] .

والواقع أن الحكومة الأمريكية قد وقفت موقفا حازما في تأييدها للمبشّرين ومعارضة موقف سلطان مسقط نحوهم، كما يظهر بوضوح من الرّسالة التالية:

«من القنصل الأمريكي في مسقط . .

الى : سلطان مسقط

بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩٠٩

ان الحكومة الأمريكية تؤكّد أن حق الرعايا الأمريكيين في ممارسة الطب على أراضي جلالتكم قد ضمنته المعاهدة بين حكومة جلالتكم وحكومة الولايات المتحدة في سنة ١٨٣٣ . . . . . . يجب أن يحظى الرعايا الأمريكيون بالحماية في عمان . . . . وللمبشّرين الحق في الحماية

نفسها كغيرهم من رعايا الولايات المتحدة الأمريكية» (٤٣).

والواقع أن الأمر لا يتعلق بحق الأطباء الأمريكيين في ممارسة الطب في عمان ولكنه يتعلق باحتمال قيام هؤلاء الأشخاص بنشاط ديني بين عرب عمان، ويمكن تفسير موقف السلطان بأنه يتضمن رفضه لقيام المبشّرين بعمل ديني وقلقه من أن يحاول المبشّرون التدخّل في قضايا ادارية لصالح حكومتهم. ولم يكن يرغب في أن تعتبره الحكومة الأمريكية مسؤولاً عن حماية المبشّرين، كما يجب ان لا ننسى أثر النفوذ البريطاني على موقف السلطان.

والواقع أن السلطان قد اضطر للسماح للمبشرين بالعمل في أرضه بعد أن تعرّض للضغط الشديد، لقد انتهى المبشرون من بناء المستشفى هناك في عام ١٩١٠ واستمروا في العمل بدون مواجهة أية متاعب ملحوظة. وإضافة الى هذا فان السيد جون فان ايس - وهو أحد قادة الارسالية العربية البارزين في بداية عهدها - قد قام بدور سياسي في البصرة عندما عيّن قنصلا أمريكيا فيها أثناء الحرب العالمية الأولى، كما ذكرت دوروثي فان ايس:

«والآن وللمرة الأولى في حياته يتولى جون فان إيس منصبا حكوميا.

فقد طلب منه السفير هنري مورجانثاو (Henry Morganthau) في القسطنطينية (السفير الأمريكي) أن يتولى منصب القنصل الأمريكي في البصرة» (٤٤)*.

---

* إن تعيين المبشر جون فان إيس في هذا المنصب له دلالات سياسية:

أ - ذلك يعني أن الحكومة الأمريكية تأمل من المبشرين الكثير في تثبيت نفوذها.

ب - ان المبشرين يقومون بدور سياسي لصالح دولتهم مهما كانت تبريراتهم.

جـ - ان قبولهم لمثل هذه المناصب وخاصة في ظروف الحرب يعني تورطهم السياسي.

ولذلك، فان جميع هذه الحقائق - على طول تاريخ الارسالية الطويل في المنطقة - ترينا العلاقات المتينة بينها وبين الحكومة الأمريكية والبريطانية والتي سمحت للارسالية بالبقاء والعمل دون أن يكون هناك أي احتمال بأن يتعرض مستقبلها وعملها للخطر، ومن الضروري أيضا الاشارة الى الحقيقة التالية وهى أن الأمريكيين خاصة في ذلك الوقت بالذات لم يكونوا ليقدّموا للارسالية كل هذا الدعم لولا تأييد الحكومة البريطانية لأن النفوذ الأمريكي لم يكن قويا هناك حيث كانت المنطقة تخضع للسيطرة البريطانية.

علاقات الارسالية بالحكومة الامريكية:

ان العلاقة بين الارسالية وبين الحكومات المحلية يجب أن تقوم بشكل عام على المبادىء التي عبر عنها و. س. هوتون حيث قال :

«يجب أن يوجه المبشّرون عناية دائمة لعدم التدخّل في القضايا السياسية أو يحاولوا مضايقة السلطات الشرعية» (٤٥).

ولكن التجربة الفعلية كانت في الواقع مغايرة لما ذكره هوتون، لأن رغبة الارسالية «في البقاء والعمل» في المنطقة قد حملها على التدخل في القضايا السياسية، ولذلك كانت لها علاقات بالقوى السياسية في المنطقة ومن بينها الحكومات المحلّية، وكانت علاقاتها بهذه الحكومات تتطلب حرصا بالغا وكانت تقوم على الاعتبارات التالية :

أولا : لقد كان البقاء في المنطقة والاستمرار في العمل هو ما يشغل بال المبشرين وكان هذا يتطلب علاقات خاصة مع الحكومات المحلية.

ثانيا : كان يجب أن تبدأ هذه العلاقات باقامة صداقات مع الحكّام وعائلاتهم لتساعدهم عندما تواجههم المتاعب التي كانت

متوقعة من زعماء الدين المحليين أو من أي جهة أخرى، إضافة الى الحصول على الاذن بالعمل في المنطقة وفي المناطق الأخرى التي كانوا يخططون للوصول اليها.

ثالثا : ان الارسالية قد دخلت هذه المناطق عن طريق العلاقات الوثيقة مع الأسر الحاكمة هناك من خلال خدماتهم الطبّية لهم والتي أصبحت تدريجيا أمرا لا يمكن الاستغناء عنه، وخاصة في ذلك الوقت عندما لم تكن مثل هذه الخدمات متوفّرة في المنطقة. ونتيجة لهذا استطاع المبشرون الحصول على الحماية والموافقة على القيام بمهمّتهم مقابل هذه الخدمة. ويظهر من دراسة سلوك مبشري الارسالية العربية في منطقة الخليج العربي أنهم قد قاموا بدراسة هذا المجتمع بعناية قبل أن يبدأوا عملياتهم لأن هذه العلاقات الشخصية مفيدة جدا في المجتمعات القبلية، وكانت هذه الاتصالات حقّاً من الوسائل التى استخدمها المبشّرون في عملهم.

رابعا : وإضافة الى الخدمات الطبية التي كان المبشّرون يقدمونها للأسر الحاكمة فانهم أيضا كانوا يساعدونهم في حل بعض مشكلاتهم السياسية. لقد كانوا ينظرون الى المبشّرين على أنهم أناس متعلمون يمكن الاستفادة منهم ويقبلون مساعدتهم عندما يحتاجونها، وخاصة في وقت كانت المنطقة محرومة من الأشخاص المؤهلين في العلوم الحديثة. وقد اكّد السيد ادوين كالفرلي أحد أعضاء الارسالية في الكويت بعد الحرب العالمية الأولى التزام الارسالية بسياسة الحكومة في خلافاتها مع القبائل العربية (٤٦). وكان هذا الموقف أمرا لا مبّرر له وبعيدا غاية البعد عن أهداف الارسالية. لقد كان نزاع القبائل من القضايا السياسية المحلية البحتة، ويجب ألا يكون

لـهـا أيّـة عـلاقـة مطلقـا بـمـثل هـذه الـنزاعـات. كمـا ان مـن غـيـر الـمـفـروض ان تـتـدخل الارسـالـيـة فـي هـذه الـنزاعـات الـقبـلـيـة المحلية وتساعد طرفا ضد آخر، واذا كـان المبشرون يريدون ان يثبتوا تـأييدهم للحكومة فليس هنـاك حـاجة لسلوك مثل هذا السّبيل. وبـاعتبـار أن المبشرين يدّعون أنـهم قد جاءوا لأهداف دينية وانسانية فقط، فليس من مهمتهم التدخل في مثل هذه النزاعـات المحلّية حيث كان عليهم أن يفعلوا كل مـا فـي وسعهم للابتعـاد عن هذه الخلافـات ويساعدوا على ايجاد الحلول لفض الـخـلافـات بـين الأطراف الـمـتـنـازعـة ان لـم يـكـن هـنـاك بـد مـن التورط في الأحداث الجارية.

خامسا : وبين هذه الاعتبارات أن المبشرين يجب أن يكونوا في غاية الحرص على تفهم مواقف النـاس كي لا يسبّبوا المتـاعب للحـاكم مع زعمـاء الدين التقليديين من أهل البلاد. وهنـاك من كانوا يعتقدون أن العمل التبشيري كـان عملا خطيرا وان من واجب الحكومـات محـاربته، في حين أن الحكّام لم يكن لديهم مثل هذا الشـعـور لاعـتـقـادهـم بـأنـه مـن الـصعب اقـنـاع الـنـاس بـقـبـول الـمسيـحيـة، وان مـنـاطـقـهـم بـحـاجـة الـى الـخـدمـات الطبية التي يقدمـهـا المبشرون.

سادسا : للابتعاد عن هذه الأحداث المربكة فـان جهود الارسالية الرئيسة تركزت على الخدمات الصحية. والواقع أن طبيعة العلاقـات بين الارسـالـيـة والـحكومـات الـمـحلـيـة فـي الوقت الذي كـانت البلاد تـخضع للسيطرة البريطانية خضوعا تـامـا كـانت جزءا لا يـتـجـزأ من علاقـاتـهـا مـع السلطات البريطانية.

لقد تغيرت علاقـات الارسـاليـة بـهذه الـحكومـات المحلية تدريجيا

بعد التغيرات التي طرأت على المنطقة باكتشاف النفط وأصبحت الحياة أكثر تعقيدا وتحولت هذه الامارات الى دول مستقلة. إضافة الى هذا فان عمل الارسالية الرئيس أصبح يتركّز على المسيحيين الذين قدموا الى المنطقة بحثا عن عمل وعلى مزاولة الطب. كما تجدر الملاحظة أيضا أن العمل التبشيري هناك قد بدأ يموت تدريجيا والذي من شأنه أن أضحت العلاقات بين الارسالية والحكومات المحلية غير ذات شأن بالمقارنة بما كان عليه الحال منذ بداية نشاطهم الى نهاية الحرب العالمية الثانية. وشعر المبشرون بأنه من الصعب الاستمرار في هذه العلاقات المبنية على الاتصالات الشخصية ليس فقط بسبب صعوبة الاحتفاظ بمثل هذه العلاقات في الظروف الجديدة المعقّدة، ولكن أيضا لأن هذه الحكومات شعرت بعدم حاجتها لخدماتها لأنها أصبحت تملك خدماتها الطبية والتعليمية الخاصة والتي هي أفضل بكثير من الخدمات التي تملكها الارسالية. أضف الى ذلك أن الارسالية قد فقدت الأمل في التأثير الديني على الناس.

وباختصار يمكننا القول إن الارسالية قد تورّطت في القضايا السياسية للمنطقة مرغمة حينا ومختارة حينا آخر. والفكرة الأساسية التي كانت تلجأ الارسالية اليها لتبرير تورّطها هي المحافظة على البقاء، ولكن السبب الحقيقي، كما سبق أن ذكرنا، هو أن هؤلاء المبشّرين كانوا غربيين لهم مثل أعلى ديني وسياسي مشترك، وهذا المثل الأعلى كان في الواقع جزءاً من ثقافة تطوّرت منذ الحروب الصليبية واستمرت أثناء نهوض الاستعمار في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن

العشرين. وهذا الارتباط بين العمل التبشيري والاستعمار كان يقوم على الاعتقاد بأن العالم غير المسيحي الواسع سيكون مفتوحا أمام العمل التبشيري. لقد كان هناك نوع من التعاون والارتباط بين الفريقين بسبب العقلية الغربية السائدة في القرن التاسع عشر، وقد وجد هذا العمل التبشيري نفسه يتورّط في علاقات معقدة مع القوى الاستعمارية والحكومات المحلية. واستمر هذا التورط حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، بعدها تغيّرت الأوضاع في العالم فقد انهار الاستعمار التقليدي وحصلت دول كثيرة على الاستقلال وبدأت في تنمية نفسها، وعندها وجد العمل التبشيري نفسه في موقف صعب اصبح بحاجة للنظر الى الأديان الأخرى من زاوية مختلفة مع أن العمل التبشيري هناك كان يتلاشى تدريجيا وكان تورطه السياسي أحد الأسباب الرئيسة التي أدت الى هذه النتيجة. والتطور الحديث في العلاقات بين المسيحيين والمسلمين قد أخذ يتركّز على الحوار بين الطرفين ولهذه المحاولة دوافعها ومبرّراتها، وستكون هذه النقطة بين النقاط التي سنعالجها في الفصل الأخير.

الهَوامــــش

1. Mrs. Crowe, M. W., Vol. 11, 1912, p. 270
2. O'Leary De Lacy, Islam at the Cross Roads, London, 1923, p. 56.
3. مقابلة الكاتب مع القس لويس سكدر، الكويت ١٥/١٠/١٩٧٤
4. Barks, J., Whose Lands? Britain, 1949, 1970, p. 201.
5. Cantine, J., N. A., April - June, 1902, pp. 8-10.
6. Niell Stephen, Colonialism and Christian Mission, Published in U.S. A. Printed in G. B. p. 425.
7. Samra, Mahmud, op. cit., p. 33.
8. I. O. R., R/15/3/66 April 5th, 1910.
9. Lorrimer, J. G. The "Persian" Gulf Gazetter, London, 1960, Vol., pp. 602-3.
10. I. O. R., R/15/5/5/313. Kuwait, 1910.
11. ibid.
12. ibid., R/15/2/32 Bahrain, 20th Feb. 1918.
13. Storm, H., op. cit., p. 52.
    See also, Addison, J., The Christian Aproach to the Moslem N.Y., 1966, p. 195.
    See also N.A., July-Sept. 1901, pp. 8-9.
14. I.O.R., R/15/5/3/4, Kuwait, 1932.
15. Dr. Harrison, I. O. R. R/315/2/1 oc 32 Bahrain, April 28, 1918.
16. مقابلة الكاتب مع القس لويس سكدر، الكويت، يناير، ١٩٧٦.
17. I. O. R. R/15/2 oc 1/32, Bahrain, 1918.
18. Calverley, E., op. cit., p. 85.
19. ibid., p. 177.
20. ibid., p. 178.
21. Van Ess, D., op. cit., pp. 84-85.
22. Dr. Harrison, P., The Moslem World of to-day, 1925, London, Edited by Mott, R. J., pp. 325-26.
23. Van Ess, D., History of the Arabian Mission, op. cit., p. 1.
24. Zwemer, S. and Cantine, J., op. cit., p. 88.

25. I. O. R., R/15/2/2/4, April 15th, 1936.
26. مقابلة الكاتب مع القس لويس سكدر الابن، الكويت ١٥/١٠/١٩٧٤
27. ibid.
28. I. R. M., London, 1919, Vol. 8, p. 177.
29. Lorrimer, op. cit., p. 348.
30. Tisdall Clair, W., M. W., Vol. VII, Oct. 1917, Nov. 4, p. 329.
31. Ali Zaki, Islam in the World, India, 1938, p. 152.
32. De Novo, A.J., American Interests and Politics in the Middle East, 1900-1939, London 1963, p. 8. Oxford University Press.
33. مقابلة الكاتب مع السيدة نايكرك، البحرين، ١١/١١/١٩٧٤
34. Zwemer, S. and Cantine, J., op. cit., p. 99.
35. Mason and Barny, op. cit., p. 99.
36. Zwemer, S." Cantine, J. op. cit., p. 99.
37. I. O. R., R/15/3/5/5, 1909.
38. ibid.
39. ibid.
40. ibid.
41. ibid.
42. ibid.
43. ibid.
44. Van Ess, D., Pioneers in the Arab World, Michigan, U.S,A,, 1974, pp. 67-72.
45. Rev. Hooton, E., op. cit., p. 155.
46. Calverley, E., op. cit., p. 216

الفصل السابع
الإرسالية العربية وتوقعات المستقبل

مقدمـــــــة:

باستطاعتنا الآن تلخيص جميع نتائج هذا البحث. منذ النصف الثاني من القرن السابع والاتصالات بين المسيحيين والمسلمين مستمرة، وقد اتسع مدى هذا الاتصال بين الجماعتين، فأحياناً كان الإسلام يكتسح ميدان الصراع وأحياناً أخرى تتقدم المسيحية، وحتى يومنا هذا فإن ممثلي هاتين الديانتين القويتين يلتقون فوق مساحات شاسعة من الأرض، وقد اكتسبت العلاقات بين الديانتين طوال هذه القرون طابع العداوة والشك. ومنذ أقدم العصور إلى اليوم والكنيسة المسيحية تحاول الوصول إلى المسلمين وتحويلهم إلى المسيحية، هذه المحاولات التبشيرية تلقى بعض النجاح في بعض المناطق وتفشل في مناطق أخرى.

وسنقوم في هذا الفصل الأخير من هذه الدراسة بمعالجة ثلاثة موضوعات مهمة:

الأول: منجزات الإرسالية العربية وما قدمته من عطاء حتى الآن سواء كان ذلك سلباً أو إيجاباً.

الثاني: التطورات الحديثة في التبشير.

الثالث: سيتناول مستقبل العمل التبشيري بشكل عام، وفي الخليج وشبه الجزيرة العربية بشكل خاص. وسنعالج هذا الموضوع من وجهة نظر أهالي البلاد ووجهة نظر المبشرين الذين عملوا سابقاً في منطقة الخليج العربي.

أولاً: منجزات الارسالية العربية:

لقد ركزنا في الفصول السابقة على تاريخ الإرسالية وتقويم تجربتها التبشيرية حيث كانت هذه الإرسالية منظمة مسيحية وهدفها النهائي هو تنصير شبه الجزيرة العربية.

لقد استخدم المبشرون وسائل متنوعة في محاولاتهم للوصول إلى هذا الهدف، وقد تناولنا في الفصول السابقة هذه الجوانب بأكبر تفصيل ممكن، والذي يُعنى به هذا الفصل هو الآثار والنتائج التي نجمت عن المحاولات التبشيرية. ومن الضروري أن نقول: إن تجربة الإرسالية لا تنفصل أبداً عن طموحات المسيحية وتطلعاتها لنشر الانجيل والتأثير في أكبر عدد ممكن من سكان العالم. وهذا الطموح أمر طبيعي واتجاه عام لا يقتصر على حركة دون أخرى أو مذهب دون آخر فجميع الحركات الحيوية في التاريخ كانت دوماً تعمل على نشر أفكارها بشتى السبل والوسائل. ولهذا فإننا سنعمل على تقويم نتائج المحاولة التبشيرية التي قامت بها الإرسالية العربية الأمريكية للتعرف إلى مدى تأثيرها في الجزيرة العربية وفي منطقة الخليج بشكل خاص. وربما يكون أبرز نتائج هذه التجربة هو أن عملها الذي يغطي ما يقارب خمساً وثمانين عاماً قد فشل في اجتذاب جماهير الأهالي في المنطقة، وبالتالي أخفق في تحقيق أهدافه، حيث كان عدد معتنقي المسيحية ضئيلاً جداً ، كما سبق أن ذكرنا. وهذه النتيجة تدعو إلى العجب إذ لم يسجل التاريخ سوى قليل من الحركات بضخامة الإرسالية العربية وطول فترة عملها دون أن تحقق شيئاً له أهميته دينياً على مدى كل هذه السنين.

كان مولد الإرسالية العربية في معهد اللاهوت في نيو برونزويك في مقاطعة نيوجيرسي في الولايات المتحدة عام ١٨٨٩. وقد بدأت عملياتها الميدانية حالما انتهى روادها من الاتفاق على دستورها وخطة عملها.

وقد تبنّت هيئتها الأولى موقفاً عنيفاً من الإسلام، وكانوا متفائلين بأن يسارع أهالي تلك البلاد بالتحول عن دينهم.

ويمكن اعتبار العقد الأول من نشاط الإرسالية العربية في المنطقة فترة للدراسة في محاولة أولية لتفهم المنطقة، وكان عليهم أن يفعلوا الكثير لتمهيد الطريق للعمل التبشيري فيها. وقد استغرق البحث عن أماكن استراتيجية لمحطاتهم وتأسيسها وقتاً وجهوداً ضخمة من المبشرين، بحيث جعلهم هذا يدركون أن التجول بين الناس أمر ضروري ليتمكنوا من التعرف إلى حياة الناس عن قرب ولتمهيد الطريق لافتتاح المزيد من المحطات الرئيسة والفرعية. وقد اكتشف المبشرون بالتدريج أن الغربيين يمكنهم أن يعيشوا ويعملوا في المنطقة دون أن يواجهوا أية مصاعب كبيرة. ثم انهم بدأوا يشعرون بعد ذلك بأن في إمكانهم القيام بعملهم التبشيري في مناطق كانوا يعتقدون أن العمل فيها ضرب من المستحيل. ولم يلاقِ المبشرون عندما بدأوا عملياتهم أية مقاومة جادة مما كان سبباً في بعث التفاؤل في نفوسهم.

وشهد العقد الثاني نمواً مشجعاً في نشاط الإرسالية ولكن هذا لم يحدث بدون مصاعب وبعد هذا بدأت المعارضة بالظهور أولاً من قبل السلطات التركية في البصرة، وثانياً: في الخليج من الزعماء الدينيين التقليديين، ثم جاءت الحرب العالمية الأولى بآثارها وتعقيداتها.

لقد كان العمل التبشيري يسير جنباً إلى جانب مع الخدمات الإنسانية التي كانت الوسيلة التي مكنت المبشرين من الوصول إلى الناس. وكان المبشرون جميعاً يشتركون في هذا النشاط التبشيري سواء كانوا داخل مؤسساتهم أم خارجها، في رحلاتهم أم بالأسواق.

ولم يكن الرأي العام قد تأثر بأفكارهم بعد، وكان ذلك الوقت هو بداية

الفترة الحاسمة في عملهم التبشيري، حيث توقع المبشرون أن يُلاقوا كثيراً من المتاعب؛ ومع هذا ظلوا دوماً متفائلين بالمستقبل لأنهم كانوا يعتقدون أن ظهور هذه المشكلات أمر طبيعي وأن واجبهم هو المثابرة. وقد أعطاهم هذا الشعور وأعطى المجلس الأعلى في أمريكا انطباعاً بأن المنطقة كانت مهيأة لاستقبال المسيحية. وكان قبول المواطنين بوجودهم ونشاطهم بداعي الحاجة إلى خدماتهم الإنسانية فقط والتي كانوا في أمسّ الحاجة إليها ولكن المبشرين أساءوا فهم موقفهم نحوهم وفسروه على أنه بداية لقبول أفكارهم، وادعى المبشرون بأن لهم تأثيراً غير مباشر في عقول الناس وأن العديد منهم قد بدأوا يؤمنون بالمسيحية ولكنهم لم يغيروا دينهم خوفاً من حكوماتهم وسيطرة التقاليد وأساليب الحياة الإسلامية. والحقيقة أن الادعاء بوجود ضغط من الحكومات ضد المتنصرين كان أمراً مبالغاً فيه حتى فيما يختص بمنطقة البصرة التي كانت خاضعة لحكم العثمانيين والمناطق التي تقع تحت نفوذ الوهابيين في شبه الجزيرة العربية، أما بالنسبة للمناطق الواقعة على طول الخليج من الكويت إلى مسقط فإن هذا الادعاء غير صحيح لأن أحداً لم يمس القلة القليلة ممن اعتنقوا المسيحية في البحرين ومسقط بأي سوء.

وماذا يمكن للباحث أن يقول بعد ما يقرب من قرن من العمل التبشيري في تلك المنطقة؟ أما من الناحية الطبية فإن الإرسالية قد فعلت كل ما في وسعها لمساعدة الناس في وقت لم يكن لديهم خدمات طبية حديثة، وقد كان هؤلاء الناس لهذا السبب يحملون لها كل تقدير وإجلال. لقد أنشأ المبشرون المستشفيات والمستوصفات وأدخلوا الخدمات الطبية الحديثة للمرة الأولى إلى المنطقة. أما من ناحية التعليم فإن أثرهم كان محدوداً ولم يلعبوا دوراً مهماً في تطوير المنطقة للأسباب العديدة التي سبق أن أتينا على ذكرها في الفصل الرابع، وأهمها هو أن التعليم الحديث

الحكومي كان في طريقه للدخول إلى المنطقة عندما بدأ المبشرون بإدخال هذا النوع من الخدمات. أما من الناحية الدينية فإن الإرسالية قد فشلت في تحقيق أهدافها في كسب الأتباع وفي تنصير أهالي المنطقة بالرغم من كل ما بذلته من الجهود والتي أدت إلى إقامة كنائس عدة هناك، كما أوضحناه في فصل سابق.

ومن الجدير بالذكر أن بعض رجال الإرسالية قد نقلوا للرأي العام الغربي عن طريق كتاباتهم صورة مغلوطة عن الخليج العربي وشبه الجزيرة، حيث أعطوا شعوبهم صورة مشوهة عن العرب والديانة الإسلامية. لقد شعر المبشرون في ذلك الوقت بأن لهم الحق في إعطاء تلك الصورة لأن هذا كان يؤدي إلى تشجيع مواطنيهم على دعمهم، كما كان يظهر أن دينهم هو الدين الوحيد الصحيح والصالح للعالم أجمع. وقد سبب هذا إحراجاً كبيراً للإرسالية ورجالها عندما اكتشفت شعوبهم أن الكثير مما كانوا ينقلونه عن شعب الخليج العربي والجزيرة العربية كان بعيداً عن الحقيقة. فعند استعراض نتائج عملهم في تلك الفترة تبين أنها أبعد ما تكون عن النجاح مما جلب عليهم اللوم وبدأ الناس يفقدون ثقتهم بالمعلومات التي تأتيهم من مثل هذه المصادر.

إنّ قصة العمل التبشيري في المنطقة فيها الكثير من الدروس. لقد اكتشف المبشرون أنه من الصعب إقناع الناس بتغيير دينهم كما تعلموا أيضاً أن موقفهم القديم غير مجد ويجب تبني موقف أكثر مرونة والذي يعني الوصول إلى أساليب جديدة للتعامل مع هؤلاء الناس، ومن هنا جاءت فكرة التفاهم وإجراء الحوار مع المسلمين. ويبدو أنهم قد تعلموا أيضاً بأن الزمن قد تغير وأن من الأفضل لهم أن يعملوا بين أبناء شعبهم الذين كان الكثيرون منهم مسيحيين بالاسم فقط. ومما لا شك فيه أن مبشري الإرسالية العربية كانوا مؤهلين للقيام بعملهم تأهيلاً جيداً

وكانوا جميعاً من المهتمين بالمنطقة، لقد حاولوا أن يتفهموا العقلية واللغة والعادات والتقاليد العربية ليتمكنوا من تحقيق الأهداف التي نذروا أنفسهم من أجلها، كما كانوا يؤمنون بأنهم يحملون الرسالة الصحيحة لهدم ديانة (مزيفة) وإحلال الديانة المسيحية التي كانوا يعتقدون أنها الدين الصحيح الوحيد في مكانها.

والواقع أنّ كل الدلائل تؤكد أن هذا النوع من التبشير الذي قام في المنطقة غير مجد، ولكن يبدو أيضاً أن الاستفادة من هذا الدرس لم تتحقق وأن التجربة لم تعلمهم الكثير لأنهم عندما تخلوا عن عملهم في إحدى المناطق - كالكويت مثلاً - كانوا مصممين على أن يستمروا في عملهم في منطقة أخرى بالرغم من النتيجة المحدودة لهذا العمل بسبب الصعوبات التي كانت تعترض سبيلهم.

أما من وجهة نظر المبشرين فإن الصعوبات الرئيسة التي كانت تواجههم هي الآتية:

١) إن التعاليم المسيحية لا تعني المسلمين بمستوى ما تعنيه للمسيحيين. لقد تعامل المبشرون مع المسلمين بدون أن يأخذوا بالاعتبار خلفيتهم الثقافية.

٢) إن المسلم يعتقد أن تغيير الدين يعني بصورة رئيسة تغيير الولاء والأواصر التي تربطه بمجتمعه لأن ديانته تقدم له تشريعاً شاملاً لجميع جوانب الحياة، وقد اقترح السيد (ريجز*) ما يلي للتغلب على هذه العقبات:

١ - يجب معالجة القضايا المذهبية بمنتهى الحرص كما يجب

---

* ليست لدينا معلومات كافية لنوضح ما إذا كان الدكتور (ريجز - Riggs) الذي سبق الحديث عنه والذي ترك العمل التبشيري لتشكيكه في العقيدة المسيحية هو السيد (ريجز) نفسه صاحب هذا الكلام أم شخص آخر من العائلة نفسها.

تشجيع السائل على دراسة العهد الجديد.

٢ - أن نشجع سراً بكل محبة على تحقيق التقدم في العقيدة بمعنى أن يحاولوا فصل أنفسهم عن التبعية لشعبهم. يجب ألا يطلب من أتباع المسيح أن يحملوا اسم «مسيحيين» بسبب ما يرتبط به هذا الاسم من معانٍ في الشرق. كما يجب أن نجد مرادفاً روحياً آخر للتعميد.

٣ - ليس هناك من سبب أساس يمنع الإسلام من أن يتبنّى المسيح عيسى في عقيدته دعماً له»[١].

ولكن هذه الأفكار لقيت معارضة من الدكتور (س. زويمر) والدكتور (كريس ويلسون) وهذه هي حجتهم:

«إذا كنا (نحن المبشرين) قد جئنا إلى هنا للفوز ببلاد المحمديين (المسلمين) من أجل المسيح وكنا نؤمن بأننا نستطيع تحقيق ذلك فإن هذا الهدف يتطلب اعترافاً صريحاً وإقامة كنيسة منظمة»[٢].

إن موقف القس (زويمر) والدكتور (ويلسون) هو الموقف الذي كان يتبناه المبشرون الأوائل في شبه الجزيرة العربية لأن القس (زويمر) كان القائد الحقيقي للإرسالية العربية في مراحلها الأولى. أما فيما يختص بمنطقة الخليج العربي فإن هذا الموقف قد كان له دور في الانهيار النهائي لعمل الإرسالية العربية[٣]. إن هذه المؤسسة قد فشلت في تحقيق أهدافها ولأسباب مهمة نجملها فيما يلي:

أسباب فشل الإرسالية العربية:

١) صعوبة المنطقة:

أ- جغرافياً: إن حرارة الجو البالغة خلال فصل الصيف الطويل حوالي ٤٨ مئوية أو أعلى من ذلك بقليل كانت واحدة من أهم

العقبات الجغرافية التي واجهت المبشرين، كما أن صعوبة الانتقال من مكان إلى آخر بالوسائل القديمة كان يشكل عقبة واضحة في طريق العمل التبشيري.

ب- اجتماعياً: كان التنظيم القبلي التقليدي بعاداته وتقاليده الخاصة يقف عقبة في طريق الوصول إلى النصرانية، كما أن وعي الناس الفكري للقضايا التي يطرحها المبشرون كان معدوماً.

جـ - دينياً: كان الشعور الإسلامي قوياً بين هؤلاء الناس ومما كان يشجعهم على الثبات في عقيدتهم قربهم من الأماكن المقدسة وتأثير الحركة الوهابية في ذلك الوقت. وبما أن هدف المبشرين الرئيس في تلك المنطقة هو هدف ديني فإن هذه النقطة بحاجة إلى المزيد من التفصيل.

من البدهي أن نفترض أن أية حركة، مهما كان نوعها، لا يمكن أن تنتشر إن لم يكن هناك حاجة لها. إن الحركات الاجتماعية والدينية والسياسية لا تجد اقبالاً لدى الناس إن لم تكن شروط نجاحها متوفرة، وهذه الحقيقة يمكن أن تفسر الفشل الذي لاقته الإرسالية العربية إلى حد بعيد، والواقع أن الإرسالية لم تدرك أن هذا الجزء من العالم لا يعاني من فراغ ديني. لقد شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر عدداً من الحركات الدينية التي كانت تهدف إلى إحياء الأفكار والمثل الإسلامية، يُضاف إلى ذلك أن الإسلام لم يكن ديناً فحسب، فالأهم من ذلك أنه كان مؤسسة سياسية. وقد استطاع عدد من الحركات القوية أن تلعب دوراً كبيراً في تشكيل شبه الجزيرة العربية، فالحركة الوهابية مثلاً كانت تسيطر على الجزء الأوسط من الجزيرة العربية واستطاعت في وقت قصير أن تمتد إلى

المجاورة، كما كانت هناك حركة الأشراف التي ادعت أنها من سلالة النبي محمد والتي سيطرت على الحجاز. والأهم من ذلك كله الامبراطورية العثمانية في ذلك الوقت والتي كانت ظاهرياً على الأقل دولة إسلامية وكانت كل هذه القوى والحركات تعمل في المنطقة بنشاط عندما بدأت الإرسالية العربية عملياتها التبشيرية.

ومن الحقائق المهمة الأخرى أن الإسلام لم يمكن ديناً فحسب، بل كان أيضاً مؤسسة ثقافية اجتماعية، وكان الإسلام يعالج حاجات القبائل ومشكلاتها ويشكل أساساً قانونياً يمكن حل النزاعات والخلافات القبلية في إطاره، فقد كانت الشريعة الإسلامية هي المنظم لجميع مؤسسات المجتمع العربي كالأسرة والعلاقات الاجتماعية والجهاز الحكومي... إلخ.

وقد تجاوب الإسلام مع عقلية أهالي تلك البلاد فرأوا فيه مؤسسة قوية. والصفة الأساسية التي أدت إلى نمو الإسلام السريع هي أن الإسلام قد ملأ الفراغ الديني ولم يعد هناك مجال لأن تنافسه ديانة أخرى في المنطقة. وهي حقيقة أثبتها الفشل الذي مُنيت به الإرسالية العربية في محاولتها للتأثير الديني في الخليج العربي والجزيرة وتحقيق التوسع الجغرافي الذي كانت تهدف إليه، والذي يبين أن الإسلام كان السبب الرئيس لفشل العمل التبشيري في المنطقة.

ثانياً: العوامل السياسية:

وقد يكون من سوء حظ الإرسالية العربية الأمريكية أن بدأت نشاطاتها في الوقت نفسه الذي كانت القوى الغربية تقوم بمحاولاتها للسيطرة على تلك المنطقة. وكانت القوى الغربية وبخاصة بريطانيا هي المظلة التي لجأت الإرسالية للاحتماء بها وهي حقيقة لا يمكن تجاهلها كما سبق أن ذكرنا في فصل النشاط السياسي للمبشرين. وكانت العلاقة

بينهم وبين السلطات البريطانية علاقة متبادلة. فالمبشرون كانوا يريدون الاعتراف بهم وحمايتهم والاتصال المباشر بممثلي القوى الاستعمارية في المنطقة لضمان الإقامة في المنطقة وتزويدهم بالتوصيات والجوازات وسمات المرور وغيرها، وبالمقابل فإن المبشرين قد زودوا القوى الغربية، سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد، بمعلومات مباشرة عن المنطقة وسكانها عن طريق التقارير التي كان يكتبها قادة الإرسالية عن نتائج رحلاتهم، حيث كانت لهذه التقارير قيمة كبرى لدى القوى الغربية، فقد كانوا يستفيدون منها ويستخدمونها في خدمة نشاطهم – كما سبق أن ذكرنا في فصل سابق، وهكذا فإن الإرسالية قد أعطت انطباعاً بشكل أو بآخر بأنها متورطة سياسياً ، حيث كان لذلك دور هام في تأكيد شكوك العرب المسلمين من أهالي البلاد الذين كانوا في صراع مع القوى الاستعمارية خاصة في النصف الأول من هذا القرن.

وكانت الإرسالية تركز جهودها دوماً على الأعمال التي تؤدي إلى تنصير الناس، وكان دورها في الشؤون المحلية ثانوياً ولم تعتبر نفسها مطلقاً جزءاً من المجتمع حيث لم تهتم أبداً بآمال السكان وطموحاتهم الوطنية. وكان هؤلاء السكان العرب بشكل عام يسعون لنيل الاستقلال والحكم الذاتي، وكانوا يريدون أن يضعوا حداً لسيطرة القوى الغربية على مقدرات بلادهم، ولم تكن الإرسالية العربية تولي هذه التطلعات أي اهتمام. ولم تكتف الإرسالية العربية بالابتعاد عن هذه القضايا المحلية المهمة بل إنها أيضاً كانت متورطة سياسياً مع القوى الاستعمارية التي كانت تعمل ضدها، وقد أكد هذا التورط عدد كبير من قادة الإرسالية، كما سبق أن أوضحنا. وقد بذل المؤلف في عمله الميداني جهوداً لمقابلة عدد من الأهالي في بعض مناطق الخليج ليسألهم هذا السؤال: ما هي الأبعاد السياسية لنشاط الإرسالية العربية؟ وكان أغلبهم يعتقدون أن الإرسالية

كانت تخدم مصالح القوى الغربية في المنطقة(٤).

وقد كان واضحاً لدى هؤلاء الناس أن تورط المبشرين مع القوى الاستعمارية وإهمالهم للمشاعر الوطنية لأهالي البلاد كان من الأسباب التي أدت إلى فشل مهمتهم. وكان نقد العديد من المثقفين من أهالي البلاد يتركز حول تجاهل الإرسالية العربية لهذه القضايا وعدم توضيح موقفها منها. ورغم تورطها في الشؤون السياسية كان يجب عليها تأييد حقوق الإنسان ودفع الظلم عنه، ولكنهم آثروا الصمت عندما وقعت نكبة فلسطين والاعتداء الصارخ على حقوق الإنسان فيها وتقاعسوا عن مؤازرة التطلعات الوطنية بالاستقلال والحرية وتعاونوا بدلاً من ذلك مع القوى الغربية! ومن الواضح أن عدم اهتمام الإرسالية بالقضايا المصيرية لأهالي البلاد كان من أهم الأسباب التي أدت إلى فشلها إضافة إلى العلاقة التي كانت تربطها بالقوى الاستعمارية.

إن الظروف السياسية في المنطقة لم تكن مواتية للإرسالية، فمنذ أن بدأت عملياتها كان الصراع بين السلطات البريطانية والتركية يتفاقم وتلا ذلك الحرب العالمية الأولى، وفي العشرينات والثلاثينات من هذا القرن بدأت اليقظة القومية العربية وأخذت في مناهضة القوى الغربية والمطالبة بالاستقلال السياسي، ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية وانفجرت المشكلة الفلسطينية وبدأ استغلال النفط يغير الموقف في المنطقة بصورة تامة والذي كان له أثر واضح في نشاط الإرسالية. لقد خلقت هذه الظروف صعوبات كثيرة في وجه العمل التبشيري وجاءت بشكل متتابع لمقاطعة العمل التبشيري وإعاقته. وكان لهذه المشكلات السياسية وغيرها من المشكلات الأخرى دور كبير في الحد من تأثير الإرسالية وإضعافه، ونتج عن دراسة التجربة التي خاضتها الإرسالية العربية وغيرها من الإرساليات في المنطقة شعور لدى بعض الزعماء

المسيحيين بأن عليهم أن يعيدوا النظر في الأساليب التبشيرية المستخدمة في التعامل مع المسلمين العرب.

ثالثاً- متاعب الإرسالية الخاصة:

أ - مشكلة الهيئة العاملة :

من مشكلات الإرسالية مشكلة الهيئة العاملة في المنطقة، فقد كان عدد المبشرين ضئيلاً بالمقارنة بحاجة المنطقة، فمساحة البلاد حوالي مليون ميل مربع وعدد سكانها يقارب العشرة ملايين (شبه الجزيرة والخليج العربي) في حين أن المبشرين كانوا يُعدون بالعشرات وما من شك في أن حجم العمل كان يفوق طاقتهم وقد يكون سبب هذا النقص هو عدم قدرة مجلس الإرسالية على تزويدهم بالأعداد اللازمة من المبشرين بسبب طبيعة المنطقة وجوها الحار.

وهناك احتمال بأن بعض المبشرين كانوا يرفضون الذهاب إلى المنطقة لاقتناعهم بعدم جدوى العمل التبشيري فيها لكونها مهد الإسلام وقوة التماسك القبلي والاجتماعي الذي يصعب معه على الأجنبي إختراقه والتأثير فيه.

ب - مشكلة اللغة العربية:

إن عدم معرفة اللغة العربية كان في الواقع من الأسباب الرئيسة في فشل العمل التبشيري، فهذا العمل يحتاج إلى مناقشة واقناع متصلين، ولا يمكن لأحد أن يقوم بذلك إنْ لم يكن يتقن لغة الأهالي. إن معرفة كلمات قليلة لا تجدي في التأثير في الناس لأن ضعف المبشرين باللغة العربية كان يحرمهم من القدرة على عرضهم رسالتهم بوضوح. كما أن التعليم الذي كان أحد الوسائل التي استخدمتها الإرسالية يتطلب معرفة باللغة العربية أيضاً، ولكن هذا بدوره كان مفقوداً وخصوصاً لأن

الإرسالية كانت ترفض أن توظف من غير المبشرين إلا القليل حتى ولو كانوا من مسيحيي البلاد العربية الأخرى لمساعدتهم في تقديم هذه الخدمة لأنها كانت تعتقد أنه ليس كل مسيحي يصلح أن يكون مبشراً كما أنها كانت تحتكر العمل وسط الأوروبيين بشكل أساس.

جـ - المشكلة المالية:

كان لميزانية الإرسالية مصادر عدة وأول هذه المصادر هو الدعم الذي يقدمه المجلس التبشيري الأعلى، ثم التبرعات التي تأتي من داخل ميدان العمل، وأخيراً الأجور التي كانت تحصل عليها لقاء تقديم خدماتها الطبية والتعليمية، إضافة إلى الأرباح التي كانت تأتيهم من بيع الكتب الدينية. وبما أن الميزانية لم تكن كافية لتغطية تكاليف عملياتها الواسعة فليس من الغريب أن نجد المبشرين يتذمرون دوماً من هذه المشكلة.

د - الخدمات الإنسانية (الطب والتعليم):

كانت الخدمات الإنسانية تستهلك معظم جهود المبشرين ووقتهم والذي جعل المواطنين يعتقدون بأن المبشرين أناس مؤهلون جاءوا إلى بلادهم لمساعدتهم طبياً وتربوياً، وعندما كان هؤلاء المبشرون أنفسهم يبدأون بعرض رسالتهم والحديث عن القضايا الدينية لم يكن الأهالي يأبهون كثيراً لما يقولون وكانوا يعتقدون أن ذلك كان أمراً عرضياً.

هـ - الموقف العدائي من الإسلام:

كان الموقف العدائي الذي كان يقفه المبشرون من الإسلام بخاصة المبشرون الأوائل يسبب للإرسالية كثيراً من المتاعب، ولقد كان هذا واضحاً منذ بداية نشاطهم من المنطقة.

هذه هي المصاعب الرئيسة التي أدت إلى فشل الإرسالية في المنطقة.

ولكن بقي أن نذكر وجهة نظر المبشرين[٥] والمصاعب التي منعتهم من النجاح. لقد ادعى المبشرون:

أ- أن تعصب المسلمين كان المشكلة الكبرى التي واجهتهم في المنطقة.

ب- صعوبة الحصول على الحماية للمتنصرين في تلك المناطق. ويعتقد المبشرون أن بعض المواطنين قد تأثروا بالمسيحية ولكنهم لم يغيروا دينهم خوفاً من العقاب.

جـ- كان جهل عامة الناس من الصعوبات التي اعترضتهم فقد كان اقناع الناس والدخول في نقاش معهم حول المسيحية أمراً صعباً كما أن التسلل إلى الحياة القبلية وكسب البدو من أصعب الأمور.

د- صعوبة العثور على الناس المؤهلين للقيام بمهمة التبشير وبخاصة في هذه المنطقة الصعبة، وكان هذا طبعاً مسؤولية المجلس الأعلى للكنيسة الاصلاحية.

هـ- صعوبة عرض أفكارهم مباشرة وبصورة علنية في الشارع وضرورة اللجوء إلى الوعظ غير المباشر في مؤسساتهم فقط، كلها من الأمور التي عرقلت العمل التبشيري.

هذه هي الأسباب التي أدت مجتمعة إلى فشل عمل الإرسالية العربية التبشيري في المنطقة.

والواقع أن قضية نجاح أو فشل العمل التبشيري في المنطقة ككل من الأمور التي لا تزال تعتبر مثاراً للجدال بين قادة المسيحية في وقتنا الحاضر. وهناك رأيان في هذا الموضوع: الأول: أن العمل التبشيري بين غير المسيحيين كاف في حد ذاته حتى وإن أخذنا بهذا الرأي فإن عمل الإرسالية كان ناجحاً لأنه ساعد الناس وعرّفهم بالمسيحية. والرأي

الثاني يرى أن مهمة الإرسالية هي التنصير ويُقاس نجاح الكنيسة بعدد من تستطيع تنصيرهم. وتقوم الكنيسة الاصلاحية في أمريكا الآن بتقويم عمل الإرسالية العربية الأمريكية، والمناقشات الجارية تضع هذين الرأيين في اعتبارها. وقد ناقش المؤلف هذا الموضوع مع أنصار كلا الرأيين عندما قابلهم في شهر سبتمبر سنة ١٩٧٦ في نيويورك ونيو برونزويك في الولايات المتحدة (أُنظر الملحق رقم ١) وكان هذا الموضوع ضمن موضوعات مؤتمر الكنيسة الإصلاحية في نوفمبر ١٩٧٧. ويعتمد أنصار الرأي الأول على وجهة النظر التي عبّر عنها (جون فان ايس) أحد رواد الإرسالية الأوائل:

«ليس واجبنا أن نحصل على نتائج بل ان واجبنا ان نعمل ونموت... لأن المسيح لم يرسلني للتعميد بل للوعظ»[٦].

وهكذا فإنهم يعتبرون عمل الإرسالية ناجحاً لمجرد القيام به، وقد أيد ذلك القس (أدوين لويدنز – Edwin Luidnes) الذي قال:

«إن مسألة النجاح أو الفشل ليس مهمتنا ولا يمكن معرفته في سنوات قليلة أو حتى في قرن»[٧].

وأيدته السيدة (ماكنيل – Evelyn Macnill) التي قالت:

«لقد قضيت وقتاً طويلاً في الكويت وعندما كنت أعمل لم أكن أتطلع إلى النجاح وأنا سعيدة بعدم معرفتي لنتائج عملي»[٨].

وأهم المنادين بالرأي الثاني هو الأستاذ جون بيردل الذي يقول: «إن الوجود المسيحي في الجزيرة العربية لم يصبح قوة تبشيرية ولم تتحقق الرؤيا بعد»[٩].

وقد أيد الأب (جون ي. بوتاين – John E. Buteyn) هذا الرأي بقوله: «إن السبب الرئيس لفشل العمل التبشيري هو أن المسلمين يعيشون في مجتمع

إسلامي قوي، كما أن أساليب التبشير كان يجب أن تكون أفضل مما كانت عليه»[١٠].

ومهما كانت الآراء التي يحملها زعماء الدين المسيحيون فإن معظمهم يؤكدون ضرورة إقامة علاقة جديدة مع المسلمين من خلال الحوار معهم.

التطورات الحديثة في التبشير:

ما من شك أن الخمسة والثمانين عاماً التي قضتها الإرسالية العربية في الخليج العربي كان لها أثرها في التجربة التبشيرية على الأقل في منطقة المشرق العربي. والحق أن العمل التبشيري قد خرج من هذه التجربة بدروس عدة والتي تؤثر حالياً وستؤثر مستقبلاً في هذا النوع من النشاط الديني. ومن أهم الدروس التي نتجت عنها هذه التجربة هي أن العمل التبشيري قد أخفق في تحويل الناس عن دينهم في جميع الظروف. والدرس الثاني هو أن السبب الأساس في هذا الفشل كان المعارضة التي نشأت بسبب الشعور الديني والتماسك القبلي والظروف السياسية. وقد ظهرت نتيجة لهذين الدرسين الحاجة إلى أفكار جديدة[١١] والأهم من ذلك كله أن الزعماء المسيحيين قد بدأوا يدركون أن العمل التبشيري المباشر والمواجهة مع الدين الإسلامي لا يجديان. كما أنهم قد أدركوا أن التعايش مع الإسلام بدلاً من الاصطدام معه قد يؤدي إلى نتائج أفضل.

إن القناعات والدوافع التي تختفي وراء الأسلوب الجديد حديثة المنشأ، والاتجاه الجديد لا يزال في مرحلة التكوين. والحوار بين المسلمين والمسيحيين يعني اعترافاً بفشل المواجهة بين هاتين الديانتين والحاجة للتوصل إلى فهم مشترك. ولا يمكن أن يؤدي هذا الحوار إلى أي نوع من التسوية الدينية، ولكنه يقوم على شعور بعض زعماء الدين بأنهم يجب أن يصلوا إلى نوع من التعايش السلمي أو حالة من الانفراج الديني. إن

الحوار بين المسلمين والمسيحيين هو تطور جديد كل الجدة، ولا يمكن ارجاع أصوله إلى فرد معين أو تاريخ معين ولكن بعض الهيئات المسؤولة والأفراد البارزين ممن هم على اتصال مباشر بالجهود التبشيرية الحديثة في الدول الإسلامية قد قاموا بتطويره وتعديله ودعمه.

ويمكن ارجاع منشأ هذه الحركة إلى مجموعة صغيرة من الشبان المسلمين والمسيحيين الذين تقابلوا في جنيف في سويسرا سنة ١٩٦٩ وقد ولدت الفكرة في كليات (سيلي اوك – Selly Oak Colleges) في مدينة برمنغهام البريطانية في يناير عام ١٩٦٨ عندما التقت مجموعة من المسلمين لمناقشة القضايا التي يمكن أن يدور حولها الحوار بينهم[١٢]. ومنذ ذلك الوقت بدأ الحوار يكتسب طابعاً دولياً، وقد تبنى مجلس الكنائس البريطاني هذا الحوار وبدأ يطوره بحماسة واهتمام كبيرين. وقد قوي الاهتمام بهذا الموضوع في بريطانيا بسبب وجود ما يقرب من مليون مسلم ممن يعيشون حالياً فيها أن الحاجة إلى فهم هؤلاء الناس وفهم دينهم من الأهمية بمكان إذا كان يُراد للتعايش النجاح. وقد أظهر بعض أعضاء كنيسة الإصلاح في الولايات المتحدة اهتماماً كبيراً بالحوار مع المسلمين. وكان لفشل الإرسالية العربية في تحقيق أهدافها في منطقة الخليج أثر كبير في إذكاء هذا النوع من الاهتمام.

وقد ظهر في السنوات الأخيرة أن هذا الحوار قد بدأ يستأثر بالاهتمام في مستويات عليا ولم يعد يقتصر على الأفراد بل أصبح يشمل الدول والسلطات الدينية[١٣] ومن الأمثلة على ذلك المؤتمرات المسيحية – الإسلامية التي تعقد في أماكن مختلفة في جنيف – سويسرا عام ١٩٦٩ وفي لبنان ١٩٧٢، وفي اسبانيا سنة ١٩٧٤، وفي ليبيا في سنة ١٩٧٦ وغيرها[١٤]. وكانت الموضوعات المعالجة في هذه المؤتمرات متنوعة منها القضايا الدينية والمشكلات الحديثة التي تواجه الديانتين. ولم

تصل هذه المؤتمرات إلى مستوى من التعاون أو أي خطة للعلاقات المتبادلة بين الجانبين والإنجاز المهم الذي تحقق هو في اهتمام الفريقين في متابعة الحوار وفي محاولتهما الوصول للمزيد من التفاهم فيما بينهما والبحث عن طريق لإقامة علاقات جديدة بين المسيحيين والمسلمين.

وهذه التطورات تشير إلى الحاجة الملحة لمثل هذا الحوار. ومن الجدير بالملاحظة أن الحوار قد استطاع في هذه الفترة القصيرة أن يتخذ صبغة عالمية. ومهما يكن فإن البواعث التي أثارت هذا الحوار ليست جدية لأننا سنجدها في المخاوف والشكوك والنجاح المشكوك فيه للعمل التبشيري والحاجة إلى تجنب أخطار المواجهة الدينية. وقد دعا الدكتور بنينجز رئيس الهيئة الطبية للإرسالية العربية في البحرين إلى بدء الحوار:

«لقد حان الوقت ليبدأ المسيحيون والمسلمون الحوار وليس الصراع»[١٥].

وقد دعا القس لويس سكدز الابن إلى ضرورة ايجاد وسائل جديدة للتعامل مع المسلمين حيث قال:

«إن العالم العربي الذي خبرناه عالم متيقظ»[١٦]. وينتهي إلى النتيجة التالية:

«لقد دعا الإسلام وقد بدأ يستجيب لمقابلة التحدي في أن يصبح المعين الروحي للأمة».[١٧].

إن الدكتور بنينجز والقس (سكدر) كانا مبشرين وقد علمتهما التجربة أن هذا الحوار ضروري، وكان هذا الاكتشاف نتيجة للانتقادات التي وجهت للمبشرين الأوائل الذين لم يسعوا لدراسة الإسلام ووجهوا كل جهودهم إلى التبشير بالإنجيل في بيئة لا يفهمونها، وقد أكد القس

(هوتون) على هذه الحقيقة بما يلي:

«إنا في عصر الديانة المقارنة ومع أن دراسة الديانات لم يشكل جزءاً كبيراً من مهمة المبشرين حتى الآن فإن أفكار هذا العلم قد أضحت منتشرة.... ونحن نسمعهم يقولون ان المسيحية ليست معادية للديانات الأخرى ولكنها رؤيا أعم لما يسعى الناس للبحث عنه بالغريزة [١٨].

بواعـــث الحـــــوار:

من المؤكد أن الحوار بما له من شعبية لدى الناس يمكن تفسيره على أنه مرحلة جديدة في المواجهة التاريخية بين المسلمين والمسيحيين ولا ترغب أي من الجماعتين بالتخلي عن دعواها العالمية أو وقف نشاطها بين أبناء الملة الأخرى وكل منهما تعتقد أن دينها هو الصحيح، ولذا فإن من الصعب عليهما أن يتعاونا على صعيد مشترك. فالحوار يرمي إلى اكتشاف نقاط الالتقاء للتفاهم وقد قال المطران (كينيث كراج):

«إن رغبتنا بالاتصال مع المسلمين... توجب أن نضع في اعتبارنا أن الإسلام نفسه قد بدأ يخضع لعملية تجديد.... يجب على الكنيسة أن تكون مستعدة لتفكر ملياً وتستوعب الحالة الجديدة بجميع أبعادها.... يجب أن نبشر للوصول إلى غرض المسيح... إن الصعوبات القانونية قد تميل إلى تعزيز أو ايجاد العذر لبعض ما نراه من فقدان روح الجرأة التبشيرية»[١٩].

إن بواعث الاهتمام البالغ بالحوار كقضية دولية تختلف في نظر كل من الطرفين، كما أنها تختلف بالنسبة للفئات التي تضمها هذه الأطراف ولكل طائفة بواعثها للاشتراك في هذه المحاولة وللعوامل السياسية دور كبير فيها.

إن التحرك التبشيري نحو الأماكن النائية من العالم كان إلى حد ما جزءاً من التوسع الشامل للنفوذ الغربي الذي سبق أن أشرنا إليه،

وبانحسار هذه الموجة من التوسع الاستعماري واستقلال البلاد التي كانت خاضعة للنفوذ الغربي فقد قضي على العمل التبشيري ولكن بعض الزعماء المسيحيين لا يزالون يقاومون لابقاء العمل التبشيري على قيد الوجود ويعملون على ايجاد الوسائل الجديدة التي تمكنهم من تحقيق هذا الهدف وفكرة الحوار هي تعبير عن مثل هذه التطورات، وقد وجد المسيحيون أن هذا الحوار هو البديل الوحيد أمامهم إذا أرادوا إقامة اتصال جديد مع العالم الإسلامي والذي ينتج عنه أن تتعايش المسيحية مع الإسلام وأن تجد الديانتان أرضاً مشتركة. وقد أدرك (جيمس أديسون) أن على المسيحيين أن يبحثوا عن وسيلة تمكنهم من التغلب على الصعوبات التي تعترض العمل التبشيري:

«يقترن تغيير الدين في أفكار المسلمين بشكل ما بتغيير الارتباطات الاجتماعية والولاء الاجتماعي. وعلينا أن نجد وسيلة للالتفاف حول هذه العقبات كي لا نكون في موقف نهاجم فيه الإسلام وجهاً لوجه في أقوى معاقله»[٢٠].

ويعتقد بعض علماء الدين المسيحيين والمسلمين أن الديانتين تواجهان أخطاراً ضارة لكليهما؛ وأشد هذه الأخطار هي المادية التي أنتجتها الحضارة الحديثة والتي تدفع الناس بسرعة فائقة نحو النواحي الدنيوية. وهم يخشون أن يتراجع أثرهم بين أبناء أمتهم بسبب التغيرات الساحقة التي نراها في العصر الحديث. هذا هو السبب الأساس الذي دعا بعض العلماء المسيحيين والمسلمين إلى محاولة البحث عن قاعدة مشتركة للتعاون فيما بينهم لمواجهة هذا الخطر. أما بالنسبة للمسلمين الذين استجابوا متخذين مواقف ايجابية من المسيحية فإن لهم بواعث متعددة؛ فهم يعتقدون أن المسلمين كانوا دوماً يتعايشون مع الأقليات المسيحية بانسجام وفي جميع مراحل التوسع الإسلامي فإن الكنيسة

كانت تترك مستقلة دون أن يتدخل أحد في شؤونها، ولهذا فإن فكرة الحوار تجد قبولاً لدى بعض المسلمين. والباعث الثاني سياسي وهو الاستفادة من دعم المسيحيين الغربيين وكسب تأييدهم لقضاياهم حيث يعتقد هؤلاء العرب المسلمون بأن المسيحيين يجب أن يتخذوا مواقف مؤيدة لقضاياهم القومية العادلة كقضية فلسطين والتخلص من نفوذ القوى الغربية والصهيونية.

ومن المؤكد أن هناك تخوفاً من الجانبين من هذه المحاولة الجديدة للحوار. لقد أوضح بعض المسلمين مواقفهم بصراحة وأنهم لا يريدون أن يكون هذا الحوار غطاء يتستر تحته العمل التبشيري. ويعرب بعض الزعماء المسلمين عن شكوكهم بصدق نوايا بعض الجهات المسيحية ويؤكدون أن نجاح هذه الفكرة أو فشلها يعتمد على استعداد المسيحيين للتخلي نهائياً عن العمل التبشيري بين المسلمين[٢١]. وقد أشار بعض المسلمين إلى أن السلطات الاستعمارية كانت في الماضي تمهد الطريق أمام الإرساليات التبشيرية وتقدم لهم العون والحماية. أما الآن فإن هذه البلاد قد أصبحت مستقلة ولم يعد فيها مكان للعمل التبشيري إضافة إلى أن بعض هذه البلاد قد أصبحت على درجة من الغنى تمكنها من توفير الخدمات الطبية اللازمة لأبناء شعبها، وهكذا فإن الحوار قد يكون وسيلة جديدة لافساح المجال أمام المبشرين للعودة إلى المنطقة من جديد.

وللمسيحيين مخاوفهم أيضاً وهم يخشون أن يؤدي هذا الحوار إلى تورطهم في قضايا سياسية وبخاصة أزمة الشرق الأوسط التي كانوا بمنأى عنها حتى الآن. إن الزعماء المسيحيين في الغرب بنفوذهم المحدود على الحكومات الغربية وعلاقاتهم الحساسة بالقوى الأخرى ومراكز النفوذ يخشون أن يؤدي هذا إلى المزيد من المشكلات المحلية ويخسرون محلياً أكثر من أية فائدة يجنونها من الحوار مع المسلمين.

ومن الأمثلة الجيدة على ذلك ما حدث في المؤتمر الديني في ليبيا في شباط (فبراير) ١٩٧٦ حيث سحب الفاتيكان مندوبه بسبب تورطه في القضايا السياسية ولكن هذا لا يمثل الموقف المسيحي كله، فبعض أعضاء كنيسة الاصلاح في الولايات المتحدة متفقون على:

«ان الكنيسة قد صمتت فيما يتعلق بقضية فلسطين ومن واجب الكنيسة أن تعلن عن رأيها فيها. وهذا الموضوع مع غيره من الموضوعات المهمة كانت موضع نقاش في المؤتمر التالي لكنيسة الاصلاح[٢٢].

المشكلات التي يتوقع أن تعترض طريق الحوار:

إن الحوار لا يزال قضية تحتاج إلى المزيد من البحث والتمحيص إذ لم يتمخض عن شيء واضح أو ملموس بعد ولم يتم التوصل إلى الأسس الرئيسة حتى الآن. والمحاولة تواجه صعوبات دينية وسياسية عديدة والتي يمكن أن نلخصها فيما يلي:

١) هناك مشكلة العمل التبشيري والذي يتصل بالخلق المسيحي وهو واحد من الواجبات الدينية، لذلك يصعب أن يرضى المسيحيون باستثناء البلاد الإسلامية من العمل التبشيري مهما كانت الظروف.

٢) ان التنافس في ميدان العمل التبشيري بين المسلمين والمسيحيين وخاصة في افريقيا يمكن أن يخلق مزيداً من الصعوبات في وجه الحوار ولم يغرب هذا عن بال رواد التبشير في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وقد ذكر (صموئيل زويمر) و(آرثر براون) ما يلي:

«ان أولئك الذين يعرفون الأحوال في غرب افريقيا مثلاً يجب ألا يدخروا وسعاً في استباق دخول الإسلام إلى البلاد... قبل أن يجعل هذا الدين التبشير المسيحي أصعب بعشر مرات مما هو عليه بين الوثنيين من

الافريقيين»[٢٣]. والمنافسة على ما يبدو لم تنته في ذلك الجزء من العالم ولا يتوقع أحد أن تنتهي لأن كل دين ينادي بأنه أرسل للبشرية جمعاء، وكل جماعة تتمسك بمبادئها الدينية.

٣) ان الأوضاع السياسية من بين الصعوبات التي تواجه وستواجه الحوار الإسلامي المسيحي إذ لابد أن يتخذ زعماء الدين المسيحي قرارات صعبة فيما يتعلق بالمشكلات السياسية الحديثة وبخاصة ما يتعلق منها بالقضية الفلسطينية وقضايا التحرر فعليهم أن يقرروا ما إذا كانوا سيظلون على صمتهم أم أنهم سيتخذون موقفاً واضحاً.

٤) ان شكوك الجانبين في بواعث الحوار وأهدافه من المشكلات القائمة والتي لن تنتهي نظراً لِمَا بين الجماعتين من علاقات تاريخية مريرة منذ عصور طويلة.

٥) كما أن المتشككين من كلا الطرفين سيضعون العقبات في طريق هذه المحاولة الجديدة ويقاومونها.

٦) وهناك ما يتعلق بطبيعة الديانتين فكلاهما يدعي أنه الدين الصحيح وأنه أُرسل للناس جميعا[٢٤]، ولهذا لا يمكننا التكهن بالمدى الذي ستسمح به الديانتان لأتباعها بالسير في هذا الطريق الجديد.

٧) ان الضغوط والظروف الخارجية كتأثير الحضارة الحديثة ونمو الأفكار الماركسية في العالم يولد وسيولد صعوبات أكبر أمام النشاط الديني. هذه في الواقع هي الصعوبات الرئيسة التي تواجه وستواجه محاولة الحوار بين المسلمين والمسيحيين والتي لا يمكن التغاضي عنها إذا أُريد لهذه العلاقة الجديدة بين الجماعتين التقدم والنجاح.
والواقع أن المبشرين يأملون أن تحقق هذه الفكرة نتائج ايجابية.

إن نجاح المحاولة يعتمد على استعداد كل من الفريقين لفهم الجوانب

الروحية والثقافية والسياسية والاجتماعية للفريق الآخر، كما أنه يعتمد أيضاً على وضع حد للمواقف العدائية التي يقفها كل فريق من الفريق الآخر.

ويقوم بعض المسيحيين في الوقت الحاضر بمناقشة موضوع التبشير[٢٥]. وهناك خلاف بينهم حول جدوى العمل التبشيري بين المسلمين ومنذ أيام ثورة (البوكسر– BOXER)، والتبشير المسيحي يلقى معارضة قوية، وقد ذكر اللورد سالزبوري:

«وبعد ثورة (البوكسر)* في الصين في مطلع هذا القرن فقد المبشرون ما كانوا يتمتعون به من تأييد[٢٦].

وبعد تلك الثورة بدأ العديد من الزعماء المسيحيين في الإرساليات الأجنبية يعيدون التفكير في أمر التبشير خارج البلاد. وقد انتهى بعضهم إلى الاعتقاد بأن العمل التبشيري قد فشل وخاصة في البلاد العربية، ولم يعد هناك من مبرر لمتابعته بعد الآن. والشكوك تساور حتى بعض المبشرين أنفسهم حول مستقبل العمل التبشيري في هذه الأيام. وقد ذكرت السيدة (ر.نايكرك) على سبيل المثال:

«ان المبشرين الأجانب قد لا يلقون الترحيب في المستقبل إذا اقتصر عملهم على الأغراض التبشيرية»[٢٧].

ومن ناحية أخرى هناك حركة قوية يؤيدها مسيحيون آخرون ممن يرفضون هذه الآراء ويقاومون بضراوة لابقاء العمل التبشيري على قيد الوجود (ومنهم كريستي ويلسون وآخرون). وأصحاب الرأيين يعتقدون أن الغالبية العظمى من الناس تنتمي إلى أديان لا نفع فيها لأحد. ويعتقد

---

* البوكسر هم أعضاء إحدى الحركات الوطنية القومية الصينية السرية، قاموا بثورة ضد الأجانب في الصين سنة ١٩٠٠ بعد احتلال بكين من قوى دولية، وقد قاوم (البوكسر) العمل التبشيري في بلادهم بضراوة.

أنصار هذين الرأيين بأن أي ادعاء يقول إن الأديان الأخرى ملائمة لا يمكن أن ينادي به إلا من لا يؤمنون بالمسيحية. إنهم يكفرون بأحد واجباتهم كمسيحيين والذي يملي عليهم أن لا يتركوا الآخرين يمارسون شعائرهم دون أن يعمل مبشرون مسيحيون بينهم.

إن أولئك الذين يؤيدون فكرة التخلي عن العمل التبشيري خارج البلاد المسيحية يعتقدون بأنه قد فشل. ولكن معارضي هذه الفكرة يرون أنه على الرغم من ذلك فليس هناك من سبب رئيس يدعوهم للتخلي عن التبشير مع أن ذلك لا ينفي أن تكون هناك ضرورة لتبني أساليب جديدة. أضف إلى ذلك أن التبشير يتصل بالخلق المسيحي – كما سبق أن ذكرنا – وواجبهم هو العمل وليس انتظار النتائج. ويخلص المبشرون إلى القول إنهم حتى الآن كانوا يتخذون موقف الدفاع، وقد حان الوقت لينتقلوا إلى الهجوم[٢٨]. وهذا الموقف المتصلّب يهدد فكرة الحوار بين المسلمين والمسيحيين. ويبدو أن الجدل قد بدأ بين المبشرين وبين أتباع الديانات الأخرى الذين اعترضوا على تحويل بعض أفراد جماعتهم عن دينهم ثم انتقل الجدال إلى الجماعة المسيحية نفسها وتركز حول ما إذا كان العمل التبشيري مفيداً أم لا وما إذا كان يحتاج إلى تبني أساليب جديدة.

يتضح مما تقدم أن الحوار بين المسلمين والمسيحيين لن يؤدي إلى حل الخلافات بينهم بسهولة. إن هاتين الديانتين الكبيرتين لا شك ستستمران في البقاء جنباً إلى جنب في العالم. أما كيف ستتعاملان سوياً وعلى أي أساس فهذا ما لا يستطيع أحد أن يتكهن به. ولكن يبدو أن بعض المسيحيين مصممون على المضي في هذا الأمر الذي يستحوذ على اهتمام العديد من الزعماء الدينيين في «كنيسة الاصلاح» في الولايات المتحدة الأمريكية وفي (مجمع الكنائس البريطاني) و(كليات سيلي أوك) في بريطانيا.

مستقبل التبشير في الخليج العربي :

لا مندوحة من الاعتراف بأن عمليات التبشير الماضية بين المسلمين كانت محدودة وبخاصة في منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة. والواقع أننا يمكن أن نذهب إلى حد القول إنه من المشكوك فيه أن يكون للعمل التبشيري الحديث أي تأثير ديني في شبه الجزيرة العربية للأسباب العديدة التي سبق أن أشرنا إليها. فبعد ما يقارب القرن من العمل التبشيري في منطقة الخليج العربي فإن تأثيره الديني يكاد يكون معدوماً والإرساليات تواجه طريقاً مسدوداً من هذه الناحية. ويجب الاعتراف بهذه الحقيقة بصراحة كما يجب إعادة النظر في أوضاع التبشير.

إنهم يقرون بأن النشاط التبشيري في الخليج العربي والجزيرة العربية قد تقلص، وبخاصة عندما سحبت حكومات المنطقة البساط من تحت أقدام المبشرين بتقديم الخدمات التعليمية والصحية المتطورة لشعوبها.

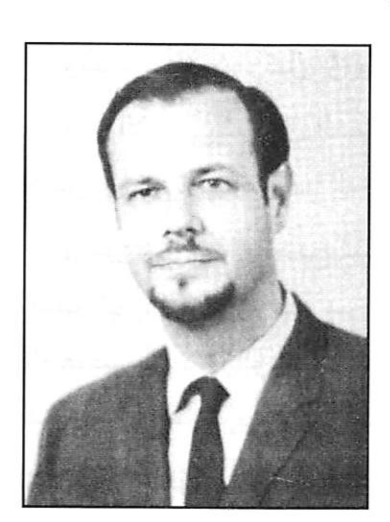
إن المبشرين بشكل عام يؤيدون الرأي القائل إن العمل التبشيري في المستقبل يجب أن يتركز على إعداد جيل من المبشرين والقادة من بين المسيحيين المحليين أنفسهم والذي يجب أن تكون المهمة الأساسية للتبشير الأجنبي بدلاً من القيام بالعمليات التبشيرية المباشرة. وهكذا فإنهم يؤمنون بأن دور المبشرين الأجانب هو إعداد المسيحيين المحليين للاضطلاع بعمليات التبشير المحلية، وهذا يتطلب العمل على تنصير بعض الأهالي والثقة بهم وترك العمل التبشيري بين أيديهم، ولكن هذا لم يحصل في معظم المناطق التي كان المبشرون الغربيون يعملون بها. أما بالنسبة للإرسالية العربية فإنها لم تتمكن من كسب الأتباع ممن يستطيعون الاضطلاع بهذه المسؤوليات بأنفسهم.

ويعتقد المبشرون أن عليهم أن يبدأوا في المستقبل بالتبشير المباشر لكسب الأتباع، ولكن تجربة الإرسالية العربية تبرهن على أن هذه المهمة لم تفلح لأنها قد أثارت معارضة السكان المحلين، ولذلك فإن أعضاءها قد بدأوا يبحثون عن أساليب جديدة للعمل على أمل أن يؤدي الحوار مع المسلمين إلى تمهيد طريق العمل التبشيري أمامهم. وهم يفكرون في عرض الكتاب المقدس على غير المسيحيين بطريقة أكثر جاذبية والذي يحتاج إلى مبشرين قادرين على تحقيق ذلك، وهناك احتمال لأن عرض الإنجيل على المسلمين لم يكن جذاباً فعندما يقرأونه كأنهم يقرأون كتاباً عادياً أو قصة تاريخية.

ونأتي الآن على ذكر بعض آراء المبشرين الذين كانوا يعملون في منطقة الخليج العربي (أُنظر الملحق رقم ١) وآراء بعض أصدقائهم من الأهالي حول مستقبل الإرسالية العربية في هذه المنطقة.

لقد ذكر القس (لويس سكدر) الابن: «ان موقف العمل التبشيري القديم العداء للإسلام قد تدهور في السنوات الأخيرة، وسنستمر في دراسة الأسباب وتطويرها على ضوء المتغيرات الحديثة في العالم[٢٩]، وقد انتقد هذا الأسلوب بعنف عندما قال:

«لقد ذهب المبشرون إلى تلك المنطقة وهم يستخدمون لغة عسكرية لأن (يحتلوا) الجزيرة العربية و(يدمروا) الإسلام»[٣٠].



القس لويس سكدر الابن

وقد عبّر (يعقوب شماس) عن ذلك بالطريقة التالية:

«إن التبشير في المنطقة يتدهور وسيتوقف تدريجياً»[٣١].

وقد ذكر السيد (حسين معرفي) أحد المواطنين الذين عرف المبشرين في الكويت عن قرب:

«لا أعتقد بأن هناك أي مستقبل للعمل التبشيري في المنطقة. إن انتهاء عملهم هو الأمر الطبيعي... إنني أعتقد بأن عصر التبشير قد انتهى»[٣٢].

هذه أمثلة من الآراء التي تتفق جميعها حول نقطة أساسية وهي عدم وجود أي أمل أمام العمل التبشيري في منطقة الخليج. وهذا هو ما يجعل المبشرين وأصدقاءهم غير متفائلين بمستقبل العمل التبشيري وهو عكس ما كان يتوقعه المبشرون الأوائل من أمثال (جون فان ايس) الذي قال:

«إن يقيني يزداد أكثر من أي وقت مضى ليس فقط بالنصر النهائي للصليب على الهلال بل أيضاً بالنصر السريع»[٣٣].

وقد ذهب (صموئيل زويمر) إلى أبعد من ذلك عندما قال:

«إن الآمال بتحقيق النصر النهائي لملكوت الرب في الجزيرة العربية كثيرة وأكيدة وباهرة»[٣٤].

ومن كل هذا يتضح لنا أن الآراء تختلف بين هذين الجيلين من المبشرين. وبالرغم من ذلك كله فإننا نرى أن بعض المبشرين المعاصرين لا يزالون يخططون لمستقبلهم في المنطقة. والسؤال الآن: ما هو تصوّر المبشرين لمسؤولياتهم المقبلة في هذا الجزء من العالم.

أ – ان الحوار بين المسلمين والمسيحيين مهم جداً ويجب أن يكون هذا الحوار هو الأسلوب السائد في التعامل مع المسلمين مستقبلاً.

ب – من الضروري إتقان اللغة العربية جيداً فالمعرفة الأولية لهذه اللغة غير كافية للعمل التبشيري.

جـ - أن تكون الصداقات هي الأسلوب الأساس الذي نتمكن بواسطته من التغلب على تعصب الناس مما يمكن المبشرين من عرض آرائهم بسهولة.

د - ان التصميم على البقاء والعمل مهما كانت الصعوبات هو الطريق الأكيد لابقاء العمل التبشيري حياً.

هـ - ان النقد الموجه من قيادة التبشير في الوطن الأم ضروري لتطوير العمل(٣٥).

و - كما يعتقدون بأن الحكومات المحلية تقدم الخدمات الطبية لشعوبها في المدن فقط، ولهذا فإن على المبشرين أن ينقلوا خدماتهم إلى القرى وبين البدو الرحل في الصحراء.

هذه الأمور في نظر المبشرين ذات أهمية كبرى لمستقبل العمل التبشيري. ولكن يبدو أن الفرصة لتحقيق هذه الأهداف قد فاتت.

والآراء التالية تعكس قناعات المؤلف حول مستقبل العمل التبشيري ككل:

أ- إن العمل التبشيري في طريق الاحتضار في الدول العربية إذا استمر في استخدام أساليبه التقليدية وفي حال نجاح فكرة الحوار والتعاون المتبادل بين الجماعتين فإن هذا ولا شك سيضع العقبات في طريق العمل التبشيري حتى ولو كانوا يخططون لاستخدامه وسيلة جديدة للعمل التبشيري، وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك.

ب - لا شك أن العمل التبشيري سيكون ضعيفاً ليس بسبب مشكلاته الداخلية فقط، ولكن لأن الشعور الديني نفسه ضعيف بتأثير المادية والحضارة الحديثة. والواقع أن الحركات الدينية سواء أكانت

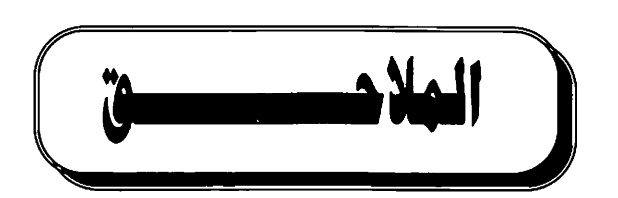
إسلامية أم مسيحية بحاجة إلى أن تتحرر من التعصب وتفهم الدين على أنه ثورة كاملة ذات أبعاد اجتماعية واقتصادية وليس طقوساً تؤدى.

إن معظم الحركات الدينية لا تزال تسير على الأفكار والأساليب التقليدية. إن الزمن يجري ويجب أن تعمل جمعياتهم على خلق عقلية دينية قادرة على التلاؤم مع التطور السريع والمعقد للحياة المعاصرة وأن توظف تلك الأفكار في الحياة العملية بالتركيز على قضايا المجتمع الأساسية والجوهرية.

الهَوامـــش

1. M. W., Vol, XXXIV, April 1944, No. pp. 199-200.
2. ibid., p. 200
3. مـقـابـلـة الـكـاتب مـع الـقس لـويس سـكـدر الابـن، الـكـويت ١٥/١٠/١٩٧٤
4. مقابلة الكاتب لبعض المواطنين في منطقة الخليج، اكتوبر - نوفمبر ١٩٧٤
5. Betts Brenton, R., op. cit.,p. 107.
6. Van Ess, John, Personal Letters, Sermons and Addresses, Mss XM72 The Theological Seminary, New Brunswick, N. J., U. S. A., pp. 103-6.
7. مقابلة الكاتب مع أدوين لودين، نيويورك الولايات المتحدة سبتمبر ١٩٧٦
8. مقابلة الكاتب مع السيدة إيفلين ماكنيل، نيويورك، سبتمبر ١٩٧٦
9. John Beardslee, Professor of Churel History, New Brunswick, the Theological Seminary, N. J., U. S. A., Introduction of Pioneers in the Arab World, op. cit., p. 7.
10. مقابلة الكاتب مع القس جون بوتاين، نيويورك، سبتمبر ١٩٧٦
11. Cragg, K., The Call of the Minarel, op. cit., The Privilege of Man, London 1968, and Alive to God, London, N. Y., Toronto 1970, etc.
12. Samartha, J. S. (ed). Dialogue between Men of Living Faiths, World Council of Churches, Geneva 1971.
13. Acil, A., The Clerical News Magasine, Cairo Dec. 1974, p. 4.
    See also Documents of the Christian-Islamic Seminary, Tripoli, Libya, Feb. 1976.
    See also, Samartha, J. S., Christian-Moslem Dialogue, 1973 Geneva, Switzerland.
    See also, Brown, David, A New thershold, British Council of Churches, 1976, London.
14. Professor Samartha, op. cit., p. 15. See also, Brown, D., op. cit., pp. 22-23.
15. مقابلة الكاتب مع د. بنينجز، البحرين، نوفمبر ١٩٧٤
16. Rev. Scudder, L. Jr. The Missionaty in the Secular Institution, p. 3., Paper, Muscat, 21, 1973.
17. ibid., p. 5.

18. Rev. Hooton, S. W., The Missionary Campaign,Edinburg and London, 1912, pp. 36-7.
19. Craggs, K., The Call of the Minarel, op. cit., pp. 348-51.
20. Addison, T.J., op. cit., pp. 304-5.
21. Dr. Al-Faroqi, I., Islam and Christianity, paper presented to the Islamic-Christian Seminar, Tripoli, LIbya Feb. 1976.
22. مقابلة الكاتب مع بعض أعضاء الكنيسة الاصلاحية في نيويورك سبتمبر ١٩٧٦
23. Zwemer, M. S. and Brown, A., The Nearer and Farther East, N. Y., 1908, p. 118.
24. Smith, C. W., The World of Islam, op. cit., pp. 47-59 (ed.) Kritzeck, J.
25. The Times (Newspaper) Monday May 2, 1977, p. 14.
26. Maclean, H. J., I. R. M., Vol. 8, 1912, London, p. 395
27. مقابلة الكاتب مع السيدة نايكرك، نوفمبر ١٩٧٤، البحرين
28. Maclean, H. J., op. cit., pp. 391-94.
29. مقابلة الكاتب مع القس لويس سكدر، الكويت، نوفمبر ١٩٧٤
30. مقابلة القس لويس سكدر، نيو برونزويك، نيوجيرسي، سبتمبر ١٩٧٦
31. مقابلة الكاتب مع السيد يعقوب شماس، الكويت ، نوفمبر ١٩٧٤
32. مقابلة الكاتب مع السيد حسين معرفي، الكويت، نوفمبر ١٩٧٤
33. Van Ess John, Personal Letters, Sermons and Addresses, MSS XX72 V28, The Theological Seminary, New Brunswick, N. J., U. S. A.
34. Zwemer, M. S., Arabia: the Cradle of Islam, op. cit., p. 398.
35. Storm, H., op. cit., pp. 87, 92, 97, 99.


الملاحق

١

خطة الإرسالية الأمريكية العربية

نحن – الموقعين أدناه – قد عزمنا على القيام بنشاط تبشيري رائد في البلاد الناطقة باللغة العربية وبشكل خاص من أجل المسلمين والعبيد مُقِرّين منذ البداية بالحقائق التالية:

١ – الحاجة البالغة لهذا العمل التبشيري وضرورة تشجيعه في العصر الحالي.

٢ – عدم وجود مثل هذا العمل التبشيري تحت اشراف مجلس الإرساليات الأجنبية في الوقت الحالي.

٣ – عدم قيام أي مجهود يذكر حَتّى الآن في المجالات آنفة الذكر.

٤ – عدم قدرة مجلسنا الحالي بأوضاعه الراهنة على الشروع بمثل هذا العمل.

وبناء عليه ولتحقيق الأهداف المرجوة فإننا نتقدم من المجلس، وبتأييده إلى الكنيسة عامة، بالمقترحات التالية:

١ – الشروع بهذا العمل بأسرع وقت ممكن.

٢ – أن يكون ميدان العَمَل الجزيرة العربية أو أعالي النيل أو أي ميدان آخر خاضع للوصف المذكور في المقدمة والذي يُبَيّن أفضلية على غيره من الميادين.

٣ – ويكون تمويل الإرسالية المذكورة من المصادر التالية:

أ- الاشتراكات السنوية بمبالغ تتراوح بين خمسمئة ومئتي دولار؛ ويشكل المساهمون بمثل هذه المبالغ هيئةً يجري تنظيمها بالشكل المرغوب.

ب - الهيئات المؤلفة من أمثال هؤلاء الأفراد، والكنائس والمنظمات التي تتعهد بدعم المبشرين الأفراد أو تُسهم في تمويل أمور محددة يمكن أن تحتاجها الإرسالية.

٤ - يجري تشكيل هذه الهيئات وتدفع الالتزامات المالية على مدى خمسة أعوام.

٥ - بعد انتهاء الأعوام الخمسة الأولى يتولى مجلسنا الاشراف علي الإرسالية كما هو الحال بالنسبة للإرسالية الأخرى.

وفي حال عجز المجلس عن تحمل النفقات المالية يعاد تشكيل الهيئات وتحديد الالتزامات المالية.

٦ - وفي أثناء ذلك تخضع الإرسالية بشكل عام لاشراف المجلس والذي يجري تمويل الإرسالية من خلاله.

٧ - ويلتمس الموقعون أدناه موافقة المجلس على هذا التعهد بشكل عام وبخاصة فيما يتعلق بموضوع طلب التبرعات.

الموقعون

جـ. جـ لانسنج

جيمس كانتين

ب. ت. فيليبس

س: م. زويمر

المصدر:

Zwemer, S. Arabia: The Cradle of Islam, N.Y. 1900, PP. 354 - 55.

٢

دستور الإرسالية العربية

مادة أولى : سيكون اسم هذه المنظمة الإرسالية العربية.

مادة ثانية : سيكون هدف هذه المنظمة القيام بالعمل التبشيري في الجزيرة العربية أو البلاد الناطقة بالعربية.

مادة ثالثة: تتكون هذه المنظمة من سبعة أعضاء – الأعضاء الأساسيون والأب الدكتور جون جـ. لانسنح مؤسس الإرسالية – وهم يخضعون للشروط المبنية فيما يلي.

مادة رابعة: تعقد الإرسالية العربية اجتماعها السنوي في الاثنين الثاني من شهر آذار (مارس) ويتم في الاجتماع اختيار الموظفين لذلك العام.

مادة خامسة: والموظفون هم الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق.

مادة سادسة: ويأخذ أعضاء المجلس قدر الإمكان رغبات المساهمين بعين الاعتبار.

مادة سابعة: يتمتع المجلس بصلاحية تعيين الأجهزة التي يرى في تعيينها، سواء الوطن أو خارجه، تحقيقاً لأهداف الإرسالية.

مادة ثامنة: يُقدّم المجلس تقريراً سنوياً عن عملياته وعن أعمال المبشرين مع تقرير مفصل يقدمه أمين الصندوق إلى جميع المساهمين.

مادة تاسعة: يجتمع المجلس كل ثلاثة أشهر حسب اتفاق أعضائه،

وفي حال اجتماعه فإن حضور أربعة أعضاء يعتبر نصاباً ويمكن عقد اجتماعات خاصة بدعوةٍ من مُوَظّفيه أو بطلب اثنين من الأعضاء.

مادة عاشرة: يمكن تعديل هذا الدستور أو تغييره في أي اجتماع من الاجتماعات العامة بتصويت غالبية مجموع الأعضاء بشرط أن يتم اقتراح التغيير كتابةً في اجتماع عادي سابق.

قوانيـــن داخـلـيـــة

أولا: تكون واجبات الرئيس هي الواجبات العادية التي تناط بهذا المنصب كما يوقع للتصديق على جميع الشيكات التي يسحبها أمين الصندوق.

ثانياً: تكون واجبات السكرتير وأمين الصندوق هي الواجبات العادية التي تناط بهذين المَنصِبين. ويتمتع بحق تعيين الموظفين اللازمين للأعمال الكتابية الذين يحددهم المجلس.

ثالثاً : يكون جدول العمل في اجتماعات المجلس كما يلي:

١ – الصلاة.

٢ – قراءة الأسماء.

٣ – قراءة وقائع الاجتماع والتصديق عليها.

٤ – تقرير أمين الصندوق.

٥ – الاتصالات والأعمال التي يُقَدّمها السكرتير.

٦ – تقارير اللجان.

٧ – أعمال متفرّقة.

٨ – فضّ الاجتماع بالصلاة.

رابعاً: تعقد الاجتماعات ربع السنوية في أيام الاثنين من الأسبوع الثاني من حزيران (يونيو) وأيلول (سبتمبر) وكانون الأول (ديسمبر) وآذار (مارس).

<u>المصدر:</u>

Arabian Mission Minutes of Meetings, Vol. I
(sheet attached) theological Seminary, New Brunswick, New Jersey, U.S.A., 1890

٣

مؤسسات الإرساليات الحالية في المنطقة

البحـــرين:

مستشفى الإرسالية الأمريكية
مدرسة الإرسالية الأمريكية
مكتبة العائلة في البحرين
الكنيسة الإنجيلية الوطنية في البحرين

الكـــويت:

مكتبة العائلة في الكويت
الكنيسة الإنجليزية الوطنية في الكويت

عمـــان:

الكنيسة البروتستانتية في عُمان
مكتبة العائلة في عُمان
مدرسة الإرسالية الأمريكية للبنات

يمكن أن يلتقي الموظّفون الذين يعملون في المؤسسات المذكورة في «زمالات الإرسالية العربية المحلية». وليس لهذه الزمالات أية مهام إدارية ومهمتها الرئيسة هي تهيئة اللقاءات الروحية.

المصدر: تقرير العمل الميداني للباحث ١٩٧٤ و١٩٧٦.

٤

تمـــويل الإرســـــالية

كـانت كـنيسـة الإصـلاح فـي نصف الـقرن الأول مـن عمل الإرسـالـيـة تتحمل المسؤولية التامة لتمويل أنشطة الإرسالية. وكان المبشر يتلقى منحة قدرها ثلاثمئة دولار لإعداد نفسه قبل الانطلاق إلى ميدان العَمَل. وقد حدد مرتب المبشّر في السنة الواحدة بثمانمئة دولار. وكانت نفقات الإرسالية تتوزع كما يلي: مرتّبات، مصروفات العمل التبشيري، نفقات السفر والسكن. وقد ذكرت الإرسالية في تقاريرها أن نفقات الخمسة والعشرين عاماً الأولى لم تتجاوز (٢٥٠,٠٠٠) دولار. ولكن هذا المبلغ ارتـفـع بسرعـة فـي السـنـوات الـتـالـيـة. وهذا بـالـطـبـع إضـافـة إلى دخل الإرسـالـيـة مـن مـيـدان الـعـمـل وبـخـاصـة مـن أجور الـخـدمـات الطبيـة. والمعلومات المتوفرة عن أحوال الإرسالية المالية في العقد الثاني تبين زيادة نفقات الإرسالية سنة بعد أخرى.

سنوات العمل	المصروفات
١٩٠٢	١٠,٧٦٢ دولاراً
١٩٠٣	١٢,٦٠٠ دولار
١٩٠٤	١٣,٣٠٠ دولار
١٩٠٥	١٧,٨٢٦,٦٦ دولاراً
١٩٠٦	١٩,١٨٩,١٤ دولاراً
١٩٠٧	١٧,٥٧٢,١٤ دولاراً
١٩٠٨	١٩,٥١١,٧٠ دولاراً
١٩٠٩	٢١,٨٣٨,١٩ دولاراً
١٩١٠	٣٠,٨٢٢,٤٦ دولاراً[1]

المصدر:

Arabian Mission Miniters of Meeting:
The theological Seminary, New Brunswick, New Jersey, U.S.A., Vol.
June 27, 1890, P.5 also Vol. 2, 1897, P.6 and Vol 2, p. 247. ,1

دخل الإرسالية بالعقود

	النقابات	مصادر أخرى	مصادر خاصة (بما فيها الإرث)	المجموع
العقد الأول ١٨٩٠ – ١٨٩٩	٢٩,٣١٠,١٠	٢٩,٢٩٥,٠٣	١١,٢٠٦,٢٨	٢٩,٨١١,٤١
العقد الثاني ١٩٠٠ – ١٩٠٩	٦٧,٢٥٧,٨٩	١٠٩,٦٨٥,٦٨	٤١,٤٠٦,٦٠	٢١٨,٣٥٠,١٧
نصف عقد ١٩١٠ – ١٩١٤	٦٧,٧٠٦,١٥	٨٩,٠٥٢,٢٩	٣٩,٩٩٧,٦٤	١٩٦,٧٥٦,٠٨
العقد الثالث	١٧٩,١٦٢,٨٠	٣٦٧,٩٦٤,٧٥	١٧١,١٩٩,٥٠	٧١٨,٣٢٧,٠٦
المجموع العام	٣٤٣,٤٣٦,٩٤	٥٩٥,٩٩٧,٧٦	٢٦٣,٨١٠,٠٢	١١,٢٦٣,٢٤٤,٧٢

ملاحظة: تبين هذه الأرقام دخل الإرسالية بعد ثلاثة عقود ونصف العقد فقط من بدء نشاطها.

المصدر: Mason and Barny, the History of the Arabian Mission, 1926, N. Y., p.

إحصائيات مقارنة لتوسّع أعمال الإرسالية بالعقود

	١٨٩٤	١٩٠٤	١٩١٤	١٩٢٤
محطات رئيسة	٣	٢	٥	٥
محطات فرعية	:	٣	٣	–
مبشرون، رجال، مُعَيَّنون	٣	٦	٨	١١
مبشرون، رجال، غير معينين	١	٢	٤	٥
مبشرون مساعدون	:	٦	٩	١٤
مُبَشِّرات، غير مُتَزَوِّجات	:	٢	٤	١٠
مساعدون محليون	:	١٨	٣٣	١٥
مساعدات محليات	:	٣	١١	٧

كنائس•	:	:	:	٥
مُبلّغون	:	:	:	٩
مقبولون	:	٢	:	٧
مدارس داخلية، بنين	:	::	١	١
الطلاب	:	:	١٢	٢٢
مدارس الأحد	:	٤	٦	٦
الطلاب	:	٤٢	٩٠	٨٨
مدارس نهارية	:	١	٧	١٠
الطلاب	:	٦٨	١٩٣	٣٤٩
مستشفيات ومستوصفات	٢	٤	٥	٤
المرضى المعالجون	١٨٨٨	٢٠٧٥٥	٢٣٧٠٩	٥٩٤١٣
التبرعات المحلية (ما يعادله ذهباً)..	:	٢١٤	٢٢٧	١٦٠٠ ••

• غير مُنظّمة

•• الأرقام المأخوذة في عام ١٩٢٣

المصدر: Mason and Barny, History of the Arabian Mission, N. Y., 1926, P.251.

٥

المبشرون وغيرهم ممن قابلهم المؤلّف في عمله الميداني

نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٤ وسبتمبر ١٩٧٦

أولاً: أثناء العمل الميداني في منطقة الخليج - نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٤ ويونيو - يوليو ١٩٧٧

١. الدكتور ر. سكدر	من كبار أطباء الكويت - ١٩٣٩ - ١٩٧٧
٢. السيدة ر. سكدر	إحدى ممرضات الإرسالية النشيطات في الكويت ١٩٣٩ - ١٩٧٣.
٣. القس لويس سكدر الابن	القس المسؤول عن الخدمات الإنجليزية في الكنيسة الانجليكانية في الكويت
٤. القس يوسف عبد النور	القس المسؤول عن الخدمات العربية في الكنيسة الانجليكانية في الكويت.
٥. السيد يعقوب شماس	بائع كتب قديم في إرسالية الكويت
٦. السيد سامي شماس	مواطن مُتَنَصّر حديثاً من اتباع الكنيسة الانجليكانية في الكويت.
٧. السيد حيدر خليفة	من أصدقاء الكنيسة المُقَربين في الكويت ومن الفنيين القدامى في مستشفى الإرسالية هناك.
٨. السيد بنيامين	مُمَرّض مسيحي قديم في الكويت والذي عمل مع الإرسالية لفترة طويلة
٩. السيد حسين معرفي	من أصدقاء الإرسالية في الكويت
١٠. السيدة روز نايكرك	مديرة الإرسالية العربية في البحرين وزوجة الدكتور جـ. نايكرك الذي عمل في الكويت ومات فيها سنة ١٩٦٤

١١. السيدة خيرية حيدر	مُتَنَصِّرة في البحرين عمرها ٨٢ عاماً
١٢. السيد يوسف حيدر	ابن السيدة خيرية وهو مدير مستشفى الإرسالية في البحرين
١٣. السيد أحمد حـ إبراهيم	أول تلميذ من الأهالي في مدرسة الإرسالية في البحرين، ١٩٠٥ وهو لايزال حياً حتى الآن وعمره ٨٣ عاماً.
١٤. السيد مبارك الخاطر	أحد المسلمين ممن كتبوا بحثاً قصيراً عن الإرسالية العربية في البحرين*

الذين تمت مقابلتهم في المملكة المتحدة يناير ١٩٧٥

١. القس هاري يونج	مبشر عمل سنوات عدة في منطقة الخليج وأحد أعضاء إرسالية الدكتور كنيدي في «أبوظبي». وكان أعضاؤها يتبعون أصلاً للإرسالية العربية وانفصلوا عنها في نهاية الخمسينات.

ثانياً: أثناء العمل الميداني في الولايات المتحدة، سبتمبر ١٩٧٦

قابل المؤلف عدداً من أعضاء كنيسة الإصلاح في الولايات المتحدة. وكان من بينهم من عملوا مُبَشِّرين في الجزيرة العربية وكانوا لا يزالون يعملون في خدمة الكنيسة، وآخرين كانوا أعضاءً في الكنيسة وأعضاء في الهيئة الأكاديمية لمعهد اللاهوت في نيو برونزويك. وفيما يلي أسماؤهم وأعمالهم:

* وقد قابل المؤلف عدداً آخر من الناس، ولكن لم يكن في آرائهم شيء جديد أو مهم.

١. القس ادوين لويدنز — سكرتير القسم الكهنوتي الآسيوي لما وراء البحار .(D.O.M) المجمع الوطني لكنائس المسيح في الولايات المتحدة الأمريكية سابقاً: مبشر في الإرسالية العربية في البصرة والبحرين والعمارة ومدير راديو صوت الكتاب المقدس في بيروت، لبنان من ١٩٥٨ – ١٩٦٤.

٢. السيدة ايفلين ماكنيل — زوجة المُبَشِّر الأب دونالدر. ماكنيل الذي كان يعمل في الكويت في الخمسينات.

٣. القس الدكتور جون ي. بوتاين John E. Buleyn — سكرتير كنيسة الإصلاح في أمريكا، وكان يشرف اشرافاً كاملاً على الأعمال الإدارية للإرسالية العربية في كنيسة الإصلاح منذ أواخر الخَمْسينات.

٤. السيد ريتشارد جـ. بل Richard J. Bell — سكرتير ٢٢ .D.O.M.N لاوربا الشرق الأوسط

تابع خدمات الكنيسة العالمية ومجلس الكنائس العالمي لإغاثة اللاجئين ومركزه الأردن وبيروت وجنيف

القس لويس سكدر الابن — مسؤول اللغة الإنجليزية في الكنيسة الانجليكانية الوطنية في الكويت عينته كنيسة الإصلاح مبشراً للجزيرة العربية في عام ١٩٦٦ وهو باحث حصل أخيراً على الدكتوراه من جامعة ماكيل في كندا.

المقابلات في نيو برونزويك. معهد اللاهوت في نيوجيرسي

سبتمبر ١٩٧٦

الهيئـــة الاكـاديميـــة :

١. الدكتور دافيد ونذرز
٢. الدكتور داي انجلهارت
٣. الدكتور بول فرير
٤. الدكتور هيو أ. كويز
٥. الدكتور تـاشرلز وسنك
٦. الدكتور ايرل اليس
٧. الدكتور نورمان توماس
٨. الدكتور فيرجيل دوجرز
٩. السيدة راي انجلهارت
١٠. مستر ومسز هيلالتو
١١. السيدة هوارد هاجيمون
١٢. السيدة جان هوفمان
١٣. القس لويس سكدر الابن وزوجته كانا بين من حضروا الاجتماع.

REF: IOR: R/15/2/1/32
INDIA OFFICE LIBRARY AND RECORDS

Bahrein, Apr. 27, 1918.

Dear Mr. Mon Gavin:-

Continuing our conversation, on the same subject, I want to report to you my arrival from Abu Dhabi, where I have recently been the guest of sheikh Hamdan of that place. I spent nearly a month in that town, not only treating Sheikh Hamdan himself for a obronic ailment, but also the town people, in considerable numbers. The Sheikh himself was not markedly benefited but he was exceedingly grateful for the attention shown, and for the work among the people of the place. A considerable number of operations were performed besides the medical work.

At the request of sheikh Rashid of Um el Gowein I spent some ten days there, primarily for the purpose of performing a slight operation upon the Sheikh himself. This was a simple matter, and quite successful. During the ten days of the stay, the local people were treated both medically and Surgically as opportunity offered, and they seemed to appreciate the service-very much, indeed. as a part of this trip, I also spent two days in Ras el Kheima. This was at the personal solicitation of Sheikh Sultan the younger son of Sheikh Salim, who is hopelessly paralyzed, from an apopleotic stroke dating some three months back. The service rendered was little more than examination and diagnosis, but I was able also to repair the Hare lip of the younger son Sheikh Sultan, a service which be appeared to greatly appreciate. The brevity of the stay made any considerable work among the people quite impossible. a few where seen however, and the utmost cordiality manifosted everywhere.

The trip was terminated by a stay of a week to ten days in Dubai, at the invitation of Sheikh Saeed bin Maqtoom. The people were exceedingly cordial, and it was possible to give the Sheikh the Medical advice he desired, and also to do a certain amount among the people. Much more might have been done, if the available stock of medicines had been adequate.

The need for Medical services was everywhere extreme, and each services greatly appreciated. I was even asked by the some of the leading men of Sharjah, whether a petition to the proper parties might secure the permanent establishment of Medical work in that district.

As to the Political situation it is obvious that by all odds was strongest Sheikh in all that region is Hamdan of Abu Dhabi. This is universally recognized by the Arabs themselves, and it is to be added, that not only he is the strongest in point of inherited power, but in his own personal qualities as a ruler, he is quite in a class by himself. He is sincerely and strongly loyal to the British Government, to the degree, indeed, that probably the strongest motive that could be brought to bear upon him, would be the possibility of some special recognition or decoration from that Government. Sheikh Rashid of Um el Gowein is a much less admirable type, though

still a good Sheikh as Arab Rulers do. He is a man of large wealth, and his principal interest appears to consist in preserving and increasing it. It is perhaps safe to say that the most effective motive in influencing him would lie in that direction. Sheikh Saeed of Dubai, is a very affable, and Democratic mannered man, rickoned among the Arabs and correctly so, as a weak ruler having very little comprehension of the world outside and fearful of any increase of british power or influence in his territory. He is without doubt the weakest of the sheikhs that we met on the trip; and at the same time the least intelligent, and most prejudiced against all progress. the young Sheikh Mohammed of Ras Kheima, who is assuring the duties that Salim, his father can no longer perform, promises exceedingly well. He is unusually intelligent, and apparently genuinely interested in the progress of the people under him.

On the surface nothing is met with but the most cordial loyalty to the British government. But is is not difficult to see that underneath, that loyalty is considerably tempered. In the first place the increase of British power is feared because it is felt that their ascendency means the disappearance of slavery. This feeling however is pretty largely confined to the small upper class that are rich enough to own slaves. The ordinary Arab would be little disturbed by its disappearance, except as interested leaders might stir things up.There is also a wide-spread fear that the advent of the English would be the result in women's freedom from the domination of men to a very dangerous degree. I was not able to satisfactorily investigate the origin of this surprising feeling.

On the other hand the people from the poorest to the richest have come to realize very keenly their economic dependence on the British power, and when the shortage of tonnage made it necessary to eat Karachi rice, the German Kaiser was warmly cuared by all classes. There is perhaps no selection that praise the visits of the steamers more than Oman has learned to do, and which realizes more adequately its dependence on the Bombay markets both in selling pearls and in buying rice. It is not too much to say that as far as self-interest make no Oriental loyal, Oman is throughly loyal, and that the feeling about the slaves to a very small thing in comparison to this very through-going conviction of British power, and their own dependence upon it.

British prestige however suffers greatly because of the government's representative in these parts, and it is due to him in no small degree that the respect and admiration which ought to be the completion of their loyalty, are quite lacking. Whether true or not, he has succeeded in creating the impression that he is able to bring about almost anything he wishes, even the bombardment of an Arab town being no exception. Immunity from such a catastrophe is purchasable commodity, as indeed are all other Governmental services, from the return of runaway slaves up. This is doubtless something of an exaggeration of the facts, but it is no exaggeration of the Arab's mind on the matter, and it is to be noted that as the Arab notes, that the main question is now enormously wealthy. the fear in which he is held is almost Ludicrous. A sheikh does not so much as dare to invite in a foreign Doctor without consulting him first, and on arrival they make haste to recommend an immediate visit to the Khan

Bahader. He has his agents scattered all over the district. There are said to be some sixteen of them all privately employed. I had not been in the Dubai majlis of Saeed bin Maqtom two hours before one of them came in to inquire my purposes and to recommend a visit to his employee. the Sheikh had spoken to me about it, even before that. Sheikh Hamdan is apparently the only Sheikh in that district who has preserve more or less independence, and there is no great friendship most between him and the British agent.

May I close by mentioning that Major Trevor before he was invalided home promised Sheikh Saeed of Dubai a copy of that the Reuter's telegrams translated into Arabic should be sent him regularly (Atleast so says Sheikh Saeed) and he has been much disappointed not to receive them. If the presumption may be performed I should like to suggest that such a service would be considered a great favor by the Sheikhs of both Abu Dhabi and Dubai.

Trusting that the above will cover the ground that you indicated, I am,

Yours most sincerely,
P.W. Harrison

ترجمة

UNDERTAKING WITH THE

BRITISH GOVERNMENT.

We the undersigned, Directors in the Persian Gulf of the Dutch Reformed Church Mission in Arabia, recognising the special position of the British Government At Koweit, hereby undertake in the event of our obtaining from Sheikh Mubarak with British consent, a site in Koweit, on lease or purchase, for the permanent establishment of our Mission—that while it will always be our endeavour to carry on our work and arrange any little difficulties that may arise from time to time, with the Sheikh direct, should we find ourselves unable to adjust our differences in that manner we will refer them for the arbitration or good offices of the British representative alone, or, in his absence, of the British Resident in the Persian Gulf. The Koweit establishment will be entirely independent of the branch of our Mission at Basrah and in no circumstance will we, directly or indirectly, seek the intervention of Turkish Authorities or of Consular officials accredited to Turkish territory.

At Bahrein, November 18th 1910.

(sd) Jas F. Moerdyk

(sd) D. Dykstra

المعاهدة مع دولت البهية القيصرية الانجليزية

نحن المحررة اسمائنا ادناه رؤسا المجلس مال الجمعية ارسالية كنيسة الامريكانية في خليج فارس عارفين حالة سياسية خاصة دولة البهية القيصرية الانكليزية في الكويت ونحن نقبل في هذه المعاهدة لو يحصل لنا من جناب الشيخ مبارك الصباح مع رضا الدولة البهية القيصرية الانكليزية قطعة ارض في الكويت اما ببيع او باجرة لاجل اقامة ارساليتنا وانما في كل حين نجتهد ان نشتغل لشغلنا بانفسنا راسا مع جناب الشيخ كلما يصير من المخالفات ولو ما تمكنا في هذه الصورة نرجع الامر عند نايب الدولة البهية القيصرية الانكليزية في الكويت واسطة ليفصل ولينهي بيننا وفي عدم حضور النايب المذكور يرجع الامر الى باليوز الدولة البهية القيصرية الانكليزية في خليج فارس وبيتنا في الكويت ما يصير له علاقة كلية مع بيت ارساليتنا في البصرة وفي كل الاحوال نحن ما نجتهد مطلقا رجوع الامر لا استواءً ولا انحرافاً عند مامورين دولت العالية العثمانية ولا عند قناصل موكلين عند دولت العالية العثمانية

تحرر في البحرين ١٨ شهر نوفمبر ١٩١٠

صحيح
مرديك

صحيح
ديكستر

٢٤٢

صفحة ١٠٨٢   جلد ٢

الحمد لله سبحانه

حاكم الكويت
(١)

احمد الجابر

السبب الداعي الى تحرير هذه الاحرف الشرعيه لعوانه قد حضر السيد يا سين بن السيد عبد الوهاب الرفاعي والحاج عبد الله بن شابر الشحنان وشهدا لله تعالى بالشهاده الجازمه بان الحوطه الواقعه في محلة النقعود المحدوده قبلة الطريق العام وشمالا حوطة المعوشرجي وشرقا الوادي وجنوبا حوطة الفلاح انها ملك ابراهيم بن مشعل اشتراها ارض من المرحوم مبارك الصباح عن مبلغ ثلاثمائة ربيه وبناها من ماله وصارت حوطه كامله وباع نصفها الشمالي على السيد ياسين بن السيد عبد الوهاب في ١٤ ذالحجه ١٣٣٤ واوهب ربعها الشرقي الى عبد العزيز بن محمد السهلي في ٢٥ رمضان ١٣٣٤ وبقي ربعها القبلي المحدود قبلة ملك جمعية المريكانين والجدار يخص المريكانين وشمالا بيت عبد المحسن بن ناصر الخرافي والجدار لعبد المحسن وشرقا بيت عبد العزيز بن محمد السهلي والجدار لعبد العزيز الا فدار الباب وجنوبا حوطة الفلاح والجدار للفلاح باقي في ملك ابراهيم بن مشعل المذكور يتصرف فيه بما شاء وهذه الحوطه لها ورقه ضايعه فاذا وجدت فهي لا تعتبر شيا بل تعطي الى مشتري هذه الحوطه حتى لا يخفى تحريرا في ٣ ذالقعده ١٣٤٥

١٠ بـ م

REF: IOR: R/15/3/6/6 INDIA OFFICE LIBRARY and RECORDS

جوابنا للمحب فاضل حرزاه ٣ في ربيع ١٣٢٧ سنة
من سلطان مسقط وعمان

اما بعد فكتابك الشريف المورخ ٣ في شهر ابريل سنة ١٩٠٩ وصل وفهم محبك
ما ذكرته من جهة الدختر فاعلم اني لا ابيح له ان يفتح مستشفى بمطرح
فقد تقدم لك جوابي فلم تقبل فاذاً ينبغي لك رفع هذه المقدمة
الى الدولة الجمهورية الامريكانية المعظمة ومهما يصل منها
من خطاب سوف نجيبها لاني لا اقبل مستشفى للبادرية
بمطرح وليس لهم تكرار السؤال فيما لا ارتضي حدوثه
والدولة الجمهورية الامريكانية لا تجبرني بشؤون
اولئك البادرية هذا ما لزم بيانه والسلام

١٣٢٧
٣٠ ربيع

هذا سواد كتابنا الذي ارسلناه لكنسل الامريكان
فاني تشرفت بكتابك الكريم المورخ وفهم محبك ما تضمنه من جهة ارسال الداكتر الامريكاني
المستر زويمر مع جمعية مشن [illegible] ما تحصلنا من [illegible] الكدر بيننا وبين
الدولة الفخيمة الامريكانية بسبب [illegible] الا اذا ذكرته في مسئلة الاديان وانا اتشرف بان
يرفع جنابكم هذه المسئلة الى دولتنا الفخيمة واما الى حضرة الدولة الامريكانية لا
ترضى بما ينتج اسباب الكدر هذا ما لزم بيانه تاريخ ٢٣ شهر القعدة ١٣٢٧

[illegible]
سلطان مسقط وعمان

المحتــــوى

صفحة

شـركة أبوظبي للطباعـة والنشـر
هاتف: ٦٧٣٢٨٢٨-فاكس : ٦٧٣٢٧٢٥